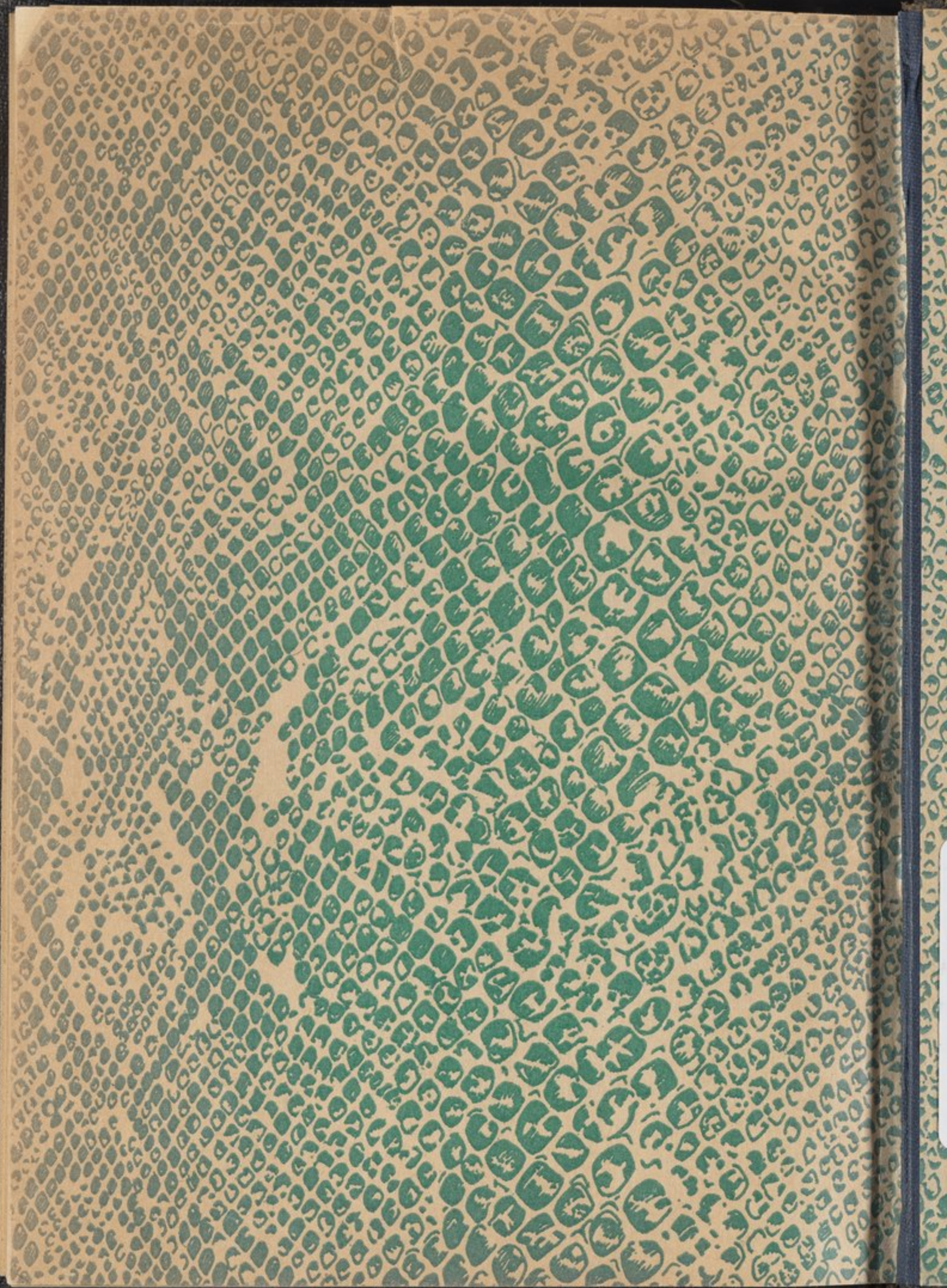


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01166 3386





06-B1858

DS
247
A8
F8
1951



فؤاد حمزة

فتح بلاد عسير

١٣٧٠هـ - ١٩٥١م

٩٨١٥٠

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٩٥١



٢٧٨، ٩١٥
ح. ف.

بیت‌المقدس

1071-1071A

46100

تصدير

مما لا شك فيه أن سعادة فؤاد بك حمزة رجل من أكرم رجالات المملكة العربية السعودية ، وأشدهم غيرة على قوميته ، وأبرزهم هممة ومروءة وشهامة .

ولقد خدم سعادته جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود مدة نحو ربع قرن ، فكان ، ولا يزال ، الرجل المخلص في جميع المناصب التي تقلدها في جميع أدوار حياته ، والأمين الوفي لجلالاته ، والحارس على شتى الشؤون الخارجية للمملكة . وتولى مفاوضات عدة ، وصاغ اتفاقات جمعة ، واضطلع بأعباء ومهمات خاصة . فكسب في جميع ما تولاه ثقة جلالة الملك المعظم وتقديره السامى .

عرفته من نحو ثلاثة وعشرين عاماً في مواقف شتى وحوادث متعددة ، فكان فيها كلها بلا استثناء يهدف إلى الصالح العام ، ويرجو الخير لأهله ووطنه (وقليل هم الذين يحبون الخير للجميع) .

وتولى سعادته شؤون الخارجية ، إدارة ووزارة ، ومثل جلالة الملك المعظم لدى الجمهوريتين التركية والفرنسية ، وكذلك أوفدته الحكومة السعودية إلى البلاد المجاورة في بعض شؤونها ، فكان السفير المخلص ، والممثل الأمين ، والسياسى اللبق الحكيم .

واختاره جلالة الملك عبد العزيز — حفظه الله — ليكون إلى جواره مستشاراً خاصاً ، وعاملاً كبيراً لتصرف شؤون مملكته الواسعة . وها هو ذا سعادته يضطلع الآن بأعباء هذا المنصب الخطير ، فيبذل ما وسعه البذل والهمة والجهد ، رغبة منه

في تنفيذ توجيهات ملك البلاد المعظم من جهة ، وتحقيق أمانى الشعب من جهة
أخرى ، برغم ما يعتور صحته من إعياء وضعف .

وهو مع شدته في الحق ، وصلابته فيما يراه صواباً ، طيب القلب ، لين العريكة ،
كريم السجايا ، رضى النفس ، أنموذجاً للخلق العظيم ، ومثلاً حسناً للشباب
والرجولة الحقّة .

ومما اشتهر به الحركة والدأب على العمل ، يحب العلم ، ويميل إلى الدرس .
وله بحوث قيمة في تاريخ الجزيرة العربية ، يدل عليها كتابه النفيس : « قلب الجزيرة
العربية » .

وفي مجلس خاص حدثنا سعادته عن كتابه هذا الذى تقدمه اليوم للمكتبة
العربية ، فإذا هو سفر خالد ، وبحث مستفيض ، وتحقيق قيم دقيق ، لم يسبقه إليه
أحد . فأشرنا عليه بأن يكشف عنه ، لينتفع به الكتاب والمؤرخون ، وأن يقدمه إلى
عارفى فضله وصفوة محبيه . فأجاب بعد إحجام ، واستمع لهذه الرغبة المخلصة ، ودفع
إلينا بهذا الكنز الثمين ، وهذه الجوهرة النفيسة . وذلك السفر الضخم الذى تقدمه ،
تحفة نادرة إلى كل مخلص أكيد ، يحب العرب وبلاد العرب ، ويقدر لسعادة
المؤلف الفاضل — كما قدرنا من قبل — بلوغه الشأو ، ووصوله إلى الغاية ، فى كل
ما يقدم من بحث وتفكير .

ابراهيم الكندي

تمهيد

لهذا الكتاب قصة بدأت منذ بضع عشرة سنة ، فقد كتبت في أعقاب رحلة قمت بها في بلاد عسير كنت أسجل مشاهداتي خلالها في مذكرات يومية ، ثم أضفت إليها المعلومات التفصيلية التي كنت أستقيها من مصادرها . وكنت أرجو أن تتاح لي الفرصة لنشرها في وقت لم أكن أتوقع أن تطول به الشقة ، ولكن الأحداث التي توالى منذ فرغت من وضع الكتاب وكثرة الأسفار وتوالى عدم الاستقرار حال دون تحقيق مبتغاي .

وقد ظلت مسودّات الكتاب رهينة محبسها ، حتى تراءى لي مؤخراً أن نشرها فائدة للذين يهتمهم أمر الاطلاع على شئون منطقة هامة من مناطق المملكة العربية السعودية ، وعلى أحوال بلاد ما زالت بكرأ لم تكتسحها مؤثرات الحضارة الحديثة . والآن أتقدم بها إلى القراء على الحال التي كتبت بها دون أى تغيير أو تعديل ، على الحال التي دوّنتها بها ، حتى تجيء صورة طبق الأصل لما انطبع في الخاطر في تجوالاتي إبان تلك الرحلة ، وعذرى في ذلك أن محاولة تحويرها أو تبديلها — برغم ما يمكن أن يكون له من الفوائد — يمس طرفاً الكتاب ويؤثر في الصورة الأصلية التي أردت إخراجها عليها .

وإني لأرجو أن يتلقى حضرات القراء كتابي هذا بما هو أهله ، وبالله العون

بومنه التوفيق .

فؤاد صمزة

الرياض في { غرة رجب ١٣٧٠
{ أبريل ١٩٥١

محتويات الكتاب

القسم الأول - أهل الوديان

الفصل الأول : مقدمات الرحلة

الفصل الثاني : سهل ركبة

الفصل الثالث : ديار البقوم وسبيع

الفصل الرابع : تربة والخرما

الفصل الخامس : وادي رنية

الفصل السادس : وادي يبشة

الفصل السابع : بلاد شهران

القسم الثاني - عسير السراة

الفصل الأول : بلاد عسير

الفصل الثاني : قبيلة عسير

الفصل الثالث : عمران عسير

الفصل الرابع : العادات الاجتماعية في عسير

الفصل الخامس : بلاد وداعة وقحطان

الفصل السادس : بلاد ألمع ورجال الحجر

القسم الثالث - نجران

الفصل الأول : نجران

الفصل الثاني : جغرافية نجران

ملحقاه :

خريطة عسير

خريطة نجران

القسم الأول

أهل الوديان

تاريخ الكتاب

مصر مطبوع في المطبع

مجلد اول

مجلد ثانيا

ساعة للمحقق

مجلد ثلثا

مجلد رابعا

مجلد خامسا

قائمة المحتويات

مجلد اول

مجلد ثانيا

مجلد ثلثا

مجلد رابعا

مجلد خامسا

مجلد سادسا

مجلد سادسا

مجلد سادسا

مجلد

مجلد

مجلد

الفصل الأول

مقدمات الرحلة

الأزمة مع اليمن — معدات السفر — خطة العمل — رفاق السفر — عود على بدء

١ — الأزمة مع اليمن

ليس كتابي هذا كتاباً يبحث في السياسة أو يشرح أسباب النزاع بين الملك ابن سعود والإمام يحيى والحرب والمفاوضات والصلح وما جرى خلال ذلك من أحداث جسام بين الحجاز واليمن ، وإنما هو كتاب رحلة وجغرافيا وتاريخ واجتماع . وقد كان السبب في كتابته الأزمة اليمنية — السعودية التي اشتد أوارها عام ١٣٥٢^{١٩٣٤} وقدح زنادها عام ١٣٥٣^{١٩٣٥} . هذه هي العلاقة بين هذا الكتاب وبين الأزمة اليمنية أحببت أن أوضحها بجلاء في مستهل الكلام .

الملك عبد العزيز والإمام يحيى ، حاكمان عربيان مسلمان ، كلاهما جاهد جهاد الأبطال في سبيل دينه وعروبته ووطنه ، وكلاهما خاض المعارك وناجز القروم والأبطال ، فاستتب له في النهاية ملك طويل عريض ، والعاقبة للمتقين .

اتصل ملك الملوك العربيين مباشرة واختلطت مصالحهما على حدود واحدة باستيلاء الملك ابن سعود على عسير السراة وامتداد حمايته على عسير تهامة واتصاله بأهل نجران من أيام ، وذلك بعد زوال السيطرة العثمانية عن بلاد العرب عام ١٩١٨^{١٢٢٦} ميلادية .

تطورت علاقات الملوك العربيين خلال عشر سنوات انتقضت على اتصال حدودها مباشرة تطوراً كان يلحظ في ثناياه وتضاعيفه عوامل خفية ، وأدرك كثيرون من العقلاء أنها ستؤدي حتماً إلى اللجاج في النزاع في الحرب ، وقد تنبه كثيرون إلى نقاط

الضعف في علاقات الملكين وحاولوا إطفاء الوميض الكامن فلم يوفقوا إلى اجتثائه من أصوله .

كانت الشرارة الأولى عقب احتلال الملك ابن سعود للحجاز ، فقد تطرق الوهن والضعف إذ ذاك إلى الإمارة الإدريسية في تهامة ، وتقلصت أطرافها باحتلال الجيوش المتوكلية لأكثرها وفي مقدمتها الحديدية واللحية فيدي وما صاقبها من جهة الجبال وكادت تصل إلى جيزان ، بل قد وصلت بالفعل إلى سامطة بقرب أبو عريش ، وإذا بالقنبلة السعودية المنذرة بالخطر والمخذرة لليمانيين من الاندفاع وراء أهوائهم تنقض انقضا الصاعقة . وكانت القنبلة على شكل معاهدة الحماية السعودية على بلاد الأدارسة في ربيع الأول عام ١٩٤٥ .

وكانت الشرارة الثانية في شعبان عام ١٩٢٤ حينما تقدمت جيوش الإمام يحيى فاحتلت بلادا تابعة للمقاطعة الإدريسية التي تعهد ابن سعود بحمايتها من كل خطر داخليا كان أم خارجيا . دارت المفاوضات بينما الاستعدادات الحربية من الجانبين جارية بكل همة ونشاط ، وتكلفت المساعي السلمية والله الحمد بالنجاح التام بفضل حكمة الملك ابن سعود ورغبته في السلام والسكون . جاء حكم ابن سعود على نفسه في قضية جبل العرو مثلا من المثل العليا في الشهامة العربية والحكمة والعبقرية ، فقضى على الفتنة ولكن دون اجتثاث جراثيمها .

وكانت مسألة نجران ثالثة الأتافي للموقد الذي تطايرت منه الشرارة الثالثة التي ألهبت الضرم وأججت النيران ، إذ كان كل من الفريقين يدعى بنجران دون أن يكون محتلا فعلا بقوى أحدهما . لقد أبرق الإمام يحيى للملك ابن سعود مستريبا من اتصال أهل نجران من اليامية بأمرائه في عسير ، فأراد ابن سعود أن يبعد الريبة بشكل مقبول ، فأبرق إليه برقية تأولها الإمام يحيى لمصلحته ، وكأنه قرأ فيها تنصّل ابن سعود من نجران واليامية ، فأمر جنده بالتقدم لاحتلاله بينما كان وفد ابن سعود يدخل حدود اليمن من جهة تهامة للمفاوضة في مشروع حلف عربي عظيم .

فشل الوفد في مهمته ، وتم احتلال نجران ، فلجأ أهله إلى ابن سعود يطالبونه بحمايتهم وفاء بعهدة الذي قطعه لهم منذ سنين ، ودارت المحاربة بين الملكين بالبرقيات ، وطال الأخذ والرد ، وحصل تحرش آخر آل ابن سعود وأثار حفيظته ألا وهو احتلال قسم من جباله في تهامة ، والقبض على رهائن من قبائله على الحدود ، فظهر أن الأمر أكبر من أن يحلّ بالمخابرات البرقية .

قرّر الملك أن يعقد مؤتمر في أبها للنظر في حل الخلاف ، فانتدب الإمام يحيى ابن عمه السيد عبد الله بن أحمد الوزير — أحد كبار القواد والساسة في اليمن — أمير الجيوش المتوكلية في تهامة لرياسة وفده ، ونثر الملك عبد العزيز كنانته فعهد إلى مؤلف هذا الكتاب برياسة الوفد العربي السعودي .

وكان أن توجهت إلى أبها في ١٤ شوال ١٣٥٢ (٣٠ يناير ١٩٣٤) ، وآليت على نفسي أن تكون رحلتي مزدوجة الفائدة من الناحيتين : السياسية بالعمل على إنجاح المؤتمر ، والأدبية بتدوين مشاهداتي الجغرافية وجمع المعلومات التاريخية والاجتماعية عن أحوال ما أمرّ به من تلك البلاد البكر التي لم يكتب عنها إلا اليسير وإخراج ذلك للناس في سفر . هذه هي قصة ميلاد كتابي ، وتلك هي العلاقة بينه وبين الأزمة اليمانية .

٢ — معدات السفر

يحتاج السفر في بلاد العرب إلى ترتيبات خاصة هي من مقتضيات طبيعة البلاد ، وقد أفادتني رحلاتي العديدة ما بين نجد والحجاز والأحساء فوائدا لا أنكرها ، غير أنني كنت هذه المرة قاصداً بلاداً غير مطروقة تكاد تكون معلوماتنا عنها كمعلومات صبيان المدارس ، فرأيت أن أستعد للمجهول أكثر من استعدادي المعتاد ، لاسيما لاعتزامي تدوين مشاهداتي للأماكن والمسافات والأبعاد والآبار والموارد والقبائل والقرى والأودية ، واستقصاء ما هو مجهول عنها ، ووضع خريطة للطريق يصح أن يرجع إليها .

أما من الوجهة العلمية فقد أحضرت ما أمكنني بداركه من الآلات البسيطة التي يستعين بها الرّواد في رحلاتهم ، وأعددت كشوفاً وأوراقاً خاصة لتسجيل الأبعاد والانحرافات المغناطيسية ودرجة الحرارة والبارومتر ، كما أعددت مكتبة صغيرة مما طبع من كتب الأقدمين عن بلاد العرب وعددا من الخرائط الأفرنجية ، وكانت نيتي التوغل في نجران وهو القسم المجهول حتى الآن في الجزيرة ، وجعل عودتي إلى مكة المسكرمة عن طريق كتف السراة مستعينا بالإبل والخيل على اجتيازها إلى الطائف ماراً ببلاد بني شهر وغامد وزهران ، فأكون قد جست خلال الديار التي نجهلها في الجزيرة وحققت مواضع مشهورة كالخلصة في بلاد دوس وتباله وجرش وسواها ولكني حرمت - مع الأسف - من العودة بالطريق التي كنت أقصد ، فاكتميت بالمعلومات عن البلاد التي زرتها .

أما أدواتي العلمية فقد كانت مؤلفة من :

- | | |
|-------|---------------------------|
| (١) | بوصلة مضبوطة |
| (٢) | بارومتر |
| (٣) | ميزان حرارة |
| (٤) | شريط مساحة |
| (٥) | جداول وكشوف جغرافية وفنية |
| (٦) | آلات تصوير من قياسين |
- وكان عداد السيارة يقوم بمهمة تسجيل المسافات .

٣ - خطة العمل

كنت أرى أنه مما يمس العزة القومية في الصميم ألا نقوم - ونحن أبناء البلاد وأهلها - بدرس أحوالها وكتابة جغرافيتها وتاريخها كما يفعل الأفرنج ممن تتاح لهم زيارتها فترة قصيرة فيملئون الدنيا كتابة وخطابة عن مشاهدات كثيرا ما تكون سطحية مدسوسة ، وكنت شديد الحرص على الاستفادة جهد الطاقة من كل أسفاري فأخدم بذلك العلم وأرفع عنّا سبة يوجهها إلينا الأفرنج في غير تورع ولا قصد ، فوطنت النفس في رحلتي هذه على اهتبال الفرصة السانحة لي والخروج منها بنتائج عامية باهرة ، فاستشرت أحد أصدقائي من الأفرنج المقيمين في هذه البلاد

من اعتاد القيام برحلات في البادية ، ورجوته أن يسعني ببعض معلوماته ويعيرني بعض أدواته ، ومع أنه كان لا يزال من أصدقائي فإنه كان شحيحاً بمعلوماته ضئيلاً بأدواته ، ولحظت منه أنه غير آبه كثيراً للموضوع ، بل بالأحرى لم يكن على ثقة من أن وطنيا يستطيع أن يأتي بمثل ما يأتي به الأفرنج ، كأن العلم وقف عليهم .

كل هذه العوامل جعلتني مرهف الأذنين حادّ العينين ، منقّباً عن الكبيرة والصغيرة ، محققاً جزئيات الأمور ودقائقها ، سائلاً متعلماً جامعاً للروايات والأخبار ، مهتماً بكل ما تقع العين عليه أو تسمع الأذن به أو تمسه اليد .

واصطحبت صديقاً من المهندسين لكي يفيدني في أخذ قياسات الانحراف المغناطيسي ورسم خريطة الطريق ، كما اصطحبت من كل منطقة يمتتها دليلاً خبيراً بها .

كنت أجمع أسماء الأماكن والمواقع والآبار والأشجار والأخبار من الأدلاء والخبراء المرافقين أو المصادفين في الطريق ، وكانت ظروفى مواتية للبحث بدقة ، إذ كان علىّ أن أبحث مع وفد اليمن في مقاطعات الحدود ، وهذا لا يمكن إلا بجمع المعلومات الصحيحة المفصلة الدقيقة عنها وعن سكانها وما فيها ، الأمر الذي أفادني فائدة كبرى ما كانت تتسنى لغيري في ظروف غير ظروفى . وبالفعل لم يمكّ عني أحد معلوماته ، ولم يدخر وسعاً في سبيل إطلاعي على كل ما أريد من أهل الخبرة والدرية ومن رجال الحكومة وأمرأ القبائل والموظفين وغيرهم ، وكنت أعرض المعلومات بعضها ببعض فيظهر لي صريحها من هجينها وغشها من سمينها ، ولذلك فأنى واثق من أن ما أعرضه في هذا الكتاب من المعلومات هو أدق وأصح ما يمكن الحصول عليه .

أما الأرصاد العلمية فإننا كنا نتخذ عداد السيارة أساساً لقياس المسافات ، وكنا نعارض عدادى السيارتين ليتبين لنا الفرق بينهما ، وحينما ظهر لنا أن الفرق بين العدادين جزئياً جداً قررنا الاعتماد على أحدهما ، وبناء على ذلك فقد وجهنا اهتمامنا

إلى تسجيل قراءات الانحراف المغناطيسى فى البوصلة فى مسافات معينة ، وكانت القراءات فى الأماكن الفسيحة السهلة أقل منها فى الأماكن المنعرجة أو الكثيرة المنحنيات . لقد أخذنا مثلاً ٤٩ رسداً من بئر القرشية فى أطراف ركبة إلى جهة الطائف إلى آبار بريم فى طرف حَضَن الشمالى ، والمسافة بين الموضعين ٩١ كيلومتراً ، وأخذنا ٤٨ رسداً للانحراف من بريم إلى الحرمه فى مسافة تبلغ ٦١ كيلومتراً .

وأما الاتجاهات التى كنا نرصدها فقد كانت دائماً اتجاهات طريقنا ، وكنا نعتمد على مشاهدة شجرة أو قلعة لنسجل الرصد عليها ، غير أننا وجدنا أن عملنا يكون أضبط وأدق لو تقدمتنا السيارة الكبيرة لنتخذها هدفاً للرصد .

وكانت الأرصاد فى بعض الأحيان كثيرة عند المنحنيات ، كما كنا نأخذ أرصاداً متعددة من نقطة واحدة إلى اتجاهات مختلفة عن اتجاه طريقنا . فى نقطة واحدة فى القرشية أخذنا خمسة أرصاد فى اتجاهات مختلفة ، وفى مواضع أخرى كانت الأرصاد تبلغ ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب الظروف ، وجل قصدنا من هذا الدقة فى تسجيل الصفات البارزة على الطريق وأطرافه ؛ علنا نتمكن من رسم خريطة مضبوطة يصح الاعتماد عليها ، وكنا نسجل إلى جانب دفتر الأرصاد شروحاتاً عن ظاهرات الأرض وطبقتها والشجر والمياه والأودية والقرى ، وعلى الإجمال كل التفاصيل التى يجب الوقوف عليها .

وكنا نسجل درجة الحرارة ثلاث مرات فى اليوم ، صباحاً وظهيرة ومساءً .
وأما (البارومتر) فكنا نسجله كلما تراءى لنا أننا فى صعود وارتفاع ، وكنا نسجل القراءات بالإنش وأقسامه وبالقدم أيضاً ، لأننا نعلم أن استحصال الارتفاع بتعديل قراءات (البارومتر) على درجة الحرارة أدق من قراءة الارتفاع بالأقدام .

٤ — رفاق السفر^(١)

أكثر ما ينطبق المثل القائل « الرفيق قبل الطريق » على السائح فى بلاد العرب ،

(١) من المعلوم أن رفاق السفر غير رفاق المؤتمر . اشترك معى فى المؤتمر الشيخ عبد الله ابن زاحم قاضى معسكر الأمير سعود ، والشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة مدير مالية عسير والشيخ دليم ابن محمد أبو لمة أمير قحطان عسير ، والشيخ تركى بن ماضى أمير غامد وزهران .

في البادية ، في المجاهل والمفاوز ، وقد كنت كذلك ، ولو كنت سأبحا في غير الجزيرة لما اهتمت بالبحث عن الرفيق قبل الطريق .

كنا نجمل ما تأتينا به الأقدار بعد وصولنا إلى (أبها) واقترابنا من منطقة الخطر ، ولذلك اخترت رفاقي ممن يعتمد عليهم وقت الشدة ، فكان في مقدمتهم المهندس محمد كنعان خريج الجامعة التركية في إستانبول ، وهو من شباب العرب الذين اشتركوا في أكثر الحركات العربية ، وقد كان وجوده معنا مساعدا على أخذ القياسات وتسجيل الأرصاد ودراسة حال الطريق ، فضلا عن أنه كان مصدر أنس وتبسط بسبب بعض الصفات البوهيمية فيه . أذكر ويذكر رفاقي بكل اغتباط وقائع مسلية كان بطلها وفارسها كنعان . لقد افتتح الرحلة بنكته ظلت وقتاً طويلاً باعثاً على الضحك والانبساط . حين ركوبنا من مكة المكرمة كان نصيب كنعان في سيارتي الخاصة ، فوجد فيها بنادقنا ومسدساتنا وبنادقية الصيد وقرطيس الخرطوش ، فانتقد وجودها فيها ، واقترح نقلها إلى مكان متسع في السيارة التي تتبعنا ، مع كوننا مسافرين إلى ساحة الحرب وقد نضطر إلى الاشتراك في المعارك . ولا نسل أيها القارئ العزيز عن ابتهاجنا بهذا الاقتراح ولمزنا لكنعان بسببه . وكان أن وصلنا إلى مكان بقرب السيل الصغير على طريق الطائف ، فنغد بنزين سيارتنا ، ومكثنا ساعتين في انتظار السيارة الكبيرة لئلا نخزان سيارتنا مما تحمله من وقود ، وهناك قلنا لكنعان : وما رأيك لو كنا في البر وصادفنا صيداً ، أو وحشاً كاسراً ، أو عدواً ، ألا يحسن بنا أن نرجوه الصبر والتأني حتى نأخذ سلاحنا من السيارة الكبيرة ونستعد لمقاومته حسب اقتراحك ؟ ! . هذه النكته وكثير غيرها يدل على روح كنعان الخفيفة وطبيعته الساذجة البريئة .

والشخصية الثانية في الرفاق بعد كنعان : سكرتيري الخاص محمد شيخو ، وهو أليف الأسفار ورفيق المسافر ، صحبني في كل أسفاري في البدو والحضر ، وأصبحت له ملكة في إعداد معدات السفر وإدارة الرفاق .

وهناك تابعان خصوصيان لخدمتي الشخصية ، وهما مكلفان بكل ما يتعلق
بشخصي فقط .

وهناك « القهوجي » ، وهو زميل الرفاق وسيرهم ، تجمعهم أكوابه وأباريقه ،
وعنده الحلقة الكبرى ساعات الحل وأوقات الاستقرار .

وهناك أيضا شخصية عقيد الحملة الذي هو بمثابة رئيس للأتباع ، ووظيفته
الإشراف على الخيام والمياه والخطب ، وإصدار التعليمات إلى رفاقه بالاستعداد للسفر ،
أو بالتوقف عنه ، أو بنصب الخيام ، وهو همزة الوصل بين السيارة الصغرى وبين
ما يتبعها من سيارات الرفاق .

أما الطاهي ومعاونه وأدواته فإنه لا يقرن « بالقهوجي » إلا إذا صفتت المعد من
الجوع وألحت في طلب الطعام ، عندئذ يهرع الكل إلى قدره ، هذا ينفخ في النار
وذاك يوقد الخطب ، وغيره يذبح الذبيحة ويسلخها ، وآخر يجلب الماء ، والكل
في تلك الساعة أتباع للطاهي . أما إذا امتلأت البطون وعافت الأنفس الطعام ، ترفع
الرفاق عن الطاهي ، وعاد هو إلى وحدته لايؤنسه فيها إلا معاونه .

أما السائقون ومعاونوهم فإنهم يتعبون في السفر ليستريحوا وقت الإقامة ، إذ
ما يكاد يصل السائق بسيارته إلى المقيبل أو المعشي أو المضحي ، وما يكاد يترك عجلة
القيادة حتى ينبطح على الأرض في ظل سيارته أو في ظل شجرة .

والشخصية الفذة في السفر هي شخصية الدليل أو الخبير ، وهو في الغالب بدوي
من أهل الديار التي نجتازها ، ويختار عادة من البادية ، لأنه أوسع خطى ، وأبعد
مدى ، وأعلى كعباً من الحضري الذي تنحصر معلوماته في الحواضر وما جاورها .
وقد استخدمنا أدلاء كثيرين ، فكان فيهم الخفيف الروح والثقل الظل والماسر
بييع معلوماته والمبالغ في الوصف والمقل المقتر .

٥ — عود على بدء

لم تتح لي الظروف الفرصة التي أردت ، فقد اصطدمت مفاوضاتنا بعقبة كؤود لم يمكن تذليلها ، وانقطعت المفاوضات بين الوفدين في (أبها) ، فانتقلت إلى يد المالكين من جديد ، ومكثنا في (أبها) مدة لم نضعها عبثاً ، فقد جُسنا خلال بلاد عسير وما جاورها من بلاد شهران ؛ وتفقدنا العقبات الثلاث المشهورة ، وأرسلنا المهندس للكشف عن أسهلها وأقربها تناولاً ، لشق طريق منها إلى تهامة لعبور السيارات ، واجتمعنا بأعيان البلاد — وقد جمعتهم دعوة الحرب — في مخيم سمو الأمير سعود ولي العهد في بلاد شهران ، واتصلنا بأشخاص ما كان الزمن يسمح بالوصول إليهم ، فضلاً عن الاتصال بهم ، لولا حالة الحرب وضرورتها ووجوب الوقوف على كل شاردة وواردة مما يتعلق ببلادهم ، فجمعنا معلوماتنا وربناها وبوبناها على قدر الإمكان ، وعارضنا الأقوال والروايات ، إلى أن قنعت بأنى لم أترك أمراً هاماً ما قيدته ، ولا خبراً من أخبار القوم ما دونته ، فإن كنت فشلت في إكمال رحلتي على النحو الذي رسمته لها ، فقد وقفت في جعل القسم الذي قمت به من الرحلة ناجحاً موفقاً .

الفصل الثاني

ركبة

السمر في القمر - عكاظ - آبار القرشية - سهل ركبة

١ - السمر في القمر

غادرنا الطائف عصر يوم الثلاثاء الواقع في ١٥ شوال سنة ١٣٥٢ (٣١ يناير سنة ١٩٣٤) وكُنَّا في ركب سمو الأمير فيصل ، فأرادنا على أن نسمر في أحد الأودية في أرض الجُدَيْرَة ، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً من الطائف ، وناهيك بالسمر في الخلاء تحت أديم السماء الصافية الزاهية ، والقمر بدر ينير الأرجاء ، فتنعكس أحسن صور الليل القمر ، وترسم أجمل المناظر في الصحراء المرتفعة . ومجلس الأمير فيصل جزل بالنكتة عاصر بالمحاورات الأدبية النثرية والشعرية العامية ، ويتخلله نوع من إنشاد الأشعار يسمى بالردح ، وطريقة الردح أن ينقسم المجتمعون والشعراء فريقين فيلقى أحدهم موضوعاً للإشاد فيه ، وعلى شعراء كل فريق أن يردوا بيت شعري ، ولا يجوز التكرار لا في المعنى ولا في القافية . وكل يحاول بث روح الحماس في شعرانه ، فترى هؤلاء يتسابقون إلى إلقاء البيت المنشد على البديهة ، ويظل رفاق الشاعر يرددون البيت حتى يفتح الله على شاعر في الفريق الآخر للرد عليه ، وهكذا دواليك .

عاشرت الأمير فيصل في بلاد التقاليد والتمدن ، وفي الحفلات والولائم الأوربية ، وعاشرته في الحجاز وفي نجد ، كما عاشرته في بعض نزهاته الخلوية ، وإذا به أمير المجالس أينما كان ، متمدن في بلاد التمدن ، بدوي بين البداوة ، فارس مغوار بين الفرسان متى أطلقت للخيل أعتها . ففي هذه الليلة أرسل الأمير نفسه على سجيّتها محاكياً بذلك البداوة الساذجة فتمثّل أميراً أعرابياً ؛ يشارك قومه ما هم فيه ،

فيشترك معهم في إيقاد النار وشواء لحم الضأن على طريقة البدو ، ويأكل الشواء
الناضج على الرماد الحار أو المطبوخ في جلد مدفون بالرماد .
من أراد نشاط البرّ، وطلاوة العيش الحرّ في الخلاء والقفر، فعليه بمجلس الأمير
فيصل ، ففيه الغذاءان العقلي والجسماني ، ولكن أين نحن الآن مما نحن مقبلون
عليه ؟ ودّعنا الأمير في آخر السهرة ، وسرت بنا سياراتنا تنساب في ضوء القمر .
وكانت الليلة عامرة ، وكان الهواء عليلًا ، وكل ما في الليل من رفق وهدوء وعذوبة
يبعث على الاغتباط ، فوصلنا حوالي منتصف الليل إلى آبار القرشية في طرف ركبة
من جهة الطائف ، حيث اعتزمنا تمضية ما بقى من الليل ، لكي نتمكن من القيام بواجبنا
العلمي الذي أخذناه على عاتقنا في وضح النهار .

٢ — عكاظ

قد يخال القارئ أني أقصد تسمية مجلس الأمير فيصل عكاظًا ، والواقع أني
أقصد عكاظًا آخر ، أقصد عكاظًا الصحيح الذي لا يوجد من يعرف العربية دون
أن يكون قد سمع بعكاظ وسوقه .

وليس هذا الكتاب موضوع بحث عن عكاظ ، فلذلك مقام آخر^(١) ، غير أني
— في مطلع رحلتي — عرفت عنه أمرًا مضى على وقت غير قصير لم أوفق إليه .
كنت أبحث عن عكاظ وموقعه ، وأجمع المعلومات وأتفقد المواقع التي ورد ذكرها
في أخباره ، وكنت أعلم أن موقع السوق مختلف فيه ، وأنه بجوار « نخلة » بينها وبين
الطائف ، أو عند ذات عرق بينها وبين قرن المنازل ، وأنه جرت بقربه حرب
الفجار أيام الحريرة والأثيداء وشرب ، وأن في أطرافه العبيلاء والفتق وغيرها
من المواضع ، وبرغم كل محاولاتني لم أستطع تعيين أكثر هذه الأماكن على وجه
التحقيق ، ولكنني اكتشفت خبر شرب ليلة سمري في مجلس الأمير فيصل ،
وإليك البيان :

(١) وضع المؤلف رسالة عن « عكاظ » وتحقيق موضعه لم تطبع للآن .

بين الطائف وذات عرق جبال وهضاب وسهوب تقسم المياه إلى خطين مائلين ،
فالخط المائل الغربى تجتمع مياهه فى أودية السيل الصغير ووادى المحرم (قرن
المنازل) والكفو والسيل الكبير ، وأما الخط المائل الشرقى فإنه يصفى مياه السفوح
والهضاب الشرقية .

تعرف الأرض المستوية الممتدة من جوار بلدة أم الحمض إلى الربوة بأرض
الجديرة ، وتجتمع المشارب ومجارى السيول فى الجديرة فى واد كبير هو وادى شرب
الوارد ذكره فى قصة الفجار وعكاظ . ويمتد وادى شرب من الربوة إلى قرب
الأخضر ماراً بالضلع الصالح والعقرب والمبعوث ومجتازاً ضلع الخالص وضلع الكليّة
إلى القرشيّة ، ثم تغور مياهه فى سهل ركبة فى مكان اسمه الخاش .

وركبة تبتلع كثيراً من مياه الأودية القادمة من جهة الطائف ، فهناك غير
وادى شرب الذى يعدّ من أعظم أودية هذه الجهة والذى تصب فيه المياه المتجمعة
فى سبيل القيم وأم الحمض والربوة والجديرة ، هنالك وادى العرج ووادى ليّة
وغيرها .

أفادنى هذا الاكتشاف فائدة عظيمة فى إقناعى بمكان عكاظ الصحيح ، وكنت
من قبل قد لمست أطراف الحقيقة فى أبحاثى وتحريّاتى عن موقعه ، وشرعت فى
تكوين فكرة سليمة له ، فجاء خبر شرب قاطعاً جازماً بصحة الفكرة وقاضياً على
كل شك فيها .

كنت أذهب قبل اكتشافى الحالى إلى أن السهبّ الواقع بقرب جبل القانس
بين السيل وذات عرق هو المكان الذى يحتمل انطباقه على عكاظ أكثر من غيره .
وكانت الروايات مترادفة بأن مكان عكاظ هو الحبل المعروف باسم القهاوى عند
أعلى مجرى السيل الصغير على بعد ٣٥ كيلومتراً من الطائف .

وكنت أقرأ فى كتب الأدب والجغرافيا عن تعريفات عكاظ المختلفة ، ما يفيد
أنه سوق بصحراء عندها صخرات ملساء وبجوارها الفتق وهو لبنى نصر والعبيلاء ،

والآن تعرف باسم العبيلاء ، وكل هذه الأوصاف تنساق بكل صراحة للدلالة على المكان الواقع في طرف ركبة الجنوبي — الشرقي بين أودية شرب والأخضر والعرج وبين جبل المبعوث والخلص ، ليس بعيد عن بلدة الأخضر ، فجاء اكتشافي الحديث مؤيداً لصحة ما ذهبت إليه . وإني لأرجو أن تتيح لي الظروف فرصة لإخراج رسالتي عن عكاظ عليها تكون أساساً محمّداً لموقع سوقه يبني عليه في المستقبل .

٣ — في آبار القرشية

تبعد القرشية عن الطائف ٥٥ كيلومتراً . وهي آبار في مجرى شعيب شرب قبل أن يغيب في ركبة عند الخاش ، تقع إلى الجنوب الغربي من ركبة ، وتقع عشيرة إلى شمالها ، والمسافة بينهما قصيرة ، والمتجه من مكة المكرمة إلى الخرمة لا يظأ آبار القرشية بل يمرّ على عشيرة ومنها إلى ركبة فبريم رأساً ، وأما المسافر من الطائف إلى الخرمة فلا بد له — قبل الدخول في ركبة — من التزوّد بالماء من القرشية ، إذ لا يصادف بئراً أخرى قبل برّيم على بعد ٩١ كيلومتراً منها .
كانت درجة الحرارة حينما وصلنا القرشية ليلاً ٢٠ عشرين ، فلما أفقنا عند الفجر هبطت إلى عشر .

مشينا من القرشية حوالي الساعة الثامنة صباحاً ، وأركبنا معنا الدليل الشيباني ليدلنا إينا بمعلوماته عن ركبة ، وهي ديرة لعتيبة كما هو معلوم ، وقسنا الاتجاهات المختلفة من القرشية لتعيين موقعها بالدقة فإذا هي واقعة في مكان مشرف على عدة جبال بارزة في أطراف ركبة هي :

١ — وقير . ٢ — الوقيرات . ٣ — الخلص . ٤ — الكليّة ، ثم أمامنا

سهل ركبة المنبسط .

كان الشيباني خفيف الروح دقيق الملاحظة ، رفع عقيرته — عقب تحرك السيارة — منشداً أغنية بدوية في مدح السيارة ومقارنتها بالذلول والفرق بين سرعة الاثنتين :

ركبت في موتر^(١) يوضي^(٢) بلماعه يعوضني عن النضي^(٣) سلسات الاقران
ممشاة عيس النضي يومين له ساعة وإذا برأكبه يُخَبَّرُ بالعربان
راكبه اللي^(٤) مايفديه^(٥) الدليله غير من رأس العمود القَضْبَان^(٦)
البدوي كالبعير قد يكون أليفاً وقد يكون شروداً ، وقد يكون ظريفاً حاضر
البدية خفيف الظل أو يكون كسائر البدو جفاة عراة حفاة . ويشترك البدو في
غريزة الخوف من القوى والحذر من المجهول ، والطمع الشديد ، وكثرة السؤال
والاستيضاح دون أن يمكن البدوي مخاطبه من أخذ أخباره وكشف أسراره ، وقد
اجتمعت في صاحبنا أوصاف البدو العامة ، ولكنه كان من القسم المقبول المستساغ .
أما من حيث المعلومات عن أحوال ديرته فكان سيئويه عصره ، وأصمعي
مصره ، عرف بقاع الأرض رقعة رقعة ، وخبرها من طفولته شبراً شبراً ، وجاس
مفاوزها ، وسبر غورها ومجاهلها ، ورأى ليلها ونهارها ، وجرب صيفها وشتاءها ،
وعرف الشجر والعشب والنبات ، وعرف على الإجمال كل ماله اتصال بحياته اليومية منها
سألته عن أمر ما استطعت حلّه منذ سنوات ، فحل لي الإشكال بكلمتين ،
وكشف المغطى بدون أقل عناء . كنت أخلط بين شجر السَّمِّ والسَّمْرِ والطلح ،
وكلّهما من فصيلة « الأ كاسيا » البرية ، وتتشابه جذوعها وسوقها وأغصانها وأوراقها
وأزهارها تشابهاً عجيباً ، فلما سألته عن الفوارق بينها أجاب على البديهية : « تفرّق
بشوكها ، فشوك السَّمِّ دقيق وشوك السَّمْرِ أكبر قليلاً وشوك الطلح أكبرها » .
بوركت أيها الشيباني ، وزادك الله علماً ياراعى الجميلة ، لقد حلت لي معضلة عالجتها
كثيراً وفشلت في معرفة كنهها ، فكنت في نظري سيد العارفين وإمام النباتيين .

٤ - سهل رُكبة

رُكبة ، اسم يطلق على سهل فسيح من الأرض المنبسطة يبلغ طوله زهاء مائة

(١) سيارة (٢) يضيء (٣) اللؤلؤ : السهولة القيادة (٤) الذي (٥) يكفيه

(٦) عمود القيادة في السيارة .

كيلومتر وعرضه أقل من ذلك بقليل ، وهي محصورة بين هضاب ومرتفعات جبال الحجاز عند المبعوث والوقيرات من الجنوب ، وحَضَن وما اتصل به من الجبال المتجهة من الجنوب إلى الشمال من جهة المشرق ، والحرّة المسماة بحرّة البس من جهة الغرب ، وأما من جهة الشمال فإنها تنتهي عند الهضاب الواقعة بين بُرَيْم والحلمة والمويّه ودحروج وسيسد والأشفيان وجبال المويه .

وركة من أهم المراعى لقبيلة عتيبة ، ويكثر فيها العشب والشجر ، وأهم شجرها السمرة وفيها أيضاً الطلح والوهط والسرح ، غير أن الأول أعمها وأكثرها . وأما أعشابها فالعراذ والخصاب والعجلة والنصي والثمام والهلتة والقطف . وشاهدنا قليلا من نبات الحنظل والسنا والعشوق .

ويكثر الظبي الأشهب في ركة ، ولكنه شرع في هجرها منذ إدخال طريقة صيده بالسيارات . وقد كان من قبل يفر من الجبال إلى السهل ، فانعكست الآية الآن وأصبح فراره من السهل إلى الجبل حذراً من السيارات . ومع أن ما صيد منه خلال السنوات الأخيرة يبلغ الآلاف فما زالت قطعانه كثيرة جداً .

ومياه ركة قليلة ، وليس فيها بئر واحدة برغم خصب أرضها وإحاطة الجبال المرتفعة بمنطقتها ، والآبار توجد في أطرافها من سائر الجهات ، وأهم هذه الآبار :
١ — عشيرة ، ٢ — القرشية ، ٣ — سامودة ، ٤ — بريم ، ٥ — صلبّة ،
٦ — حراضة ، ٧ — البديعة .

ومع أن الجبال محيطة بركة من سائر جنباتها كما مر بك ، فإن من توسطها لا يشاهد إلا أفقاً مترامياً لا يعلوه أثر مرتفع كالسائر في اليم لا يرى إلا السماء والماء ، ولذلك فإنها مخيفة ويخشى من التيه فيها ما لم يكن الإنسان عارفاً بمدخلها ومخارجها . ذكرنا أن جبل حَضَن^(١) يقع إلى الشرق من ركة ويحدها من الفيافي الشرقية الواقعة إلى جهات عرق سبيع ووادي الدواسر ، ولكن هناك سلسلة من الهضاب

(١) يروى في الحديث : (من رأى حضناً فقد أجد) .

القليلة الارتفاع تقع بين ركة وحضن ، وتعرف باسم البرقان نظراً لبياضها واختلاف لونها عن لون حضن الأسود .

وقد سمى لنا الدليل عدداً غير قليل من الأبارق والجبال ذوات الأشكال العجيبة المخروطية أو الهرمية أو المسنمة . وتنتهي ركة من جهة الشمال على طريق الذهاب إلى بريم عند أبرق النوار على بعد ٦٢ كيلومتراً من القرشية . وأما الجبال التي يمر بها المسافر بعد أبرق النوار فهي دحروج الأيمن ثم النميلة ثم دحروج الأيسر لوقوعه عن يسار الطريق ثم عدامان وعدامة ثم سيسد ويدخل بعد ذلك في منطقة حضن وما جاورها ، وهو ما سنصفه في موضع آخر .

حينما مشينا من القرشية كانت الأرض أرض العراد والسمر ، وبعد مسير ٣٦ كيلومتراً قل العراد والسمر وكثر الخطاب والعجلة ، وبعد خمسة كيلومترات أخرى عاد السمر والعراد يخالطه شجر الوهط ، وكلما توجهنا شمالاً بشرق ظهرت لنا قمم جبل حضن السوداء مستعرضاً من الجنوب إلى الشمال ، وبينها وبين ركة البرقان . فإذا سارت السيارة ستة كيلومترات بعد أبرق النوار أي ٦٨ كيلومتراً من القرشية بدأت أرض كأنها جبال من الحصباء السوداء بينها خيب ، ويكون هنا بدء الانحدار قليلاً . ثم نصادف صخوراً ابتدائية تشبه الصخور الرسوبية ، ثم حصباء مرة أخرى لمسافة بضعة كيلومترات حتى ندخل بين الجبال حيث يكون دحروج الأيسر على بعد حوالي ٣٠٠ متر عن الطريق . وتمر الطريق في نقطة بين جبل البرما الذي هو منتهى جبل حضن من الشمال وبين جبل البتيلة . وبعد مسيرة خمسة كيلومترات تصبح الطريق محصورة بين الجبال التي ذكرناها من قبل وهي النميلة على اليمين وعدامة على اليسار وسيسد إلى الراء ؛ وبعد مسيرة بضعة كيلومترات أخرى في أرض متحولة من رخوة إلى حصى إلى حرة إلى رملية ، تتغير استقامة الطريق من الاتجاه الشمالي الشرقي إلى الشرق تماماً ، ثم تميل إلى الجنوب الشرقي بعد أن تدور حول خشم جبل البرما فتصل إلى آبار بريم الثلاث .

الفصل الثالث

ديار البقوم وسبيع

الطريق إلى الحرما — البقوم — وادى تربة ووادى سبيع — قبيلة سبيع

١ — الطريق إلى الحرما

تبعد الحرما عن آبار بريم ٦٦ كيلومتراً ، وتسير الطريق في استقامة شمالية حتى تصل حرة الرحيان بعد كيلومترين تقريباً ، وليست هي من الحرار العظيمة ، بل هي عبارة عن جبلين من الحجارة السوداء بينهما خُبة ، ويبلغ طول الطريق وسط الحرة حوالي الخمسة كيلومترات .

ثم تعتلد الطريق بعدد الحرة وتسير في أرض سهلة متماوجة ذات قاع صلب الظاهر رخو الباطن مسافة ١٦ كيلومتراً ، ثم يعترضها واد مشهور يسمى « وادى القطان » ، وهو الحد الفاصل بين ديرة البقوم أى حضن وتوابعه وبين ديرة سبيع ، ويبعد عن البريم ٢٣ كيلومتراً ؛ والوادى المذكور مجتمع المياه المنحدرة من حضن الشمالى ، وتصب فيه شعبان كثيرة ، ثم يمتد مسافات بعيدة إلى أن يغور بقرب جبل الأشفيان . وعلى بعد ٣٠ كيلومتر من وادى قطان تصل الطريق إلى سبخة جفجف ، وحينما يكون المسافر في منتصفها يشاهد إلى اليمين حرة الكلبة وهي قسم من البقوم ، بعد أن قطعنا بريم ، أصبحت خربة دليلنا محدودة ، فهو برقاوى عتيبي ، والأرض من البريم إلى الحرما ملك للبقوم وسبيع ، وهم أعداء عتيبية وكانوا معهم قوماً^(١) . ولم يكن يتسنى لهذا الدليل قبل حكم ابن سعود أن يظعن بمواشيه إلى هذه الديرة ، ولذلك بدلناه بغيره في الحرما .

(١) قوم : أعداء

٢ - البقوم

ينتسب البقوم إلى الأزد ، وهم - بادية وحاضرة - أهل قوة وبأس . جبلهم المنيع حضن ، ومركزهم بلدة « تربة » والقرى التابعة لها . ومُحَارِبَتُهُمْ يبلغون الألف أو يزيدون ، غير أنهم صمدوا لجيرانهم من عتيبة وسبيع وقحطان وثبتوا على حربهم ، وهم إلى عتيبة أميل وأقرب ، وتنقسم القبيلة إلى خمس بدائد : ١ - المرازيق ، ٢ - الموركة ، ٣ - الكلبة ، ٤ - الرواجح ، ٥ - الفواصل .

ومن البقوم حاضرة استقروا في بعض بلدان نجد مثل قرية القصب التي يسكنها آل زاحم ؛ ومثل عائلات آل سويد وآل غدير وآل فائز وآل عوجان .

قلنا إن البقوم كانوا أعداء سبيع وكانوا يتنازعون على المراعى والموارد ، ولكن ابن سعود ألف بين قلوبهم ووجد كلمتهم . فلما تنازع أهل الحرم من سبيع مع أشرف مكة المكرمة وقف البقوم أهل تربة إلى جانبهم وحاربوا معهم جنبا إلى جنب . والمعركة الشهيرة بين الإخوان وقوات الأشرف إنما وقعت في تربة التي هي مركز البقوم . وليست للبقوم إمارة قائمة بذاتها مثل سبيع ، بل إن أميرهم يعينه ابن سعود من رجاله ، وسنأتى على طرف من أخبارهم في موضع قريب .

٣ - وادى تربة

وادى تربة أو وادى سبيع هو أحد الأودية الرئيسية الستة التي تتجمع فيها مياه الشعبان والسيول المتكونة من الأمطار التي تهطل على السفوح الشرقية لسلسلة جبال السراة ضمن حدود المملكة العربية السعودية وأقربها إلى الشمال (١) .

وينشأ هذا الوادى من أطراف جبل حضن الجنوبية وما جاوره من السلاسل والهضاب ، ويسير في ديرة البقوم مسافة طويلة حيث تقوم على جانبه بلدان البقوم

(١) الأودية الستة اعتبارا من الشمال إلى الجنوب هي : ١ - وادى تربة ، ٢ - وادى رنية ، ٣ - وادى بيشة ، ٤ - وادى تثيث ، ٥ - وادى جبونة ، ٦ - وادى نجران . وسيرد ذكر هذه الأودية مفصلا في مختلف أقسام الكتاب .

التي أهمها تربة المشهورة بواقعتها الحربية عام ١٩١٩ بين الإخوان والأشراف مما
سندكره في موضعه القريب . وحينما يصل الوادى إلى المكان المسمى « الغريض »
على بعد ٦ ساعات للمطية من الحرما ، تكون حدود البقوم من جهة الجنوب الغربى
قد انتهت ، وتبدأ حينئذ حدود سبيع عند المروة المجاورة للغريض ، كما تبدأ هذه
الحدود من الناحية الأخرى عند وادى قطان المار ذكره . وهذه أسماء القرى الهامة
والموارد الشهيرة الواقعة على أطراف الوادى اعتباراً من دخوله ديرة سبيع :

- ١ — الغريض .
- ٢ — القرين : وهى عين ماء وقعت بجوارها معركة حامية بين الإخوان
والشريف شاكر .
- ٣ — حوقان : وهو مجمع مياه ونخيل وقصور .
- ٤ — (الحرما : وهى أكبر بلدان سبيع على الوادى ، وتقع على ضفته الغربية ،
وتتألف البلدة من قسمين : أولها الحرما القديمة أو القصر العتيق ، وثانيهما هجرة
خالد بن لؤى التى أنشأها فى الحرب العامة .)
- ٥ — الدَّبَيْلَة : ماء ونخيل .
- ٦ — الدُّغَيْمَة : على ضفة الوادى اليمنى .
- ٧ — السَّلْمِيَّة : على الضفة اليسرى .
- ٨ — الوطاة .
- ٩ — أبو جُمَيْدَة .
- ١٠ — الحِنُو ، وهو ماء لا نخيل فيه ، وقعت فيه معركة عظيمة بين الإخوان
والشريف شاكر .
- ١١ — الشَّف ، والحنفا ، والقنصلية ، وكلها مياه على الوادى ولا نخيل فيها .
وينتهى الوادى فى عرق سبيع ويغور فى رماله ، ويمكن اجتياز المسافة من
الغريض فى أعلى حدود سبيع على الوادى إلى العرق فى أربعة أيام على المطية .
ويمكن تخمين طول الوادى من علوه إلى مصبه بمسافة مائة وعشرين كيلومتراً .

٤ — (قبيلة سبيع)

تقيم قبيلة سبيع في الوادي المعروف باسمها (وادي تربة) . وفي وادي رنية ، وفي أطراف حرّة سبيع وعرق سبيع ، وهي من أهم القبائل في هذه الجهة ، ولها قسم آخر يقيم في العارض المحسوب بادية لنجد ، كما أن كثيرين من سبيع قد تحضروا وسكنوا قرى نجد .

ويحيط بقبيلة سبيع في ديرتها : قبيلة عتيبة من الشمال والشمال الغربي ، والبقوم من الغرب والجنوب الغربي ، وقبائل الحجاز وبيشة وغامد وزهران وأكّاب من الجنوب ، والدواسر وقحطان من الشرق .

ويحدّهم عن ديرة عتيبة مفيض وادي قطان عند الخنفرية وخنشوم الرّحى وشعيب خنشل من جهة الشمال ، وماء الأيسرى الواقع بقرب خشم عرق سبيع من الشرق . ويحدّهم عن ديرة قبائل بيشة أرض الذهب التي تبعد عن رنية مسافة ٦٥ كيلومتراً إلى الجنوب .

ومركز سبيع بلدتان هامتان : الخرما في الشمال ، ورنية في الجنوب . وللقبيلة فروع وأقسام متعددة نذكرها فيما يلي :

أولاً — الذين في الخرما من سبيع :

القملة ، في السلمية

العجّرية ، في الخرما

بنو كور ، في الخرما

القريشات ، في الخرما

ثانياً — الذين في رنية من سبيع ^(١) :

(١) أما الذين في نجد من سبيع فهم :

أولاً — بنو عمرو ومنهم (١) الحضران وأقسامهم العملة والجبور والنبطة والعريبات .

(٢) الصعبة وأقسامهم الجمالين وآل علي وآل عزة .

ثانياً — بنوعاص ومنهم الفدقة والعبادين والصفافة والقعدة وبنو محمد .

المكحلة	آل محمد
الصنادلة	الرطوبة
المشاعبة	السودة
المفاحة	الفراغنة
الجهوم	الشميسات
الملوح	المراغين
المجامعة	الوزران

ولكل فريق من هؤلاء كبير ، غير أن الذين في الحرم يتبعون أميراً من الأشراف العبادل هو ابن لوى ، والذين في رنية يتبعون شريفاً آخر من العبادل أيضاً هو ابن صامل .

وقد كان السبعان — قبل حكم ابن سعود وامتداد حركة الإخوان إليهم — معادين لجميع جيرانهم من الرؤفة وبرقة من عتبية والدواسر وقحطان وأكأب والبقوم ، ولكن حركة التدين شملتهم قبل غيرهم ، فتآخوا مع البقوم ، وقاوموا عتبية التي كان أكثرها موالياً للأشراف في مكة المكرمة ، ووقعت بينهم وقائع عظيمة سنذكرها في موضعها إن شاء الله .

الفصل الرابع

تربة وخرما

الأشراف والإخوان — مقدمات تربة — الوقائع قبل تربة — معركة تربة — وقائع ووقائع

١ — الأشراف والإخوان

يطلق على النزاع الذي قام في أعقاب الحرب العامة بين البقوم وسبيع وأحلافهم من أهل نجد وبين حكومة الأشراف في الحجاز اسم «النزاع بين الأشراف والإخوان» بالرغم من أن رؤساء الاختلاف في الجانبين كانوا من الأشراف العبادل : الملك حسين وحكومته من ناحية الحجاز ، والشريف خالد بن لؤى وأتباعه من سبيع والبقوم من ناحية نجد . وقد تطوّر هذا النزاع من نزاع محلي بسيط إلى خلاف شديد بين الإخوان والأشراف ، ثمّ إلى حرب شعواء بين نجد والحجاز كان من نتائجها إقصاء العائلة الهاشمية عن حكم الحجاز وانضمام الحجاز إلى المملكة العربية السعودية . نشأ النزاع عن محاولة الشريف حسين بن علي أمير مكة المكرمة أن يسيطر سلطته ونفوذه على بلاد عتبية وحرب عام ١٩١٠ على أثر توليه شرافة مكة ، وعن اصطدامه بالحيوية الجديدة التي بعثها ابن سعود في عقائد أهل نجد وفي معاشهم بنشره تعاليم الإسلام الصحيح ، وقضائه على الخرافات والأوهام المسيطرة على أفهام الناس وحلومهم منذ أجيال . ويمكن إرجاع أسباب النزاع الحقيقية إلى عاملين جوهريين : الأول ديني ، والآخر سياسي

أما العامل الديني فهو أن السبعان والبقوم كانوا قد أطاعوا داعي التوحيد أيام آل سعود الأولين ، ونشأت بينهم وبين أهل نجد صلوات ودّ لم تُذهبها الأيام بعد أن عصفت الأرزاء بحكومة آل سعود الأولى ، فما قام عبد العزيز بن سعود بدعوته السلفية قبل الحرب العامة بوضع سنوات حتى أجابها عدد غير قليل من هاتين

القبيلتين ، وكان من نتيجة ذلك تولّد أسباب الاحتكاك مع جيرانهم المحافظين على جاهليتهم ، ونشوء حزازات ومطامع أدت إلى اكتساب الأمر شكلاً سياسياً خطيراً بين مكة والرياض كما هو معلوم . والحقيقة أنه يصعب تعيين مدى تأثير كل من العاملين أو تعيين المتقدم منهما . فمحاولة الأشراف توسيع حدودهم من الحجاز إلى قلب نجد عام ١٩١٠ كان العامل السياسي الأول والأخير فيما وقع ، ثم إن نهوض ابن سعود بأمر الدعوة الدينية الخالصة في نجد وإقبال البادية على اعتناق هذه الدعوة وامتداد نفوذها إلى قبائل الحجاز كان العامل الديني السياسي الذي خشى الأشراف شره وحاولوا صدّه ووقفه .

أسرف الأقدمون في التساهل في تحديد الحجاز ونجد ، وأين مبتدأ كل منهما وأين منتهاه ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح في إمكان أي حاكم قوى أن يدعى تبعية هذا القسم أو ذلك من البلاد للحجاز أو لنجد . ويروى في الحديث الشريف أن حدود الحجاز تنتهى حينما يشاهد جبل حَضَن ، وعلى هذا التقدير يمكن اعتبار عُشيرة وأطرافها حداً طبيعياً فاصلاً للحجاز عن نجد ، غير أن الشريف حسين لم يقنع بذلك ، فادّعى تبعية عُنَيْبَة وحرَب للحجاز على أمل الوصول من وراء ذلك إلى توسيع دائرة نفوذه وساططانه على القصيم ونجد ، ووضعته محاولته هذه في موقف التحدى لنجد ولأميرها على السواء ، وقد تفاعل الشريف حسين بما أصابه من نجاح أو صله في هجومه على نجد عام ١٩١٠ حتى القاعية وخُفَّ عند نفوذ السرِّ ، فشرع يعدّ عدته لبطء نفوذه الكامل الشامل . وديار البقوم وسبيع واقعة بين نجد والحجاز ، فأذن ليبدأن بها ولتكون مفتاح النصر والظفر .

رجع الشريف حسين إلى التاريخ فوجد في بعض مادته ما حمّله على الاعتقاد بأن في استطاعته الاستيلاء على بلاد البقوم وسبيع ، دون أن يحسب للعوامل الأخرى حسابها ، فاصطدم بإرادة الأهالي أنفسهم وبمصالح جوهرية للقائمين بأمرهم ، فنار العجاج واشتد اللجاج ، ولم تغنه قرابته من أمير الخرما ولا علاقة مكة التاريخية بالأشراف العبادل فتيلاً .

٢ - مقدمات تربة

اطلعت على رسالة بالإنجليزية وضعها المكتب العربي بالقاهرة عام ١٩١٩ لإطلاع الحكومة البريطانية على مقدمات تربة وتفاصيل حوادثها وقت اشتداد الأزمة ، فرأيت أن أسرد خلاصتها فيما يلي :

١ - في ٢٤ أكتوبر ١٩١٨ ذكر الملك حسين للكولونيل ولسن المعتمد البريطاني بجدة أن أمراء الحرم من الأشراف كانوا تابعين لمكة وكانوا يعينون من قبل الشريف ، وأنه (أى الحسين) عزل أربعة أو خمسة منهم ، وأنه بعد وفاة منصور بن لؤى والد خالد عين أخاه عوضاً عنه ، ولكنه بعد سنتين أصيب بمرض عضال قضى عليه ، فعين خالد بن منصور بن لؤى وكيلاً للأمير .

٢ - في ديسمبر ١٩١٧ ذكر الأمير عبد الله للكولونيل كورنواليس أنه — في الحقيقة — لم يحاول أحد من أشراف مكة بعد الشريف عبد الله بن محمد بن عون (المتوفى ١٨٧٧) أن يسيطر على بلاد عتيبة إلى أن تولى والده الحسين شرافة مكة . وذكّر أيضاً أن مجازفة والده كانت سبباً في استياء ابن سعود وتحرشاته . وقد كتب الحسين لابن سعود بأن عتيبة وحرماً تابعون للحجاز ، فلم يوافق ابن سعود على ذلك ، غير أنه وافق على ذلك وعلى دفع ضريبة معينة للحجاز أيضاً بموجب معاهدة ١٩١٠ حين غزا الحسين نجداً .

٣ - وفي يناير ١٩١٨ جرى حديث بين الكومندر هوغارث والملك حسين بجدة ، كان رأى الملك حسين فيه خلاف رأى ابنه الأمير عبد الله ، فذكر أن معاهدة ١٩١٠ أصبحت ساقطة لا قيمة لها . وزاد على ذلك أن حقيقة الواقع هي كون الأمير سعد بن عبد الرحمن تعهد بأن تعفى حرب وعتيبة وسبيح ومطير من دفع الزكاة لابن سعود أو لابن رشيد ، وبأن تطلق الحرية لمدن القصيم لاختيار أمراءها وأن يدفع للحجاز مبلغ ٣٠٠٠ ريال في السنة ، وأنه برغم هذا الشرط فإن المبلغ لم يدفع قطعياً ، وذكّر الملك أنه اعترف لابن سعود بحقه على عتيبة حينما يكونون في بلاده .

٤ - وفي فبراير سنة ١٩١٧ ذكر الأمير فيصل (الملك فيصل) للـكولونيل لورنس أنه منذ نحو خمس سنوات شرع ابن سعود في خطته العدائية تجاه مكة ، فاستمال إلى جانبه بعض البقوم وسبيع وهدد الطائف ، فاضطر الشريف إلى اتخاذ تدابير زجرية ، فأرسل ابن سعود أخاه سعداً ليتلافى المسائل ، فتم الاتفاق على أن يكون وادي الدواسر إلى النقطة التي يصبح اسمها فيها وادي رنية تابعاً لابن سعود ، وأن تكون أودية الخرما وبيشة ورنية للشريف ، واعترف الشريف بإمارة ابن سعود على قحطان ، كما اعترف ابن سعود بإمارة الشريف على عتيبة^(١) . وفي عام ١٩١٢ عاد النشاط لابن سعود فاضطر الشريف إلى إرسال ولده عبد الله إلى ديار عتيبة فبلغ حداً لم يبلغه الأشراف من قبل من جهة الشرق .

٥ - وفي ٢٩ مارس ١٩١٩ كتب الشريف حسين إلى المعتمد البريطاني بجدة كتاباً برقم ١١٠٧ قال فيه : « نحب أن نوضح لكم أننا بذكرنا الرّوقة فقط في الخريطة التي وضعتها لولسن باشا لأجل إراءته قسماً من المملكة العربية الهاشمية ، لم نكن نقصد مطلقاً أن الخرما وتربة ورنية وبيشة والدواسر غير تابعة للعاصمة (يعني مكة) لأنه حتى هذه الساعة نحن الذين نعين أمراءها ونجبي زكاتهم وجهادهم يرسل إلينا ، وأنا الذي عينت خالداً أميراً على الخرما وعزلت الشريف محمد بن سلطان من بيشة ، وضممتها إلى خالد^(٢) .

٦ - أما رأى ابن سعود الذي أدلى به للشريف حسين وللحكومة البريطانية فهو أنه لا يوجد أساساً لمدعيات الشريف حسين بشأن تربة والخرما ؛ فضلاً عن المدعيات بشأن ديار عتيبة في نجد ، وأن حدود الحجاز من جهة الشرق تنتهي بقرب وادي العقيق (عُشَيْرَة) عملاً بالحديث الشريف وبالتعامل الجاري بين العرب ، وأنه لم يسلم قط بأن للشريف أي حق على نجد أو قبائلها ، وأنه لا يوجد ما يبرر سياسته

(١) لاشك في أن الذي نقل الكلام عن لسان الملك فيصل كان يجهل أوضاع الأودية المذكورة
جاء الكلام غير مستقيم كما يرى .

(٢) في هذا الكتاب مطلب صعب جداً بشأن وادي الدواسر لا يسلم به أهل نجد .

القهرية ضد أهل الخرما وأهل الوديان على الإجمال لاعرفا ولا تاريخا ، ولا من حيث الدين ، وأن أهل الوديان يحسبون من أهل نجد ، وأن إرادتهم وميلهم هما الأساس في حل الخلاف ، ولا يوجد بينهم من يريد الشريف أو حكومته .

وقد عجزت أساليب السياسة والتحكيم عن حل الإشكال ، فأهل الخرما وأتباعهم لم يقبلوا الشريف ولا حكومته وطلبوا الإمداد والنجدة من الإمام ابن سعود في الرياض ومن كافة الإخوان في نجد ، وحكومة مكة أصرت على خلع « خالد » وضم بلاده للحجاز فلم يكن بدّ — والحالة هذه — من نشوب القتال واستعار لهيبه بين الفريقين .

٣ — الوقائع قبل تربة

لم يعلن أهل (الخرما) خلع نير حكم الشريف في مكة إلا عقب إعلان الحرب العالمية وقيام الشريف حسين بالنهضة العربية . وقد اشترك الشريف خالد بن لؤى أمير الخرما في حركات الحرب الأولى حول المدينة ، ولكنه كان يرى نفسه مضطراً إلى مجارة أهل ديرته فيما هم عليه من اتباع أهل نجد والسير على خطتهم ، وكان يرى رأياً مخالفاً لرأى الأشراف فيما يتعلق ببعض المسائل الاجتهادية . وقد ذكر لي في الخرما أنه لم يكن موافقا على قصر الصلاة بدعوى إعلان الجهاد وغير ذلك من التسهيلات .

عاد « خالد » من عند الأشراف في الحجاز إلى ديرته ، فوجد الخلاف على أشده ، بين أنصار الفئتين من جماعته ، غير أنه رأى الكفة راجحة بجانب أهل نجد ، فترأس الحركة الجديدة وانضم إليها وجاهر بها ، ثم سافر إلى الرياض وأعلن خضوعه وولائه ، وطلب « مطوّعا » ليكون مرشداً لأهل الخرما في شئونهم الدينية ، وقاضياً يفصل في منازعاتهم ، فأجيب إلى طلبه ، وسلم إليه لواء من ألوية الجهاد . وبعد عودته إلى الخرما أنشأ هجرته التي ذكرناها فيما تقدم من البحث ، وأصبح منذ ذلك الحين عاصيا لحكومة مكة نائراً عليها ، ووجب على الحكومة أن تؤدبه . غير أن الشريف حسين لم يحاول ذلك في مطلع الأمر ، ولم يرسل عمّاله لجمع الزكاة كالمعتاد .

وفي أوائل عام ١٩١٨ أرسل الشريف حسين عماله لجباية الزكاة من سبيع ، فما كان من خالد بن لؤى إلا أن اعتقلهم ومنعهم من القيام بمهمتهم ، ثم جمع قوة من الإخوان طهر بها العناصر المعادية له من أهل الخرما ، وبذلك بدأ النزاع بينه وبين مكة .

وفي شهر مايو من ذلك العام كتب الملك حسين إلى الحكومة البريطانية ملفتاً نظرها إلى أعمال ابن سعود ومدخلاته مع القبائل التي كانت تخضع للحجاز من قديم الزمان ، وعلناً لها اعتزامه إنفاذ قوة تأديبية إلى الخرما ، وقد أنفذ بالفعل قوة مؤلفة من ١٠٠٠ مقاتل بقيادة الشريف حمود بن زيد ، فالتقى بها الإخوان في ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ (مايو ١٩١٨) في حَوْقَان ، وهزموها وشتتوا شملها .

أعلن الملك حسين في جريدة (القبلة) أن القوة بلغت هدفها الذي رسمه لها ، ولكنه بالرغم من ذلك أمدها في شهر يونية بنجدة عسكرية فنية معها عدد من المدافع والرشاشات ، ولا يعلم في الخارج شيء عما جرى للقوة الأولى ولا للنجدة . والحقيقة أن النجدة وقعت في كمين نصبه لها الإخوان في جِبَار في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٦ هـ ففضى على أكثرها .

وقد بلغت الوقائع قبل معركة تربة حوالى عشر كان الفوز فيها دائماً حليف الإخوان . أنشدنى بعض أهل الخرما شعراً طويلاً جديراً بتسميته (ملحمة) للوقائع وتفصيلها جاء فيه :

قُرَيْنٌ ^(١) وَحَوْقَانٌ ^(٢) وَحِنْوٌ ^(٣) مَصَارِعٌ وَجِبَارٌ لَيْسَ بِجَابِرٍ لِلْكَافِرِينَا
وهذا بيان الوقائع حسباً أملاه على أهل الخرما :

أولاً : وقعة حَوْقَان السالفة الذكر في ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٦ (مايو ١٩١٨)

قائد الإخوان فيها خالد بن لؤى ، وقائد جند الشريف حمود بن زيد .

ثانياً : وقعة جِبَار في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٦ (يونيو ١٩١٨) القائدان كما

(١) و (٢) و (٣) أسماء أما كن .

في الموقعة الأولى ، ولكن جند الشريف يمتازون بسلاح المدافع والرشاشات .
(ثالثاً : وقعة الحِنُو ، في ٩ ذى الحجة سنة ١٣٣٦ هـ (أغسطس ١٩١٨) ،
وذلك أنه على أثر انكسار قوات الشريف حمود ثمرتين كما تقدم ، صدر الأمر
للشريف شاكر بن زيد أخيه بأن يتقدم لاحتلال الخرما وديرة عتيبة بصفته أميراً
على كافة عتيبة ، فجاء الشريف شاكر وعسكر في مرّان إلى الشمال الغربي من الخرما ،
وشرع في إثارة خواطر عتيبة على سبيع وأهل الخرما . ووفق إلى تأليف غزو من المُقطّعة
برئاسة شليويج ، ولكنه مُنيَ بما منى به الغزوان السابقان . ولم يجد الأمير شاكر
بُداً من الهجوم بنفسه ، فجمع ما لديه من قوات بدوية وحضرية ، وجهاز مدفعية
ورشاشته ، ووصل آبار الحِنُو على بعد ٢٥ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من الخرما ،
وكانت قوة الإخوان مؤلفة من ١٥٠٠ رجل من مقاتلة أهل الخرما ووادي سبيع
و٥٠٠ مقاتل من أهل الغَطَطَ و٢٥٠ من أهل الرّين . وأما قوات الشريف شاكر
فإنها كانت مؤلفة من ألف جندي نظامي و٤ مدافع و٦ رشاشات ، ومن غزو العتبان
الموالين للأشراف وغزو أهل الطائف من قبائل بني سعد وهذيل وسفيان وغيرهم ؛
بمّيت أن أهل الخرما كانوا يقدرّون مجموع قوات الشريف شاكر بستة آلاف مقاتل .
بدأ الإخوان المعركة بهجومهم الليلي المعلوم ، وصبّحوا القوم « هجّاداً » من
الفجر المبكر ، واشتبكوا معهم في معركة حامية الوطيس دارت الدائرة فيها على جند
الشريف شاكر ، فقرّ ببقية جنده قافلاً إلى مرّان على عجل . وكانت حجة الأمير
شاكر في انكساره أن كثيراً من الرُّوَقَة وَبَرَقَة انحاز إلى جانب الإخوان قبل أن
تدور المعركة وتركوه مع القوة النظامية وغزو ثقيف وسعد وهذيل من أهل الطائف ،
ولم يكن له قبَل بمقاومة هجوم الإخوان العنيف)

وهجعت الحوادث بعد الحِنُو بضعة أشهر تخلّلتها هجمات من سرايا الإخوان
على القوافل التي كانت تنقل الأرزاق والذخيرة إلى معسكر الأمير شاكر . وكان
الأمير عبد الله بن الحسين محاصراً المدينة ، فأراد القدوم بنفسه إلى (الخرما)
غير أن ضرورات الحرب ألجأته إلى التريث خوفاً من رد الفعل والانتكاس .

٤ — تربة

(تربة) بلدة البقوم كما ذكرنا ، وهي واقعة على الوادى المعروف باسمها الذى يصبح اسمه — بعد وصوله إلى الغريض — وادى سبيع ، وهي أصغر من الخرما ، وأقل سكاناً وأهمية ، إذ كان مركز النقل السياسى فى النزاع بين الإخوان والأشراف مستقراً فى الخرما ، غير أن شهرة تربة بعد الموقعة الشهيرة التى دارت رحاها فيها فى شعبان سنة ١٣٣٧ (١٩١٩) قد طغت على الخرما وكسفتها

دارت الوقائع التى سردناها فى النبذة السابقة خلال الحرب العامة ، حين كانت القوات العربية الحجازية محاصرة للأتراك فى المدينة المنورة ، وكان القائم بأمر الحصار حضرة صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين (ملك شرق الأردن حالا) ، فأراد أن يزحف بقواته على (الخرما) وينهى أمرها عقب واقعة الحنو التى دارت فيها الدائرة على جند الأمير شاكر . غير أن الخوف من أن ينتهز فخرى باشا فرصة غيابه ونقص القوات المحاصرة للمدينة فىقوم بحركة خروج قد تمتد إلى أطراف مكة اضطره إلى التريث على مفض .

استعاد الأمير عبد الله حرته فى العمل ضد أهل (الخرما) بعد استلام فخرى باشا فى المدينة فى يناير سنة ١٩١٩ ، وخطا الخطوة الأولى بمغادرته المدينة ، ترافقه القوة الحضرية من جند الحجاز بمدافعها ورشاشاتها ، تظاهرها القوات البدوية ، وسار من المدينة على الطريق الشرقى ، وعسكر فى أوائل إبريل فى عُشَيْرَة . وقد اختلف الرواة فى عدد القوات الحضرية التى كانت تحت قيادته ، فبعضهم يبالغ فيها ويجعلها آلافاً ، وبعضهم على الضد من ذلك يزعم أن عددها لا يتجاوز المئات . أما ضباط الاستخبارات الإنجليزية حينئذ فيقدرون القوة الحضرية بما لا يزيد عن ٦٠ ضابطاً و ٧٧٠ صف ضابط وجندى و ١٠ مدافع و ٢٠ رشاشة . والواقع أنهم يفوقون هذا العدد .

وما إن بلغ خبر حركة الأمير عبد الله من المدينة مسامع ابن سعود حتى احتج على ذلك وأنذر خصومه بما يجره عمل الأمير من النتائج الخطيرة ، وأنه مضطر لمقابلة حركة الملك حسين والأمير عبد الله بمثلها .

بدأ الأمير أعماله العسكرية بإفناذ السرايا لتأديب القبائل العاصية ، فقابل الإخوان أعماله بمثلها وشرعوا في شن الغارة على القبائل الموالية له . وكانت الحادثة الأولى في الدُّعَيْبِجَة في أوائل مايو ١٩١٩ ، إذ هجم الإخوان على بعض العتبان ونهبوهم ، فأنفذ الأمير سرية تفتني أثرهم فلم تظفر بهم بل ظفرت بغزو آخر من الإخوان كان قاصداً المهجوم على مخفر شريفى يدعى مُدْرَبَج . وفي تلك الأثناء أيضاً هجمت سرية من سرايا الأمير على فريق من الإخوان في الرُّخَيْم وقضت عليه .

ظعن الأمير بقواته من معسكره وخيم في البديع في سفح حَضَن ، وتوجه منها إلى تربة . وفي ٢١ مايو ١٩١٩ أعلن احتلاله لتربة بعد معركة دامت ساعتين ونصف ساعة ، وأنه — بعد أن جمع قواته — شرع في الاستعداد للتقدم على الخرما ، ثم خاطب رؤساء قبائل سبيع والبقوم وأمرهم بتقديم الطاعة والخضوع وهددهم في حالة عدم الطاعة بسوء المنقلب . غير أن الأمر لم يدم طويلاً ، إذ كان الإخوان يعدون معداتهم لمفاجأة معسكر الأمير في ذلك اليوم نفسه .

وكان ابن سعود على علم بتدابير حكومة مكة ، وكان — بواسطة جواسيسه — على اتصال وثيق بما يجري في نخيم الأمير عبد الله في عشيرة ، ولذلك فإنه لم يؤخذ على غرة حينما سمع بحركة جيوش الأمير من عشيرة في طريقها إلى وادى سبيع بعد اجتماع الأمير بوالده الحسين والتشاور معه في الخطة ، بل شرع في الاستعداد للحرب بأن أنفذ بعض قوات الإخوان من هجرة الغطط وسواها من هجر عتيبة لتكون إلى جانب أهل الخرما ، كما جهز قوات أهل العارض تحت إمرته وسار بها غرباً وعسكر في السَّاحَة شمال شرقي الخرما على بعد أكثر من مائة كيلومتر عنها . وأصدر أمره إلى الإخوان بأن لا يكونوا بادئين في القتال ولا مهاجمين بل يظلوا صادئين مدافعين .

ولم تكن تربة هدف الأمير الأساسي بل كان يستعد لضرب الإخوان في
الخرما ، ولهذا فإنه ما كاد ينتهي من مسألة تربة حتى شرع في الاستعداد للتقدم إلى
الخرما ، ولكن الإخوان كانوا أسبق إلى لقائه فلم يتركوا له مجالاً للوصول إليهم ، إذ
لما بلغتهم أنباء هجومه على تربة كانوا في موقع اسمه القُرَيْن ، وهو ماء على وادي
تربة بينها وبين الخرما ، فلم يلبثوا إلا ساعتهم ثم شرعوا في المسير بعد غروب شمس
يوم ٢٥ مايو ١٩١٩ (٢٥ شعبان ١٣٣٧) فوصلوا تربة بعد بضع ساعات دون عناء .
الديرة ديرة الإخوان ، فهم يخبرونها شبراً شبراً ويعرفون سهلها وجبلها وحزمها
وشعيبها ونخيلها ومزارعها وبيوتها وقصورها ، فلم يحتاجوا إلى كبير عناء لمعرفة ما يجب
عليهم عمله حين مباغته جند الأمير بهجوم مفاجيء .

رتب الإخوان أنفسهم رتباً وفرقا ، وتولى كل فريق أمر فريق معين من جند
الأمير النظامي والبدوي ، وكانت جواسيس الإخوان وعيونهم قد عرفت مواقع الجند
ومنازلهم وعدد من فيها بالتقريب ، واستعانوا بالرحمن في هجومهم الليلي الذي
اشتهروا به والذي يلقى الرعب في قلوب خصومهم ، وحملوا حملة صادقة
مكبرين مهلئين .

ولم يكن الأمير متوقفاً هجوماً سريعاً كهذا ، وظن أن احتلاله لتربة قد ألقى
الرعب في قلوب الإخوان وأحلافهم ، بل ظن أنهم لا يجرون على الوقوف في وجهه
فضلا عن الهجوم عليه . ولذلك نام ونام جنده ، وهو خالي الذهن مطمئن البال .

وأفاق الجند كما أفاق الأمير على أصوات الإخوان مهلئين مكبرين ، وقد عقد
الذعر سرادقه فوقهم ، فعجزوا عن استجماع قوتهم للمقاومة ، وفر كثيرون تاركين
أسلحتهم وبنادقهم دون أن يلوا على شيء ، وتمكن الأمير من امتطاء فرس له قريبة
منه ، وعاد أدراجه من الطريق التي جاء منها منذ أيام ، ولم يقف إلا عند الأَخْيَضِر .

تحسب معركة تربة من أشد المعارك الحربية الفاصلة في تاريخ جزيرة العرب
الحديث . وستظل ذكراها عالقة بالأذهان كلما ذكر اسم تربة والإخوان ، إذ قد

تمزقت فيها قوة الأشراف شر ممزق ، وقتل كثيرون من أفراد الجند النظامي كما قتل كثيرون من زهرة الضباط الذين اشتركوا في الثورة العربية وفي حصار فخرى باشا بالمدينة المنورة . وما زالت آثار مخيم الأمير بادية للآن يراها من يزور تربة . وهناك من أهل تربة من يأخذ المتفرج إلى تلك الساحة في بطن الوادي وأطرافه ، فيدله على موضع خيمة الأمير الخاصة وموضع سرادقه الكبير وخيام أركان حربه ومدافعه . وقد يشاهد المرء في الميدان بقايا تلك المعركة من جماجم وأشلاء ، فلا يسعه إلا إظهار الأسف على ما كان والترحم على من قضى .

وطارد الإخوان فلول الجيش الهاشمي ولكنهم لم يتعقبوه طويلا ، وإنما هاجم فريق منهم في فجر ٢٦ مايو مخفر كلاًخ الذي كان الشريف شرف بن راجح قائده . ومع أن الإخوان لم يتمكنوا منه ، فإن الشريف انسحب إلى الأحيضر لكي يكون بجانب الأمير عبد الله الذي بذل همهته لجمع فلول جيشه لصد عادية الإخوان لو فكروا في مهاجمة معسكره في عشيرة أو بالتقدم إلى الطائف .

خاف الملك حسين كما خاف الإنجليز من تقدم الإخوان إلى الطائف الذي لم يكن لدى الأشراف فيه ما يكفي لصد عاديتهم عنه بعد تحطيمهم لقوات الأشراف في تربة . والواقع أنه لم يكن في استطاعة الحكومة الهاشمية الدفاع عن عاصمتها مكة ، فتوسل الإنجليز بكافة الوسائل السامية لحمل ابن سعود على التوقف ، فوافق كارهاً .

أراد الملك حسين والأمير عبد الله أن يجعلوا من تربة والخرما مقدمة للاستيلاء على بلاد سبيع كلها وعلى بلاد عتيبة وربما على نجد بأسره ، ولكن إرادة الله شاءت أن تكونا مقدمة لئلا عرش الهاشميين في الحجاز وضمه إلى ملك ابن سعود كما هو معلوم .

ليس في تربة والخرما ورنية من الخيرات ما يمكن أن يطمع فيه ، وليس من بأس في نظر العروبة أن تكون تابعة للأمير هاشمي أو للأمير نجدى ، ولكنها هي حكمة الله شاءت أن يكون منها سبب لتوحيد أقطار عديدة من الأقطار العربية تحت ظل

ملك واحد ، فتحيا حياة واحدة ، ويكون من اتحادها عزّ وعظمة ، ومبدأ وحدة عامة شاملة بإذن الله .

٥ - وقائع ووقائع

بعد معركة تربة ، اشتدت العداوة بين الإخوان والقبائل الموالية للأشراف في الحجاز من حَضَنَ إلى قرب عَشِيرَةِ والطائف ، وكان القسط الأكبر من عبء الهجوم والدفاع واقعاً على عاتق أهل تربة والخرما من سبيع والبقوم نظراً لقرب ديارهم وكونهم أول من قام بالدعوة في غرب نجد ، فكثرَت الوقائع وتعددت السرايا من الجانبين على غير جدوى . وكان للأشراف مخفران في كَلَاخ والأخْيَضْر ، ولكن الإخوان كانوا يتعدونهما إلى جوار الطائف فيصولون ويجولون ، وينهبون ويقتلون ، ويد حكومة الشريف قاصرة عنهم .

فمن الوقائع الهامة وقعة قریش على الأخيضر في أواخر عام ١٣٣٧ (١٩١٩) ، فقد أغار الإخوان على قبيلة قریش وأحلافها ، واستاقوا كثيراً من الحلال والمال ، وعادوا إلى ديارهم سالمين .

وفي عام ١٣٤٠ وقعت وقعة الخرائق ، وفيها قتل عبد الحسن بن خالد ابن لؤى .

وأهم الوقائع على الإطلاق هي التي وقعت في مطلع صفر ١٣٤٣ (١٩٢٤) حينما زحف الإخوان تحت إمرة خالد بن لؤى على رأس جماعته أهل تربة والخرما من سبيع والبقوم ، وأحلافهم من عتيبة (برقة والروقة) بقيادة سلطان بن بجاد كبير هجرة العَطَظ ، وتقدموا من الخرما إلى كَلَاخ ثم الأخيضر ، حيث جرت موقعة كبيرة لم تحل دون إحداقهم بالطائف وحصاره ، ثم الاستيلاء عليه وضمه إلى أملاك ابن سعود .

سار الفاتحون من أهل الوديان بعد الطائف إلى الهدى ، وتقدموا إلى الزيمة
فكرة المكرمة ، ودخلوها محرمين ملبين . فأصبح الثائر العاصي فاتحاً ظافراً ،
والشريد الطريد أصبح أميراً حاكماً . وهذا من عبر الزمان وتقلباته .

لو علم الشريف حسين أن ابن عمه خالد بن لؤى سيكون سبباً لثلّ عرشه
لما عينه أميراً على الخرما ، ولو اطلع على لوح القدر لما أقدم على ما أقدم عليه
من مناوأة أهل الخرما ومحاولة الاستيلاء عليهم بالقوة .

ولكن (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) .

الفصل الخامس

وادي رنية

المسير من الحرما - صفة الطريق - رنية - الوادي من علوه إلى مصبه

١ - المسير من الحرما

كان مسيرنا في أوقات قلقة غير عادية ، إذ كنا نشاهد في طريقنا كتائب المجاهدين سائرة الهوينى ، فنسألها حين نمر بها عن أخبارها . أما في الحرما فقد قابلنا غزو الرُّوقة من عتبية بقيادة الأمير عمر بن ربيعان . كان سير الغزاة بطيئاً بسبب إبلهم وخيلهم ، أما الإبل فكانت تقضى ضعف الوقت اللازم لاجتياز المسافات بسبب ضعفها وندرة الكلال على جانبي الطريق ، وأما الخيل المُجَنَّبَة فكانت على وشك الوضع ، فلم يكن بد من السير على مهل .

تقابلنا مع الأمير عمر وأبناء عمه ، وتباحثنا في الموقف مع اليمن ، وكانت ذهنية الحاربيين غريبة في بابها ، وهي تدل على شيء كنا جميعاً نلمسه في علاقاتنا مع جارتنا الشقيقة حكومة اليمن ، ذلك الشيء هو السياسة المتقنة غير الواضحة وسياسة المظل من جانب اليمن ، وقد قاسى الإخوان بسبب ذلك مشقات كثيرة . فإنهم سيقوا إلى الحدود عدة مرات ، ولكنهم كانوا يرجعون في كل مرة بدون قتال ، وما يكادون يصلون إلى أوطانهم حتى يناديهم منادى الغزو وداعى الحرب أن عودوا إلى الحدود اليمانية . فستموا هذه الحال ، ورأوا أن لا بد من حل المشكلة حلاً نهائياً ، إما بالصلح الشريف المرضى وإما بالحرب ، وليس ذلك عن رغبة في الحرب من حيث هي ، بل عن نفرة من ترك الأمور على غواربها ، فتضطر الحكومتان في كل وقت وحين إلى إنفاذ السرايا والبعوث . ومن أجل ذلك قال لي ابن ربيعان : « إن لم يكن الصلح الذي تعقدونه صلحاً أساسياً دائماً فإنني أدعو لكم بالفشل في مهمتكم » .

تركنا ابن ربيعان وجماعته ، ومشينا من الجانب الغربي للوادي على أمل اجتيازه إلى الجانب الشرقي ، ففرزت سيارة الانتقال في رماله ، ولم يتمكن الرفاق بمعونة أهل القرية من إخراجها إلا بعد جهد دام ست ساعات تقريباً . أما أنا فقد اغتنمت هذه الفرصة لأدوّن معلوماتي عن الخرما ووادي سبيع ، ولأستمع إلى بعض شيوخ الخرما وهو يروي لي وقائع الإخوان والأشراف مما ذكرته في الفصل السابق .

كان البرد عند الصباح شديداً جداً ، فقد سجل مقياس الحرارة ٤٦ درجة فهرنهايت ، وكانت قراءة البارومتر ما يقرب من ٣٥٠٠ قدم ، والريح كانت تعصف بشدة وتلفح الوجوه بصقيعها ، فوجد الرفاق في إخراج السيارة الغارقة في الرمل سبيلاً للدفع والنشاط ، غير أن حماسهم لرفيقهم الجديد « الدليل » كان ضعيفاً . والحق يقال إنه كان خبيراً بديرته كل الخبرة ، ولكن حينما اجتزناها إلى حدود رنية ظهرت عليه علام العي والرجبة في إعطاء المعلومات صحيحة كانت أم خاطئة ، ولم تكن له خفة دليل اليوم السابق ولا ذلافته .

كانت خطتي عدم السير ليلاً إلا مضطراً ، كي أتمكن من مشاهدة معالم الطريق في ضوء النهار . ولذلك فإن تأخرنا في المسير من الخرما حتى الظهر حتم علينا المبيت قبل أن نبلغ رنية ، مع أن المسافة بينهما لا تزيد على ١٤٠ كيلومتراً ، وسأصف فيما يلي طريقنا التي سلكنا وما على أطرافها من المعالم البارزة .

٢ - صفة الطريق

المسافر من الخرما إلى رنية لا يطأ أرض حرة سبيع المشهورة ، ولا يطأ عرق سبيع الرمل وهو مشهور أيضاً . أما طريق القوافل والمشاة فإنها تخترق الحرة من جنوبها إلى شمالها .

كانت استقامة سيرنا من الخرما إلى رنية استقامة الجنوب مع ميل خفيف بادئ الأمر إلى ناحية الشرق ، وحينما يفارق المسافر نخيل الخرما يباري سلسلة من الهضاب القليلة الارتفاع والممتدة على ضفة الوادي الشرقية برهة غير قصيرة إلى

أن يصل مقطع شعيب « أم ران » وهو من الشعبان الصغيرة التي تفيض في وادي سبيع . وتتغير طبيعة الأرض من سهلة ناعمة إلى سهلة حصباء إلى رملية إلى قاع رخو قد نثرت عليها حجارة من بقايا الحرة السوداء الفخرة ، فجعلتها شبيهة بأرض الحرة إلا أنها ليست منها . وتقع حرة سبيع على يمين المسافر من الخرما إلى رنية . وبعد نحو عشرة كيلومترات تبدأ أرض تسمى « الشقيق » إلى مسافة خمسة كيلومترات ، ثم تأتي أرض تختلف عنها اسمها أرض « القشاشة » ، وتختلف عن سابقتها بأنها رخوة ناعمة قد كسى سطحها بالبطحاء والحصباء . ثم تأتي أرض « الجعدة » وطولها تسعة كيلومترات ، تشبه الحرة في شكلها وحجارتها وسواد لونها . وتأتي بعد ذلك أرض « أم الملح » ومنها يشاهد إلى جهة الغرب بقرب الأفق ضلعان هما : « الأسيان » ثم تتتابع الأراضي بأسمائها المختلفة على الوجه الآتي :

اسم الأرض	كيلومتر
دحلة المصاعبة	٣
أرض شعيب البدرى ، وبقربها ضلعا العسكر	٥
وإلى الشرق ضلع عنيزة ، ثم جبل « تين »	٧ر٥
أرض المعاشير ، وبقربها ضلع الحميمة إلى الشرق	٨
أرض « شعيب الناصفة » وبقربه ضلعان أبو السنون وضلع واليعايم	١٧
أرض الشجرة	١ر٥
أرض سَرَجُوج ، ويشاهد منها إلى الجنوب الشرقي من ضلع ضبع جبل مرتفع كالسنان اسمه غرمول	٥
أرض « ذليقان » ، وتقع جبال اليعايم إلى شرقيها	٥
أرض شعيب « مراخة » ، ومنها يشاهد « كراع حنجرات » إلى الغرب	٧

ومما يجب الالتفات إليه أن الأرض في هذه الجهات تسمى بأسماء الضلعان والهضاب التي تجاورها . فلكل جبل أو هضبة اسم معلوم ، وشعيب يصفى مياه الأمطار المتساقطة ، وأرض محاذية تمتد بقدر امتداد الهضبة أو الجبل أو سلسلة الجبال . بعد أرض « المراحة » تبدأ أرض تعرف بأرض « شعيب الجزعة » بقرب رجمة من الصخور قائمة وسط السهل ، وهذه الأرض تشبه الحرة في تكوينها . ثم تأتي إلى أرض « الأغر » ، وبعد مسير ١٥ كيلومتراً فيها تدخل الطريق بين منطقة جبلية وتصبح الهضاب على الجانبين ، ولكن الفرجة تستمر في التناقص إلى أن تصبح صغيرة جداً حينما تصاقب الطريق جبل بضيع . ومتى وصل المسافر بضيعاً علم أنه أصبح بقرب رنية . ومن هنا تشاهد جبال مختلفة تعرف باسم « الرزبزاء » و« الخراشيف » و« التقدوة » و« وورك منيرة » .

٣ - رنية

لكل قرية أو بلاد علامة تدل على الاقتراب منها . فالمسافر من مكة إلى الرياض يعلم أنه قد اقترب من المويه حينما يصل الحلمة ، ومن الدفينة حينما يشاهد النهود ، ومن القاعية إذا شاهد ذريع وهكذا . وأما القادم إلى رنية فإنه يرى أمامه من بعيد منظرًا عجيباً جداً هو أقرب ما يكون إلى منظر بلدة عظيمة ذات قلاع وأبراج ومآذن ومساجد ، ولكنها في الواقع مناظر الجبال والتلال التي تظهر في الأفق بأشكال بهيجة تنعكس عليها أشعة الشمس فتكسبها منظرًا خلاباً يأخذ بمجامع القلوب ، وقد يكون للسراب وخداع البصر دخل عظيم في روعة المنظر وإكسابه ذلك الشكل المغربي الخلاب .

ويطلق أهل هذه البلاد على أما كن فيها أسماء غريبة مستهجنة ينجل الكاتب من تسميتها بالصراحة التي يستعملها أهلها . ويكثر في هذه الجهات استعمال جملة (طيب الاسم) ، يكتنون بها عضو التأنيث . وهناك قرية في وادي شهران بجوار سوق خميس مشيط اسمها (طيب الاسم) ويسمونها أهلها (كسيسان) . أما في رنية

فهناك كما ذكرنا (غرمول) ، وهناك (ذكر الخثعمي) و (ورك منيرة) ، وهناك (الرزيزاء) و (طيب الاسم) . يذكرون الأسماء بالألفاظ المستهجنة ذكوراً وإناثاً بدون أى تكلف أو خجل .

لتسمية « . . . الخثعمي وورك منيرة » قصة يتناقلونها في رنية بدون استحياء : كانت امرأة من رنية ترعى غنمها بقرب الجبل الواقع إلى جنوبي الديرة ، وكانت هزيلة قليلة الشحم واللحم ، فتمنت على الله أن يمنحها الصحة والعافية بحيث يصبح كفلها كالجبل القريب منها ، فأطلق على الجبل اسم « ورك منيرة » صاحبة القصة . وكان بقربها رجل من خثعم تمنى لو منح ذكراً كالجبل المستقيم كالسنان ، والواقع بقرب الورك ، فأطلق على هذا الجبل المحدد الشامخ اسم « . . . الخثعمي » دون حياء .

تقع رنية أو بالأحرى البلدة الكبيرة في رنية على أطراف الوادي المعروف باسمها والذي ينحدر من جهة الغرب والجنوب متجهاً إلى الشمال الشرقي . وتحيط الجبال بالبلدة — من بعيد — من جميع جهاتها ، حتى إن القادم من الشمال يضطر إلى ولوج فجوات عديدة بين الجبال إلى أن يصل الديرة .

والجالس أمام قصر الأمير ابن صامل — شريف من العبادل — يرى جبل « التَّغْدُوة » أمامه من جهة الشمال ، وجبلي الورك والخثعمي من الجنوب والجنوب الشرقي ، وسلسلة المسالوخ إلى الشمال الغربي ، والمَرَّاشِف والسَّوَادَة والفهدان من الغرب .

وقصر ابن صامل بنى على ربوة مشرفة على الوادي والسهل المحيط به في منطقة متوسطة بين أسفل الوادي وعلوه . وتسمى البلدة التي فيها القصر (الحزَم) وبقربها بلدة (الرُّوقَة) التي هي السوق .

بتنا ليلتنا عند جبل الرزيزاء ، وكانت الليلة باردة ، فلجأ الرفاق إلى كهف طبيعي نصبوا الخيام عند مدخله .

٤ — وادى رَنيمة

(كان يجب أن يطلق اسم (وادى سبيع) على (وادى رنية) لأنه ملك لسبيع من منبعه في بلاد غامد إلى مصبه في رِغوة ، على حين أن الوادى المعروف باسم وادى سبيع هو القسم الأخير من امتداد وادى تربة بعد دخوله في حدود بلاد سبيع كما مر في فصل سابق .

يتألف وادى رنية من مجموعة من الشعبان تنشأ في بلاد غامد في السراة الحجازية وهو أحد الأودية الستة التي ذكرناها في الفصل الأول . ويتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، وكان يظن أنه ينتهي في وادى الدواسر ، والواقع أنه ينتهي في عرق الدواسر ولا يتصل بالوادى نفسه .

وتقوم على أطراف الوادى المزارع وحدائق النخيل والقصور والقرى إلى مسافات بعيدة ، ولكن أكثر العمران فيه يبدأ من حين دخوله في بلاد سبيع ، والقرى الواقعة على الوادى متقاربة متصلة ، يرى الإنسان إحداها من الأخرى ، إلا أن أعظمها وأهمها ما كان واقعا عند منتصفه حيث يأخذ الشعيب أقصى اتساعه وحيث تكون الأراضي الواقعة على أطرافه أخصب وأصلح للزراعة والفلاحة .

علوّ الوادى عند ماء (تراد) في ديرة غامد . ومن منبعه إلى حين دخوله في أراضي سبيع هو خال من القرى ، ولكنه لا يخلو من مياه أهمها (تراد) ثم (العقيق) وهو ماء ونخيل لغامد ثم المشورة ، وهو ماء لغامد تجاوره مزارع ، وهذه هي أسماء المياه والقرى الواقعة على الوادى بعد دخوله في أرض قبيلة سبيع :

الصغيرة ، المصيدة ، عين أبي مليح ، الملاح . كلها مياه لسبيع ، وقد يكون بقرها مزارع وعثاري .

الخيفيشة : ماء ، وبقره نخيل ينزله الشواوى من شمران وسبيع .

المغرة : ماء ، وفيه نخيل وقصور .

الفيجانة : مزارع ومياه ، ولا نخيل فيها .

أسماء المياه والقرى

الأملح : وهو أول العمران في وادي رنية من جهة الجنوب الغربي ، وهو ملتقى طرق القوافل بين الخرما ورنية وبيشة .

الحَجَف : قرية ونخيل .

الجُرْمِيَّة : » »

الضُرْم : تتألف من خمس قرى متلاصقة ومزارع شتوية هي : اللّوى ، قرّة ، الظهيرة ، حُوَيْد ، مقابل .

كويكد : قرية ونخيل .

ملهى : » »

الحزم : وهي بلدة الحكم ، وفيها قصر ابن صامل

الروضة : وهي السوق الأسبوعية .

الدعيكة : قرية ونخيل .

المساورة

العطف

المدهال

العمائر : وهي قرية ونخيل للشميسات من سبع ، وهي آخر العمران من جهة

الشمال الشرقى .

وبعد هذه القرى توجد مياه يردها الرعاة وهي : الرَّجَع ، المنعشة ، رِغْوَة ، جَرِيْد في بلاد الدواسر ، وماء الوغدية وظاعن حيث يختفي في عرق وادي الدواسر عند هجلة الختمية .

ويفيض في وادي رنية من اليمين شعيب البَحْرَة ، ومن الجهة اليسرى شعيب

عَثْران عند الأملح وشعيب قرّة عند بلاد الضُرْم .

معيشة أهل رنية بسيطة هادئة . هم زراع بالطبع ، وأهم زراعتهم الفخيل والحبوب ،

وهم بعدُ أهل ماشية وجمال ، وعندهم ذوق في صناعة النسيج الصوفي الخاص بالأخرجة

والهميانات . وهم وأبناء عموماتهم في الخرما متفقون ضد أعدائهم الكثيرين في كل

أطرافهم ، ولكنهم في رنية أبعد من غيرهم عن الفتن والحروب . وقد رأينا في المنازعات التي قامت بين الأشراف والإخوان أن سبع من أهل الخرما وجيرانهم من البقوم قد حملوا القسط الأكبر منها ، أما أهل رنية فكانوا يفزعون وقت الحاجة فقط .

ويقع معظم العمران على الجانب الشمالي الغربي للوادي ، والاجتياز من جانب إلى آخر يستلزم قطع المفازة الرملية في بطن الوادي أو بالقرب منه ، وكثيراً ما تغرز السيارات — وبالأخص الثقيلة منها — في رماله ولا يمكن إخراجها إلا بعد عناء شديد ، وهذا هو السبب في أن أكثر السيارات تفضل السير مع الضفة الشمالية الغربية إلى مسافة بضعة كيلومترات غرباً حتى تدور من جوار قرى الضرم الأربع في علو الوادي ، ومع ذلك لا تسلم من التغيريز .

حينما رجعنا من أبها ، كانت الأمطار عامة والرمال متماسكة ، فسلطنا بطن الشعيب أمام قرية الحزم ، واخترقنا المسافة اختصاراً ، فوجدنا الفرق بين الطريقين عظيماً يتجاوز بضعة عشر كيلومتراً .

مما يؤسف له أن حالة هذه البلاد الاجتماعية كحالة سائر البلدان المنعزلة عن العمران ، لا تفكر في غير معيشتها المادية اليومية ، وليست لها آمال أو أمانى بعيدة . يستغلون الأرض بعد حرثها ، ويزرعون النخيل ، وينتظرون لقاء الله في الآخرة . ومن هنا نشأ عدم اهتمامهم بالتغيير والتجديد .

ونساء هذه البلاد في معاشهن مثل نساء بلاد الطائف ، وإن كنَّ إلى البداوة أقرب ، ويشعر المسافر بالفرق بين أحوال النساء في هذه الجهة وبينها في عسير بمجرد وصوله إلى بلاد « خيبر » في منتصف بلاد شهران ، وسنصف النساء وأزياءهن في موضعه إن شاء الله .

والمسافة من الخرما إلى قصر ابن صامل في قرية الحزم ١٤٧ كيلومتراً ، وحينما بتنا في الرزّيزاء كانت درجة الحرارة ٦٠ بمقياس فهرنهايت ، وهبطت في الصباح المبكر إلى ٤٨ درجة .

الفصل السادس

وادي بيشة

على طريق بيشة - وادي بيشة وأقسامه - روافد بيشة - قبائل بيشة - في بيشة

١ - على طريق بيشة

سرنا من رنية ضحى يوم الجمعة الواقع في ١٧ شوال ١٣٥٢ (٢ فبراير سنة ١٩٣٤) بعد أن أخذنا كفاية سياراتنا من البنزين ، في طريق طويلة إلى جهة مرتفع الوادي حتى وصلنا قري الضرم ، وهنا كان علينا اجتياز مجرى الشعيب الرملی ، وتخترق الطريق أعلى الضرم ثم تنساب جنوباً على محاذاة سلسلة من الجبال تمتد غرباً من الشمال إلى الجنوب ، وفيها قنن وهضاب مرتفعة تسمى على الترتيب : صولة - العوين - الحرشاء والحصان - والجماء . وإلى يسار المسافر سهل منبسطة ممتد إلى جهة قرية الروقة وما وراءها من جبال المسلوخ . وهضبة الجماء تقع بين «... الخشمى» وورك منيرة ، ويبعد الخشمى عن الضرم مسافة ٣٠ كيلومتراً إلى الجنوب . وللأرض التي تخترقها الطريق كما للتلال والهضاب أسماء لا أريد أن أتعب القارىء بذكرها ، بل أكتفى بذكر المهم البارز منها أو ما كانت له صفة خاصة كجبل (طيب الاسم) الذي يتألف من هضبتين تسمى إحداهما « حفير » والأخرى « شفير » . وبعد اجتياز هذا الجبل بمسافة بضعة كيلومترات يشاهد المرء أمامه وعلى يساره (شرقه) عرقاً من الرمال البيضاء هو عرق (حنجران) الذي يبدأ في مكان اسمه « الحفرة » وهو ملتقى العرق الرملی والضلع الأسود . ويرافق العرق الطريق مسافة أربعة كيلومترات ، ثم ينقطع بقرب « الحميمة » وهو هضبة سوداء تفصل الرمل عن السهل وتمنعه من الطغيان على الطريق ، وهذه الهضبة فريدة في سوادها الفاحم الذي لا يشبهها فيه شيء مما يجاورها .

وحيثما يصل المسافر إلى بئر الجاهلية يكون قد قطع من رنية مسافة ٥٦ كيلومتراً .
كان رفيقنا هذا اليوم رجلاً من أهل الضرم خبيراً بالأرض عارفاً بأسماء الجبال
والأودية ، فلم يترك شاردة ولا واردة . وقد ذكر لنا طرفاً من قصص أهل هذه البلاد
منها ما هو من قصص الزير وأبي زيد الهلالي والسلطان حسن ، ومنها ما هو مقتبس
ومنسوب إلى رجال معاصرين .

وحيثما سرنا من بئر الجاهلية اجتزنا بضعة كيلومترات من الأرض السهلة المحاطة
بالجبال من بعيد ، وهي أرض يكثر فيها الظبي ، فصادفنا ثلاثة طاردناها برهة حتى
اصطدنا أحدها . وقص علينا دليلنا طريقة صيد البدو للظباء قال : « إن البدوي
الماهر يأتي الظبي من الجهة المضادة لمهب الريح حتى لا يشعر الحيوان بريحه فيستنكرها
ويفر منه ، فإذا تلفت الظبي إلى ورائه ليشاهد هل هناك من يطارده وقف البدوي
في مكانه كأنه جماد مستقر ، فيطمئن الظبي ويشرع في الرعى ، فيتقدم الصياد البدوي
إذ ذاك مسافة أخرى ، فإن انتبه له الظبي توقف كأنه جماد لا يتحرك ، وهكذا دواليك
حتى يصبح على مسافة رمية منه فيرميه ببندقيته » . والبدوي مقتصد محتاط لا يسرف
في إطلاق الرصاص على طريدته .

مشينا من أرض السليل إلى أرض العريض وطولها سبعة كيلومترات ، ثم دخلنا
أرض « حيم » وطولها كيلومترا ، ثم أرض الشميط ، ثم أرض الحاوي حيث
ضلع « منيظير » الذي قبيلنا بجواره للغداء .

سرنا بعد الغداء كيلومترات قليلة فوصلنا أرض « دحلة المعاز » ، ويقع إلى يمينها
ضلع صغير وإلى يسارها خشوم بني رنقان ، والمسافة بين الضلعان اليمنى واليسرى
حوالي كيلومتر ونصف .

تدخل الطريق بعد ذلك في أرض النعام ثم أرض الحبل ، وهنا تضيق الفرجة
بين الجبال ، فتصبح الطريق هي مسيل الوادي المسمى بالسوادة إلى مسافة سبعة
كيلومترات ، ثم تصل إلى هضاب بني رنقان ، وترى وراءها سلسلة جبال عظيمة

تسمى « الجفر » ، ثم تصل الطريق إلى أرض صعبة تشبه أرض الحرّة وتمتد مسافة ستة كيلومترات .

ذكرت أن دليلنا كان ظريفاً خبيراً ، فكنا نلتقط منه أقوالاً تدل على خفة الروح وتصوير الوقائع بالأمثال ، حينما اقتربنا من بيشة قال الدليل إنها بيشتان : بيشة القمح وهي علو الوادي في بلاد قحطان وشهران ، وبيشة النخل المعروفة في كتب العرب باسم بيشة عبّطان . ويتمثل البدو بغنى بيشة بقولهم : « لو أن مع بيشة بيشة لسابت العيشة » يقصدون بذلك كثرة خيرات وادي بيشة وخصبه وغناه .

وأخبرنا الدليل أن ديرة سبيع تنتهي عند ضلعان بنى رنغان في أرض الذهب ، وتبدأ من هنا ديرة أكّلب من قبائل بيشة .

تمرّ الطريق في أراضي النَّفْخَةِ وبطن ذى حَسَى وأرض الشَّدِيدَةِ التي يشاهد منها جبل « جُمُوعُور » وهو الدليل الذي يهتدى به في الوصول إلى بيشة ، وجبل جموعور هذا كثير الشبه بجبل النور في أعلى مكة من حيث شكله وارتفاعه وبروزه عن الجبال المجاورة له .

وكلما قربنا من جموعور تغيرت طبيعة الأرض المسماة بأرض الحونة ، ثم يزيد هذا الاختلاف حين تنبسط أمامنا السهول المحتوية على شجر الحمض والغضى وشجر آخر أكبر من الغضى ما كنت شاهدته اسمه « تَنْضُب » . وهذه الأرض على كثرة شجرها وعرة كثيرة الحفر والأقواز الرملية والتعاريج ، ومنها يشاهد النخيل في وادي بيشة في متسع رمليّ عظيم .

حينما يقترب المسافر من الوادي يكون قريباً من نخيل الجبرة في أسفل وادي بيشة ، وتكون المسافة التي قطعها من رنية ١٦٨ كيلومتراً .

وبعد قرية الجبرة بمسافة نصف كيلومتر تقريباً تبدأ السيارة باجتياز الوادي الذي يبلغ عرضه في هذا المكان أكثر من نصف كيلومتر ، ويمتد منتهى الرمل الواقع على ضفتيه مسافة أخرى بحيث يمكن اعتبار مجرى الوادي قرابة كيلومترين ، إلا أن

هذا لا يغطيه الماء إلا نادراً حينما يكون السيل عظيماً جداً ، والغالب أن الوادى ينقسم هنا إلى مجريين شمالي وجنوبي ، وهذا هو السبب فى كون المجرى عريضاً هذا العرض .

وصلنا قصر الحكومة فى قرية الروشن مركز بيشة بعد مسيرة ١٧٦ كيلومتراً من رنية .

٢ - وادى بيشة

ربما كان وادى بيشة أكبر الأودية الستة وأطولها ، فإنه ينبع من سفوح سراة عبيدة من قحطان إلى الشرق الجنوبى من جبال عسير ، وتجتمع فيه أكثر مياه جبال عسير وشهران وقحطان . قلنا أكثر لأن هناك وادياً آخر يصفى قسماً من مياه تلك البلاد وهو وادى تثليث .

يبدأ وادى بيشة كما ذكرنا من سراة عبيدة ورؤفيدة ، وكانت تقوم عند مبدئه قرية عظيمة لم يبق منها إلا أطلال وخرائب ، هى بلدة جرش الوارد ذكرها فى كثير من كتب العرب ، ثم يقطع هذا الوادى حدود بلاد قحطان حيث يكون اسمه « بيشة ابن سالم » أحد زعماء قحطان ، ويدخل فى ديرة قبيلة شهران ، ويمرّ من مكان تقوم على أطرافه قرى شهران ومنها خميس مشيط ، وبعد أن يجتازها بقليل تصبّ فيه أودية فرعية غير أنها غاية فى الكبر والأهمية ، منها وادى « تندحة » ووادى « أبها » المسمى « خبيبي » ، ويسمى عندئذ (أى بعد انصباب وادى أبها فيه) وادى « ابن هشبل » أو وادى « شهران » . أما بعد أن يجتاز وادى بيشة بلاد شهران التابعة لابن مشيط وشهران التابعة لابن هشبل عند المكان المسمى « واعر » والمعتبر فى الواقع أول وادى بيشة ، فيسمى الوادى « بيشة النخل » أو « بيشة عبطان » المعروفة فى كتب العرب (١) .

(١) ذكر الأمير سعيد بن مشيط أن وادى بيشة يقسم ثلاثة أقسام : بيشة ابن سالم ، وبيشة ابن مشيط ، وبيشة النخل .

فالقسم المرتفع من الوادى إلى جهة منبعه لا يمكن زراعة النخيل فيه ، بل إن سكان تلك الأطراف يعتمدون في حياتهم على زراعة الحبوب ، ولذلك سمي « بيشة القمح » كما أسلفنا . واعتباراً من واعر يكون الإقليم معتدلاً وصالحاً لزراعة النخيل فيسمى الوادى عندئذ « بيشة النخل » . وسنذكر تفاصيل الأودية والشعبان التي تصب في أعلى الوادى حين تفصيلنا لبلاد شهران وبلاد عسير وقحطان ، وسنكتفي هنا بذكر بيشة النخل .

مرور وادى بيشة

تقوم على أطراف الوادى اعتباراً من واعر إحدى وعشرون قرية يتراوح عدد سكانها بين أربعين وخمسين ألف نسمة . وهذه أسماء القرى متبعين في ذكرها مجرى الوادى من أعلاه إلى مصبه :

- | | |
|---|--------------------------|
| ١ - واعر | ١١ - الحمة |
| ٢ - الحيفة | ١٢ - الحريرة |
| ٣ - المدرة | ١٣ - الدحو |
| ٤ - الباقرة | ١٤ - الديالى |
| ٥ - نمران ، وهي محل سوق الخميس | ١٥ - السقيفة |
| ٦ - الروشن ، وهي مركز الحكومة ومقر الأمير ومحل سوق الأربعاء | ١٦ - الدوار |
| ٧ - روشن المهدي | ١٧ - الرقيطة |
| ٨ - النفيضة | ١٨ - النقيع |
| ٩ - أبا الشوك | ١٩ - الخرسة |
| ١٠ - الصبيحي | ٢٠ - الشقيقة |
| | ٢١ - الجنينة ، وهي منتهى |

العمران والنخيل .

ويمتد الوادى في مسيره إلى أن يلتقى بوادى رنية في « رغوّة » ، ويغوران معاً في « المهمل » عند « ظاعن » .

ويبلغ امتداد الوادى اعتباراً من « واعر » إلى « الجنينة » مسافة يومين ونصف على المطيئة أى ما يزيد على مائة كيلومتر ، وتبلغ المسافة من قرية « الروشن » فى بيشة إلى « خميس مشيط » ٢٥٠ كيلومتراً ، ومن الخميس إلى بلاد ابن سالم فى علو الوادى حوالى خمسين كيلومتراً . أما المسافة من « الروشن » إلى « الجنينة » فإنها تزيد على الخمسين كيلومتراً .

فيكون طول الوادى من منبعه إلى مصبه ٣٥٠ كيلومتراً فى العمران ، وربما امتد أكثر من مائة كيلومتراً أخرى فى الرمال ، فيكون مجموع طوله فى هذه الحالة أكثر من ٤٥٠ كيلومتراً ، وهو طول عظيم جداً كما يرى ، والبداة يقولون : إنه يمتد من الشعف إلى الشعف (١) .

٣ - روافد بيشة

لن أذكر هنا من روافد بيشة إلا ما كان مصبه بعد « واعر » . وهذه الأودية التى ترفد الوادى ذات أهمية غير قليلة ، ففيها قرى عامرة بالسكان ، وكانت لبعضها شهرة عظيمة فى التاريخ . ومع أنى كنت متلهفاً إلى زيارتها فإن الظروف لم تكن لتسمح بذلك مع الأسف .

(أولاً : وادى ترَج : ويصب فى بيشة عند نخيل الحيفة وفى الوادى نخيل ومزارع كثيرة ، وأهله شديدو البأس ، تمثل بهم الشاعر ابن مقبل حينما قال (٢) :

جلوساً بها الشم العجاف كأنهم أسود بترج أو أسود بعثودا
وقال الخزازة العامرى (٣) فى خصب ترج وغنى تربته :

وكان النخيل من بطن ترج وهى حوم حنّاس ظلماء
وقال أحمد بن عيسى الرداعى فى أرجوزة الحج (٤) :

(١) الشعف أعالي الجبال ، والشعف يكتنون به عن النخيل .

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٥٤ .

(٣) » » » » ص ٢١٥ .

(٤) » » » » ص ٢٧٥ .

ما زال ذلك حالها وحالها تغشى ظلام الليل والأهوال
حتى أتت ترجاً على أحمال وبيشة النخل بلا اغفال
أما قرى وادى ترّج اعتباراً من منبعه في سرة الحجاز إلى مصبه في وادى بيشة
عند نخيل الحيفة فهي : -

(١) القويسا (٢) جماح (٣) البهيم (٤) حوران (٥) النقرات
(٦) العريجة (٧) الحازمي (٨) البدور . والأخيرتان قرب الحيفة .
(٩) ثانياً : وادى تباله : ويصب في وادى بيشة عند قرية الصبيحي التي ذكرناها
بين قرى الوادى . والواقع أن الوادى المشار إليه يتغير اسمه قبل مصبه في وادى بيشة ،
فهو وادى تباله في أعلاه ووادى الثنية عند مصبه .

ووادى تباله هذا ملك لقبيلة الفرع من « خثعم » ويقال إنهم من « شمran » .
وقد ورد ذكر الوادى كثيراً في كتب العرب وأراجيزهم . وقد قال فيه طرفة^(١) :
رأى منظرًا منها بوادى تباله فكان عليه الزاد كالمقر أو أمر
وذكره عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي في كلمته التي يذكر فيها افتراق الأزدي^(٢) :
فلكم خيار الناس قدما وأجلدهم رجالا بعد عاد
وأكثرهم شبابا في كهول كأسد تباله انشهب الورد
وورد ذكر تباله مع ترج وبيشة وهرجاب وقرى حوران وسواها في قصيدة
الحزاة العامري ، كما وردت في أرجوزة الحجج^(٣) لأحمد بن عيسى الرداعي .
ولاحظنا أن بعض الشعراء ذكر أسد ترج وأسد عتود وأسد تباله . وقد يتبادر
إلى الذهن أنه كانت هناك أسد فيما مضى من الأزمان ، والواقع أنه لا أسد فيها .
ذكر الهمداني^(٤) تحت عنوان : مواضع الأسد في هذه الجزيرة المضروب بها
المثل ، قال :

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١٧٣ .

(٢) » » » » ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) » » » » ص ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٨ .

(٤) » » » » ص ١٢٧ .

أسد تباله وأسد ترَج وبيشة وأسد عِتود . فأما تباله وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ، ولا يكون بها أسد ولم يكن ، وإنما تريد العرب أسود بيش ويزيدون فيه الهاء^(١) فيقولون بيشة بفتح الباء ، وهي مواضع الأسد « وبيشة بعطآن » فهي بكسر الباء ، وقيل بل أرادوا بيشة نجد ، وأن رؤوس هذه الأعراض من أعلى السراة منها ما ينحدر إلى نجد ومنها ما ينحدر إلى تهامة ، فما انحدر إلى تهامة فالأسد فيه ولهذا الجوار نسبوها إلى هذه الأعراض ، وربما قد طلع منها الواحد إلى أرض نجد قاطعاً من بلدة فعاث فيها ، فلعلَّ أول من نسب الأسد إلى هذه المواضع عين الواحد والزوج في بعض هذه الأودية .

وينسب إلى تباله بيت « ذو الخلصة » وهو من الأصنام التي كانت العرب تعظمها في جاهليتها^(٢) .

وهي واقعة على طريق الحج من صنعاء إلى مكة ، وفيها آبار عذبة ذكرها شعراء العرب وكتّابهم ، ولكنها في زماننا الحاضر بلاد فقيرة ، وفيها من القرى ١١ قرية منها : أربع لفرقة المصعبين من خثعم قبل أن يتغير اسم الوادي فيصبح « وادي الثنية » وهي : (١) السوّ (٢) الهضبة (٣) واسط (٤) القوز . وسبع في وادي الثنية وهي : (١) الجبارين (٢) الفدنة (٣) الخرب (٤) خريب السوق (٥) مصر (٦) القوزية (٧) الشديق .

وأما سكان الوادي فهم كما ذكرنا من خثعم ، ويقسمون أربعة أقسام :

(١) المصعبين (٣) البطنين

(٢) بنو خناس (٤) بنو واس

(ثالثاً : وادي هرجاب من الأودية العظيمة في بلاد شهران ، وينبع من أعالي السراة فيصق مياها الأمطار في قسم كبير من بلاد شهران . ويقطعه طريق بيشة إلى

(١) وادي بيش في تهامة عسير .

(٢) انظر بحث ذو الخلصة في كتاب تاريخ مكة للأزرق طبعة مكة بتعليق الأستاذ رشدي ملحس

خميس مشيط في موضعين : الأول على بعد ٢٧ كيلومتراً من بيشة ، والثاني بعد ارتقاء الجبال قرب خيبر على بعد ١٣٣ كيلومتراً من بيشة . ويصب هرجاب في وادي بيشة بقرب الحيفة ، وليس على أطراف هذا الوادي سوى قريتين في السهل القريب من منبعه ، وهما قريتا الخضرا والعمير .
رابعاً : وادي بطننة . وهو يصب في وادي بيشة فوق واعر بقليل ، ومنبعه من بلاد غامد .

٤ - قبائل بيشة

في بيشة عدد من القبائل المتحالفة نذكرها فيما يلي :
أولاً : قبيلة أكّاب . ويبلغ عدد محاربيها نحو ألف رجل وتقسم إلى بطنين :
الأول : عامر . وفيه من الأقسام خمسة : المزايدة ، الجنبية ، الجبيرة ، آل منيع ، ابن عطبان .
والثاني : المخلف . وفيه من الأقسام أربعة : بنو هزر ، آل سحرة ، بنو سعد ، الجياهين .

ثانياً : قبيلة شهران . هؤلاء هم قسم من شهران الذين تمتد بلادهم على أطراف وادي بيشة من منبعه إلى مصبه ، وهم كثير والعدد والعدة ، وأقسامهم ستة : بنو واهب ، بنو منبّه ، الحلف ، الرّمثين ، الحنارشة ، آل السّند .
وبمناسبة ذكر شهران لا نرى بأساً من ذكر أقسامها الرئيسية التسعة التابعة لعسير (أي بلاد ابن هشبل وابن مشيط) وهي :

(١) آل رُشيد . وكبيراهم : ابن مشيط وأبو ملحمة

(٢) آل غمر .

(٣) ناهس . وفيهم خمس بدائد : بنو علي ، المزارقة ، بنو صغير ،

آل الذئب ، حويز .

(٤) گوډ .

(٥) بنو بجد .

(٦) بنو واهب .

(٧) آل سرحان .

(٨) بنو رشحة .

(٩) آل ينفع .

ويتبع شهران في الشعف : بنو مالك (أبنو مليك) ، والقرعا ، وابن جابرة ،
والمسفي . كما يتبعهم في تهامة فرع الجهرة .

أما القرى التابعة لكافة شهران فسند كرها في موضع آخر .

ثالثاً : قبيلة بلحرت^(١) قريبة من وادي ترَج ، وتقسم قسمين :

الأول : الخشارمة ، ومنهم أربع بدائد : العرمة ، آل الصمة ، الشحوف ،

آل عيسى .

والثاني : آل خالد ، ومنهم سبع بدائد : الحرشة ، الخرمة ، القملة ، البطلان ،

آل الربيع ، الحراملة ، آل مرير .

رابعاً : قبيلة خثعم . هم أهل قرى ومزارع ، ويقسمون إلى فرق أهمها :

بنو ميمون ، ابن عيدان ، أهل ديمة ، أهل باشوت ، آل مرّة ، السروان ،

المزارقة ، السلمان .

ومن خثعم أقسام في تهامة هي : المنتشر ، العوامر ، بنو سهم .

كنت دونت هذه المعلومات عن خثعم في رحلتي إلى «أبها» ، وكانت هذه

القبيلة تابعة آنذ لإمارة يشة ، ولـكنها أتبعت منذ نحو سنتين إلى إمارة سراة

الحجاز المسماة بغامد وزهران ، فكتب أميرها تركي بن ماضي عن أقسامها ما يأتي :

الحضر من «خثعم» هم :

(١) هم من الشلاوة . وتوجد قبيلة أخرى باسم بلحرت ذكرناها في كتابنا «قلب جزيرة

العرب» ص ١٣٨ . وبعضهم يخلط بين القبيلتين .

(١) بنو ميمون

(٢) أهل الفوقة

(٣) أهل الهطبة .

وأما البادية فهم :

(١) بنو داس

(٢) الفزع .

خامساً : قبيلة بالقرن . هم أهل قرى ما عدا الصهب من دحيم فإنهم على البداوة ، وأقسامها ستة : دحيم ، آل مشيب ، بنو رزق ، آل سليمان ، آل الحميد ، آل كثير .

سادساً : قبيلة شمran . منها فرق تقيم في تهامة ، غير أن لها أقساما في ديار بيشة هي : العبوس ، سحاب ، آل مبارك .

٥ - في بيشة

أقمنا في بيشة يوماً وبعض اليوم ، وتجولنا في أطرافها ، وزرنا بعض أعيانها ، ودرسنا أحوالها ، وجمعنا ما يلزمنا من معلومات وأرصاء عنها . وبيشة — بموقعها الطبيعي وخصب تربتها وتنوع إقليمها وكونها متوسطة بين عسير والحجاز والدواسر ونجد — ذات أهمية من الناحيتين الاستراتيجية والمواصلات . وقد كانت دائماً مركزاً هاماً للحشد العسكري الذي يساق من نجد إلى جهات عسير واليمن . وقد لعبت دوراً عظيماً في بلاد شهران وعسير أوائل زحف حركة الإخوان من نجد . وكان الغزو الأول الذي توجه بقيادة الأمير « ابن مساعد » لفتح عسير مؤلفاً من أهل بيشة علاوة على أهل نجد .

ويبلغ سكان وادي بيشة نحو ستين ألفاً . والجهاد المفروض عليهم في الدرجة

الأولى يبلغ ١٥٠٠ مقاتل .

وأما درجة الحرارة يوم مرورنا منها فكانت ٧٤ درجة فهرنهايت عصراً و ٧٠

درجة فهرتهيت صباحاً ، وتشتد درجة الحرارة في أيام الصيف اشتداداً عظيماً ، ولولا ذلك لما كانت زراعة النخيل فيها موفقة ناجحة . وقد قلت مياه الآبار بسبب عدم فيضان الوادي منذ سنوات . أما السنين التي تكثرت فيها الأمطار ويجري فيها الوادي تبعاً لذلك فإنها تكون سنين خير وبركة .

والصناعات في بيشة بدائية ، وما هي إلا دبغ الجلود وصنع سرج الخيل والإبل ونسج النسيج الصوفي الجاف الخشن ، مما يستعمل في صنع الأبسطة أو الأخرجة . والبيوت في بيشة تؤلف عادة من طبقتين ، وتحاط بأسوار في منتصفها أبواب كبيرة تتسع لدخول الجمال بأحماها . وقد شاهدنا بعض البيوت الكبيرة ذات الجدران المرتفعة تحترق سقوفها كوى لتصريف الدخان ، إذ أن النار توقد وسط البيوت للتدفئة وعمل القهوة والشاي .

أما طراز المعيشة في بيشة فقد تحول تحولاً محسوساً واختلف عما عهدناه في الحجاز وفي بادية الطائف . ومع أن العادات قريبة من عادات أهل نجد غير أنها لا تتفق معها تماماً ، كما أنها لا تشبه عادات عسير وشهران التي سنوضحها في الفصول الآتية . شرب الشاي والقهوة ثم تقديم المَجْمَر يحترق فيه عود النَّد أو خشبة الإذخر التي تكثرت في البرية قاعدة عامة شاملة ، ويزيد أهل بيشة على ذلك تقديم النواشف من التمر وغيره للضيوف الممتازين . وهذا التفرد في العادات ناشئ على الأكثر من وقوع بيشة على طريق القوافل الرئيسية التاريخية في جزيرة العرب ، فهي ملتقى هذه الطرق أو الحاج المتجهة من اليمن وحضرموت وعمان ووادي الدواسر وعسير والحجاز ونجد . وفي التقديم عرفت بيشة بأنها المعبر الذي دخل منه الأحباش في طريقهم إلى مكة عام الفيل . وتوجد بالقرب من بيشة كتابة باللغة الحميرية القديمة تشبه الكتابة المنقوشة على صخرة في ربع الزلالة بقرب السيل بالحجاز بينها وبين السيل الصغير على طريق الطائف للجمال . وقد جرت العادة بتسمية درب الجيش الحبشي بدرب الفيل ، لأن الفيلة والجمال معاً تعجز عن سلوك طريق السراة فتتركها إلى الغرب وتسير في الطريق الشرقي السهل الذي يمر من بيشة .

تزوّدنا من « بيشة » بالبنزين اللازم لسياراتنا ، وهى المحطة الأخيرة قبل خميس مشيط . وقدم لنا الأمير دليلاً من رجاله من شهران ، خبيراً بالطريق والأرض والجبال والقبائل ، لمرافقتنا إلى الخميس .

وقبل مسيرنا وقعت لرفيقنا المهندس « كنعان » قصة مسلية ، مازلنا نلمزه بها إلى يومنا هذا : انتهى كنعان كلوة الذبيحة . وأهل بيشة لا يبذلون كبير عناية فى طهو الخراف ، وكانت النتيجة أن تناول كنعان قطعة من الذبيحة لا يجوز أكلها ظناً منه أنها الكلوة ، فكانت فرصة للرفاق يتسلون فيها بمشا كسة كنعان وتعييره .

الفصل السابع

بلاد شهران

في طريق الخميس - بلاد خيبر - بين خيبر وتندحة - وادي تندحة - خميس مشيط
الأسواق الأسبوعية - قرى الوادي - السفور والزواج

١ - في طريق خميس مشيط

غادرنا قصر الروشن ، دار الحكومة في ببشة ، صباح يوم السبت الواقع في ١٨
شوال ١٣٥٢ (٣ فبراير ١٩٣٤) ، وخلفنا سوق « نمران » عن يميننا ، واتجهنا نحو
الجنوب تنهب بنا السيارات الأرض نهباً . وبعد مسيرة ثلاثة كيلومترات وصلنا إلى
ضلع اسمه « قرن الحديد » سرنا معه كيلومترين آخرين ، وكنا نشاهد من ورائه
جبال « الشهبلاء » . ثم دخلنا في أرض اسمها « المتن » يطل عليها « أبرق المنقاد »
وفي مؤخرته ضلع « العيرة البيضاء » فالحمراء . وأرض « المتن » هذه سهلة رملية
تجانبها الجبال من شرقها وغربها ، وعرضها حوالي ثلاثة كيلومترات ، وسرنا فيها
من الشمال إلى الجنوب مسافة ١٤ كيلومتراً . وكنا كلما اتجهنا إلى الجنوب ضاقت
بنا الفرجة بين الجبال وتشعثت بما يكثف فيها من الشجر ، حتى نصل إلى ضليعات
صغيرة تتسع بعدها الأرض مرة أخرى وتقوم إلى يمينها (غربها) سلسلة « لبت »
ومن دونها « جرياش » ومن ورائها « غرابة » . ويكون إلى جهة المشرق في الأفق
« اللبّ » و « القرين » وهضاب « بنى منبه » .

و بعد اجتيازنا لأرض المتن دخلنا أرض « الحُبُوب » ، نباتها السّمّر ، وطينتها
رخوة رخصّة ، تغرز فيها السيارات ، يخترقها وادي « هرجاب » عند جبل « مرياش »
الذي يقوم كالحارس الرقيب على الوادي العظيم .

و بعد أرض الحُبُوب تأتي أرض « الحزّة » التي يرافقها « مرياش » من

غر بيها برهة قصيرة ، ثم ينتهي « مرياش » قبل أن تبلغ شعيبا اسمه شعيب « رنوم » على بعد حوالي كيلومترين ونصف متر .

ويشاهد المسافر من وسط أرض الحزّة سلسلة من الجبال إلى جهة الغرب تعرف باسم « الشراة » ، وهي السلسلة الموازية لسراة الحجاز وعسير المرتفعة . والجبال في هذه المنطقة كثيرة ، بذل دليلنا جهده لتسميتها لنا وتعريفنا بحدودها من مبتدائها إلى منتهاها ، غير أني لن أتعب القارىء بذكرها هنا .

وبعد مسيرة ثلاثة كيلومترات من رنوم تبدأ أرض جديدة ، سماها الدليل باسم « صهى » وهي مجرى واد محصور بين جبال الشراة من الغرب وضلعان وهضاب مختلفة من الشرق ، وبعد أن نسير فيها مسافة كيلومترين نصل إلى الشعيب المسمى باسمها ونرافقه على ضفتيه مسافة غير قصيرة . وقد شبت أرض صهى هذه بطريق مكة — الطائف من حيث وعورتها وكونها في واد يرتفع كلما تقدمنا فيه ، إلى أن نصل بعد مسيرة خمسة كيلومترات إلى عقبة نرقاها ونتحول منها إلى أرض مستوية مسافة كيلومتر واحد ، ثم نعتلى عقبة أخرى . ويستغرق قطع أرض صهى من أولها إلى آخرها مسيرة عشرة كيلومترات ، حيث نفارق شعيب صهى ونسير في واد آخر اسمه « وادى الميئاء » وهو ذو رمل أبيض خال من الحجارة والصخور . وتشبهه الأرض هنا طبيعة الأرض الواقعة بين السيل والربع الكبير (ذات عرق) على طريق مكة — الطائف .

ندخل بعد ذلك أرض « جلالة » . وهي سهب مرتفع ، بقر به تلال وركام صخرية كالحرار ، وبعد أن نسير فيها خمسة كيلومترات نصل إلى مكان يسمى « هضبة البئر » التي يمر بقر بها شعيب جلالة . وبعد مسيرة كيلومترين ونصف متر عن الشعيب المذكور نصل إلى بئر غزيرة المياه ، عمقها سبعة أمتار ، تجاورها صخور ملساء ، نقشت عليها نقوش كثيرة ، قد يخالها المرء كتابة هيروغليفية أو حميرية ، غير أنها في الواقع أوسام الإبل وأوسام أخرى لأمعنى لها ، وهذه البئر اسمها « بئر ابن سرار »

و بعد كيلومتريين من البئر تقطع شعيبا اسمه «تلاع» ، ثم ندخل في أرض «الحدبة» التي تبدأ على بعد مسافة ستة كيلومترات من البئر، وهي أرض محاطة بهضاب حجرية ملساء اسمها «الصمغ» وهي بطبيعتها مشابهة لأرض «الجتامية» و«الجديرة» بين «الربع» و«أم الحمض» على طريق الطائف . وتشاهد من هذه الأرض هضاب متعددة مثل : نمره ، وحقايلة ، وثعدة ، الواقعة بقرب قرية : العماير ، على وادي «هرجاب» . وترى أيضا أبارق العالة ، ورفضة ، والحصير ، وسيقان ، والصندب . ذوات اللون الأبيض الناصع الذي يميزها عما حولها من هضاب ومرتفعات ، وتمتد أرض الحدبة إلى مسافة ١٢ كيلومترا .

وتبدأ بعد ذلك أرض «السرير» ، السوداء اللون ، الممتدة إلى مسافة تسعة كيلومترات .

ثم تأتي بعد ذلك «كتنة» وهي أرض وواد مشهور في كتب العرب ، تمشي السيارة فيه من أسفله إلى جهة منبعه عشرين كيلومتراً في ملتويات ومنحنيات تحيط بها الجبال من كل جانب ، وتقوم على أطراف وادي كتنة جبال مشهورة مثل ضلع «قرن الوشيل» وضلع «ربة» و«ابن سرار» . والسير في الوادي يكون صعباً حتى نصل إلى ضور بني منبّه ، لأن الطريق صعد . وضور بني منبّه ضلع صخري أملس يقع على يمين الصاعد على الطريق ، ويمتد إلى مسافة كيلو مترين . وحين مفارقة الضور نصل إلى عقبة صعبة المرتقى عسيرته ، ولسكنا رقيناها بدون أي حادث ، وحوّلنا السير من جهتها الجنوبية الغربية إلى «وادي قرن الوشيل» ، فنضطر إلى ارتقاء عقبة ثانية ، ثم بعد كيلومتر آخر عقبة ثالثة غير أنها أقل انحداراً من الأولى .

دخلنا بعد ذلك أرض «الخلائل» التي بلغ ارتفاعها أعظم ما وصلنا إليه حتى الآن في الرحلة ، إذ سجل البارومتر هنا علواً قدره ٧١٠٠ قدم . وأما أرض الخلائل فإنها سهلة كثيرة العشب والمرعى ، قد يتخذها بنو واهب من شهران حمى لمواشيهم ، وتقوم إلى شريقها سلسلة «الحصاصة» . وقد شاهدنا في هذه المنطقة رتلا من الظباء

طاردناها فلجأت إلى الجبال الصخرية فلم نتمكن منها . وأذكر أننا في عودتنا شاهدنا فيها نوعاً من الحبارى النجدية صدنا بعضها . وتمتد أرض الخلائل مسافة ١٩ كيلومتراً ثم نبدأ بالتصعيد مسافة كيلومترين حيث تطل على مجرى وادي «هرجاب» الذي قطعنا قسمه الأسفل في الصباح . وكانت الشمس قد قارت المغيب ، والسيارات الصغيرة لم تكن قد لحقت بنا ، فقررنا المبيت في هذا المكان .

حياة البرية لذيذة مبهجة ، لاسيما متى كان المسافر مستعداً لها أو معتاداً إياها . وكانت معيشتنا في سفرنا الحالى سائرة على وتيرة واحدة من الترتيب والنظام ، غير أننا — بسبب مبيتنا ثلاث ليال في الخرما ورنية وبيشة — لم نتمكن من الاستمتاع بحياة البرية الهادئة إلا ليلة مبيتنا في «هرجاب» . نصب الرفاق الخيام ، وأرسلوا الدليل في مشرتى ذبيحة لعشائهم ، وانتشراً كثراً يجمع الحطب استعداداً لهذه الليلة الباردة المقمرة ، وسمرنا إلى ساعة متأخرة من الليل مع ضيوف جمعتهم نار القرى ، فكنا نسمع أحاديث القحطاني والشهراني والعسيري والنجدي والحجازي ، وامتزجت النفوس وطاب السهر ، فهب الرفاق إلى جذوع أشجار ضخمة فاقتلعوها وجروها ، مقلدين بذلك فعلة الأمير فيصل ليلة الربوة في أرض «الجديرة» .

أفقتنا في الصباح نشطين أقوياء ، فرفعنا متاعنا ، وانسابت بنا سيارتنا تاركة وادي «هرجاب» إلى الشمال الغربي حتى دخلنا أرض «الحصاصة» التي تفصل بين مجرى «هرجاب» ومجرى وادي «أنط» الذي يصب في هرجاب أيضاً .

وبعد مسيرة ١٥ كيلومترا من هرجاب نفارق وادي أنط وندخل في أرض النمر وهي سهلة في مبتدأها ، وتقع إلى الغرب منها ضلعان «الشفنا» . ومما يلاحظ أن شعيب «نمر» يصب في وادي «المسيرق» الذي يصب بدوره في وادي «تثليث» . ونسير في أرض النمر مسافة طويلة ، نقطع تارة شعيب نمر نفسه ، أو الشعبان الصغيرة التي تصب فيه ، ولا تكاد تنتهي من أرض النمر حتى تشاهد في الأفق إلى جهة اليسار نخيل بلاد خيبر وقصورها .

٢ - بلاد خيبر

حينما سمعت بخيبر عجبت من التسمية ، لأنى كنت أجهل أن هنالك خيبراً غير خيبر المشهورة بوقعتها التاريخية فى صدر الإسلام والواقعة إلى الشمال الشرقى من المدينة المنورة ، ولكن خيبر شهران قد تكون أكبر من بلاد خيبر المدينة ، وأعدل هواء وأعذب ماء . وأرض خيبر هذه فيها رجوم وركام من الصخور السوداء ، وفيها شعبان وأودية كبيرة ، إلا أن أكبرها شعيب « السليل » ، وأعظم منه شعيب خيبر الذى يرفد شعيب المسيرق الأنف الذكر .

وتقوم بالقرب من خيبر عدة جبال أهمها جبل « شاع »^(١) إلى الجنوب الشرقى منها . وتجتمع مياه الأمطار التى تهطل عليه وعلى جواره فى الوادى الذى يجتمع فى أول بيوت وادى خيبر مع وادى « الشيق » القادم من جهة الجنوب . وبعد أن يجتاز الواديان خيبر يتصل بهما المسيرق ، ويظل اسمه هكذا إلى أن يصب فى وادى « ثفن » بقرب الحراض . وثفن نفسه يصب فى وادى تثليث الذى سنصفه ونذكر روافده فى موضع آخر من هذا الكتاب .

أما بلاد خيبر فإن أهلها من شهران ، إما من كود وإما من بنى واهب . وهى عدة قرى ممتدة على طرفى وادى خيبر والشيق والمسيرق . والبيوت هنا (وتسمى القصور) مبنية باللبن وهى كأحواش واسعة ، فى أحد أطرافها البيت الذى يشبه البرج ، ويتألف على الغالب من طبقتين ، يستعمل الأدنى أيام الأمطار فى فصل الشتاء ويضم المواشى من بقر وماعز وغنم ، ويستعمل الأعلى فى فصل الصيف لخزن المؤن ، ولكن الغرض الرئيسى منه أن يستخدم للحرب ومراقبة العدو ومقاومته .

ومما يؤسف له أن انعدام الأمن فى هذه البلاد قبل ولاية الملك عبد العزيز آل سعود جعل السلامة الشغل الشاغل لأهل هذه البلاد وما جاورها ، ولذلك تراهم

(١) صفة جزيرة العرب للهمدانى .

قد جهزوا بيوتهم بوسائل الدفاع ، وكذلك فعلوا بمزارعهم التي يبنون فيها القصبات الشبيهة بالمنائر فيها مخاريق لرمى العدو وصدده .

أما القرى في وادي خيبر فهي :

(١) رِغْوَة : في أعلى الوادي ، أكثرها مزارع للحبوب ، وفيها قليل من النخيل .

وأهلها من كَوْد من شهران .

(٢) البَرْدان : وتأتي بعد رِغْوَة . وأهلها من الصوح من شهران .

(٣) العَمَار : وهي للصوح أيضا .

(٤) خيبر : وهي لآل خُزام من بني واهب ، وهي أحضر من العمار ، وفيها

نحو عشرين قصراً .

(٥) واسط : وقصورها عشرة .

(٦) العمار : وهي غير الأولى واسمها الحقيقي عمار بن بجاد وفيها عشرون قصراً .

(٧) الحامض : وفيها نخيل ، وقصورها عشرة .

(٨) القفاض : بها عشرة قصور .

(٩) المباريش : أكبر من السابقة .

(١٠) الحنفة .

(١١) القوز : وهي بلاد لابن دليقم .

(١٢) البعث .

(١٣) الحرفين : وفيها عشرة قصور .

وأهم زراعاتهم البرّ والشعير والذرة والنخيل .)

ومما يلاحظ أنني لم أشاهد نخلا بعد خيبر من جهة الخميس وعسير ، فكانها

الحدود التي ينتهي عندها زرع النخيل .

٣ — بين خيبر وتندحة

بعد مسير بضع مئات من الأمتار عن قصور خيبر، اجتزنا مجرى الوادى، وسرنا محاذين لجبل « شاع » الذى أصبح الآن عن يسارنا على بعد قليل منا، وكنا كلما تقدمنا فى السير اقتربنا من الجبل حتى السير على سفحه، وأصبح السهل ممتداً إلى جهة اليمين حتى مسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً، وهناك تبدأ سلسلة من الجبال الحمراء تسمى « سلسلة الشميط » .

أما أرض الوادى فإنها من التراب الأسود الناعم، ويكثر فيها شجر العراد، وبعد مسيرة عشرة كيلومترات تضيق أرض الوادى، وتبدأ السلسلتان اليمنى واليسرى بالاقتراب حتى يبلغ البعد بينهما أقل من ٥٠٠ متر، وعندئذ نصل إلى مجرى وادى السليل الذى يصب فى خيبر، وفى هذا المكان ينقطع جبل « شاع » ويبدأ المسير على سفح سلسلة جبلية واقعة على يمين الطريق .

تضيق الجبال الخناق على الطريق وتنفرج عنه مرة أخرى، وهى تناسب على جانبي وادى السليل أو على أحد جانبيه أو قاطعة له، ولكنها تتعرج مصعدة مع علو الوادى إلى مسافة بضعه كيلومترات، حتى تبلغ ارتفاعاً سجله البارومتر بمقدار ٧٧٥٠ قدماً .

ننتهى من أرض جبلية إلى أرض رملية، ولكننا نعود بعد كيلومترين إلى المنطقة الجبلية حيث نرقى عقبة يكون الارتفاع عندها ٨٠٠٠ قدم، وتسمى الأرض التى وصفناها بأرض السليل نظراً لأن السليل يصفى مياهها وينساب فيها. ونسير بعد هذه العقبة قليلاً فنقطع عقبة أخرى دونها فى الارتفاع، ومنها تبدأ أرض اسمها « هضب الأشواط » وبقرتها ضلع منفرد اسمه « قرن » . ومن هنا تتغير استقامة الطريق فتصبح مائلة إلى الجنوب الغربى تماماً، ونترك « قرن » على يميننا بعد أن نكون سائرين فى استقامته، وتصبح استقامة الطريق جنوبية تماماً .

نجتاز بعد ذلك شعيباً على بعد نحو كيلومتر واحد من قرن اسمه «شعيب ثقيف» ثم نرقى عقبة يكون الارتفاع فيها ٨١٠٠ قدم . وحينما نجتاز كيلومترين آخرين نصل إلى أعلى الهضاب المقابلة لنا ويكون الارتفاع عندئذ قد بلغ ٨٤٠٠ قدم . ومما لاحظته أن هذه الهضاب هي الخط الفاصل لتقسيم المياه ، فإننا بعد أن بلغنا أعلاها شرعنا في الانحدار إلى جهة الغرب حيث تتصفي المياه إلى جهة وادي تندحة . وبعد مسيرة نحو كيلومترين قطعنا شعيباً صغيراً ثم قطعناه مرة أخرى بعد نصف كيلومتر في مكان تكثر فيه الحسيان وبعض شجيرات النخيل والدوم . ثم يتلوى الطريق بين رجوم وركام صخرية يعسر المرور من بينها وتسير السيارة كأنها محشورة بين قالبين من الصخر الأصم . وهذه القطعة من الطريق من أشق وأعسر ما رأينا ، وقد اجتزنا بين هذه الصخور والركام الصخرية مضيقاتاً يكاد عرضه لا يزيد عن عرض السيارة بكثير وطوله يزيد عن مائة متر ، ولكننا ما نكاد نفارق هذا المضيق العسير ونرقى أعلى العقبة من الجهة الجنوبية الغربية حتى نشاهد منظرأً بديعاً في الوادي المنبسط أمامنا ، هو منظر وادي تندحة وقراه الخضراء .

٤ — وادي تندحة

(يحسب وادي تندحة من أهم روافد وادي بيشة حينما يكون اسمه وادي شهران أو بيشة ابن مشيط ، وهو يصفى السفوح الغربية للهضاب والآكام التي تفصل بين مجرى وادي بيشة ومجرى تثلث . وقد رأينا أن الشعبان التي اجتزناها في طريقنا كانت متجهة إما إلى ناحية وادي بيشة (أنط وكتنة وهرجاب وتندحة) وإما إلى ناحية وادي تثلث (وادي السليل والمسيرق وخيبر) ، وعلى ذلك فإن وادي تندحة هو الوادي الثاني الذي يرفد وادي بيشة .

يتمتد الوادي من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي في منحنيات وتعاريج شديدة الميل إلى أن يصب في وادي شهران في مكان اسمه «الغريراء» بقرب بلاد

ابن هشبل ، و يبلغ طوله من منبعه إلى مصبه حوالي ٨٠ كيلومتراً ، ويكون مجراه ضيقاً شديداً الانحدار في بعض المواضع ، كما أنه ينفسح وينبسط في مواضع أخرى ، ويشاهد على أطرافه أرض خضراء جميلة جداً .

و حينما قطعناه وجدنا في مجراه الماء جارياً ، وقد أخبروني بأن ماءه لا ينقطع إلا في أشد السنوات قيظاً بخلاف سائر الأودية التي اجتريتها . نعم إن كثيراً من هذه الأودية توجد فيها « غيول » أي مواضع عميقة ينبع ماء الوادي منها ويؤلف بركة ماء واسعة ثم يغور مرة أخرى تحت الأرض فإن نبش عليه قليلاً ظهر الماء وجرى . وأكثر مجاري أودية عسير وجبال تهامة عسير فيها من هذه الغيول ذات الماء الملوّث والهوام السكينة والجراثيم والآثار المرزغية .

وتقوم على أطراف الوادي قرى عامرة ترى إحداها من الأخرى رأى العين . وهي صفة لم أشاهدها إلا في أودية عسير وبلاد شهران وقحطان . وقد ذكر لي بعض الذين سافروا بطريق السراة من الطائف إلى اليمن أن المسافر لا يفارق نظره القرى والقصور في انتقاله من مكان إلى آخر .

أما قرى وادي تندحة اعتباراً من منبعه إلى مصبه فهي :

(١) أهل الذيب

(٨) أهل الدر

(٢) العجير

(٩) آل ذبابة

(٣) ابن سامة

(١٠) آل بُوذبان

(٤) المزارقة

(١١) آل العطف

(٥) آل الحجاج

(١٢) آل عيَّاش

(٦) آل مستنير

(١٣) آل الشُعَيْثَاء

(٧) أهل الزلال

(١٤) آل سويد الحوطة .

ولأهل هذا الوادي سوق يومه يوم الأحد ، يجتمعون فيه مع كثير من أهل القرى المجاورة لواديهم ، ويتبادلون فيه بيع السلع والأمتعة . وهذه العادة أي عادة

الأسواق الدورية الأسبوعية فاشية فيما كان إلى جنوبي الحجاز من البلدان ، حتى إن القبيلة الواحدة قد يكون لها أسواق على عدد أيام الأسبوع يتنقلون فيها من سوق إلى آخر كما سنبينه في موضع آخر .

ولم نمكث في تندحة إلا ريثما جمعنا ما أردنا من معلومات وأرصاد ، وسرنا مسافة ستة كيلومترات ، فانفرج السهل أمامنا ، ووصلنا إلى شعيب الأرض المسماة بالشرف بعد سبعة كيلومترات تقريباً ، ثم مشينا قليلاً فأشرفنا من أعلى الهضاب على مجرى وادي الخميس « خميس مشيط » .

٥ - خميس مشيط

كانت في ذهني صورة للخميس لم أجدها مطابقة للأصل حينما بلغتها . سمعت بالخميس منذ سنوات ، وتصورتها مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء واسعة العمران معتدلة الإقليم ، لأنها كانت تتخذ مركزاً للمعسكرات كلما حصل النفير إلى جهة الحدود اليمانية أو إلى جهة تهامة ، فحينما وصلتها لم يحقق الخُبْر الخُبْر ، نعم وجدتها معتدلة الهواء قائمة في سهل منبسط تبعد عنه الجبال مسافات كافية ، ولكنني لم أجدها المدينة العظيمة ، المدينة التي رسمها الخيال في ذاكرتي .

حينما أشرفنا على وادي الخميس من الهضاب الشرقية أصيل يوم الأحد الواقع في ١٩ شوال ١٣٥٢ (٤ فبراير ١٩٣٤) كان أول ما لفت نظري الخيام البيضاء المنتشرة في أطراف الوادي وفي جنبات السهل المنبسط ، وحركة الجيش وتنقلات جند الإخوان ، وما يلازم المعسكرات من حركات عسكرية أو قوافل مؤن وذخائر أو سيارات غادية رائحة ، كما استرعى انتباهي شكل جديد للبيوت لم أشاهده من قبل . وقد انساب الوادي في السهل كالشعبان يتلوى من حمارة القيظ ، وقد رُصعت جنبات الوادي بالقرى المتصلة حتى كأنها تشبه قرية واحدة ذات حلال منتشرة هنا وهناك .

أما بلدة الخميس فقريه اسمها الحقيقي « الدّرب » ، وتسمى الخميس لأن السوق الأسبوعي ينعقد فيها يوم الخميس . ويضاف السوق إلى أمير شهران : ابن مشيط من آل رشيد ، فيقال للقرية « سوق خميس مشيط » ، ويضيع اسمها الأصلي « الدّرب » فلا يعلمه إلا أهلها .

بعد وصولي إلى الخميس فهتمت السر في اختيارها مقرأً للمعسكرات الحربية ، ذلك أن « أبها » وإن كانت أكبر منها وأقرب إلى الحدود اليمنية وتهامة فإنها محصورة بين الجبال ، ولا توجد فيها الفلاة لرعى الإبل ، وكذلك ليس فيها متسع لحركات جيش كبير . ووجدت أن ولي العهد قد اختار الإقامة في مخيم نصب على أطراف الوادي على سكنى بيوت القرية وقصورها .

بيوت القرية ، بل بيوت سائر القرى في بلاد شهران ، متشابهة . حينما أشرفت من أعلى « الخميس » على المعسكر والقرى المجاورة له ، رأيت من أمر البيوت عجباً ! البيوت في هذه البلاد تسمى قصوراً أو حصوناً ، وهي في الواقع كذلك . جدار مرتفع يحيط بمساحة واسعة من الأرض بحسب قدرة صاحب البيت وسعته . وقد قامت في طرف منه أو أكثر أبراج بعضها مفتول له مزارق ومرايبع للدفاع وقت الحصار . وقد قام في جانب آخر برج مربع هرمي الشكل تقريباً ، قاعدته متسعة ، ثم تضيق كلما ارتفعت الطبقات إلى أن تنتهي بحرف علوي مسنن ؛ يجعل للقصر منظرًا جميلاً ، ويظهر القصر بجملته كبناء فرعوني على الطراز الحديث له نوافذ ضيقة لا تنسع لمرور شخص متوسط الجسم . أما طبقات القصر فقد تكون اثنتين أو ثلاثاً أحياناً وتكون أربعاً في النادر . ومعدات البناء بأكملها وطنية محامية . اللبن النبيء يصنع من تربة الوادي ، والسقوف وجميع الأقسام الخشبية في القصر تصنع من خشب الأثل المحلي الموجود بكثرة . وقد شاهدت عجباً في أدراج سلم القصر المنسجمة مع شكله الهرمي ، فإنها متسعة في أسفل العمارة ثم تضيق كلما ضاقت مساحة البناء في الطبقات العليا حتى تصبح دون المتر عرضاً في الطبقة الأخيرة .

ويتجلى في شكل العمارة هنا فرق آخر لمسنا طرفاً خفيفاً منه في بيشة ، وهو الاهتمام بزينة المنازل من داخلها ؛ فإن أكثر الجدران وأرضية الغرف وأدراج السلم تلون بالأصباغ النباتية المحلية غالباً ، ولكن أجمل الأصباغ التي رأيتها هي اللون الأخضر الحشيشي الذي يؤخذ من عصارة البرسيم . شاهدت النساء يطلين بيوتهن من الداخل بهذه الأصباغ المبهجة ، ودققت في طريقتين متبعيتين في هذا الفن ، رأيت إمتاع قرأني بوصفهما .

تنقى كمية من التراب الرسوبي ، وتمزج بكمية قليلة من القش المسحوق (التبن أو ما يمثله) وترش بالماء إلى أن تتشرب تشريباً معتدلاً ، ثم تدعك الكتلة دعكاً قويا ، وتفرش على الأماكن المقصود إصلاحها وتسويها بالأيدي (وألاحظ أني لم أشاهد في شهران ، أو في عسير ، أو حتى في العارض من نجد آلات «المسطرين» لتسوية الطين ، بل إن العمال يستعيضون عن الآلات المعدنية أو الخشبية بأكفهم) ، ثم تبصص بملقعة معدنية إلى أن تجف فتظهر مصقولة براقه ، عندئذ تأتي النساء بالبرسيم يفركن به الأرض المطبينة بقوة مواظبات على عملهن برهة غير قصيرة ، ثم يجلبن الأصباغ الأخرى من أحمر قان ، أو أرجواني ، أو عنابي ، أو أسود ، أو كحلي ، يخططن بها رسوماً هندسية ، على قدر اجتهادهن في التنظيم ، وإذا بالمسكان بهيج بألوانه الزاهية ، جميل بأشكاله ورسومه ، ولكنه غير لطيف الرائحة على من لم يتعوده ، لأن رائحة البرسيم المدهوس تملأ جو الغرفة وتضيق الخدق على ساكنيها .

والعمارة بالطبع ليست قائمة على قاعدة هندسية منظمة ، فقد يكون طول الغرفة أكبر من عرضها ، وقد يكون السقف مرتفعاً في جانب أكثر منه في الجانب الآخر ، وقد يكون الجدار مائلاً أو بارزاً أكثر من ميل الجدار الآخر أو بروزه . والأبواب والنوافذ ليست متساوية . والمهم أن هنا بيتاً للسكنى يظلل المقيم فيه ويقيه البرد والحر وعواصف الطبيعة . وأما الهندسة وجمال الفن فإنهما للآن قائمان على حسب مفهوم أهل هذه البلاد واستساغتهم لها . وحسب هذه البيوت أنها حرز لصاحبها تقيه عدوان أخيه الإنسان ، وتضمن له الدفاع عن نفسه وماله وعياله ، وهذا كل ما يلزم .

تسمى البيوت بالقصور أو الحصون ، وتسمى الحلة وطناً أو قرية ، وقد تسمى باسم معين لها ، ولكنها تعرف باسم سا كنيها ، فيقال قرية آل الحارث وقرية آل منصور وهكذا ، وليست البيوت على السواء من حيث الشكل والبناء ، فقليلها جامع للأوصاف السابقة ، وكثيرها يؤلف من بيوت واطئة متواضعة ضيقة . ولا حظت أنهم يسمون النافذة « كسترة » . والإقبال يسمونه : التقطيب ، فيقولون : « قطب الكسترة » بمعنى أقفل النافذة . ويسمون الموقد : حلالا . والمطبخ : ملهباً . وكثير مثل هذا من الاصطلاحات الخاصة .

يفضل كثيرون مناخ « الخميس » على مناخ « أمها » ، ولكن المزعج في الخميس كثرة الرياح وشدتها ، فإنها تهدأ أطراف النهار ، وتهب هبوباً شديداً من الضحى إلى ما بعد العصر ، وأحياناً تدوم إلى الليل ، وربما كان مناخ الخميس أقرب إلى مناخ الطائف في أواسط الصيف ، ولكن لياليه باردة جداً . وقد سجل مقياس الحرارة درجات مختلفة ، وأصغر درجة بلغها أيام إقامتنا فيها كانت يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٥٢ (٧ فبراير ١٩٣٤) أربعين درجة فهرنهايت . أما ارتفاع « الخميس » عن سطح البحر فهو ٧٣٠٠ قدم .

٦ - الأسواق الأسبوعية

شهدت يوم السوق في هذه القرية ، وهو كما ذكرت يوم الخميس : فوجدت أن أكثر القرى المجاورة يستعدون له أسبوعياً ، ويحضرون إليه ببضاعتهم من جميع الجهات ، من بلاد قحطان : ربيعة ورُفيدة ، ومن بلاد عسير ، كما أن الشهارنة يحضرونه بانتظام . وينعقد السوق اعتباراً من ضحى يوم الخميس في برحة متسعة واقعة بين القرية ومركز الخيم . وليس هنالك مخازن أو مبان لوضع البضائع وعرضها فيها ، بل إن الأمر لا يتطلب أكثر من بضعة أعواد تغرز على أبعاد متناسبة وتغطي بقطعة من القلع أو الخيش في خطوط متوازية أو متقابلة ، يجلس أصحابها في ظلها ، فيسطون

بضائعهم أمامهم ويعرضونها على المارّة . والذي لا يتمكن من نصب خيمة كهذه يكتب في برقة من الأرض في العراء يبسط فيها سلعته . وهناك موضعان داخلان في السوق برغم بعدهما عنه : أحدهما لبيع الحطب والحشيش من برسيم وقصب وخلافهما ، والآخر لبيع السائمة والماشية .

نعم إن في الخميس بعض المخازن الدائمة للبيع والشراء اليومي ، إلا أن الأهمية العظمى للسوق الأسبوعي ، نظراً لكثرة العارضين والمشتريين فيه . وقد تجولت في السوق الأسبوعي ، كما تجولت في السوق الدائمى وسط القرية ، فوجدت أن الأهمية للأول منهما . وقد شاهدت جميع السلع التي تلزم لأهل القرى والبادية من مأكل ، أو مشرب ، أو ملبس ، أو أدوات منزلية ، فلاحظت أن حاجات الطعام والملبس أكثر من غيرها .

ويوم السوق هو يوم العيد الأسبوعي في المنطقة مثلما هو يوم البيع والشراء ، وهو فوق ذلك يوم المقاضاة والمحكمة ، وإبلاغ إعلانات الحكومة للناس ، ويوم تأديب المجرمين ، وغير ذلك من الأعمال التي تعرض للناس في معاشهم ، وعلى الإجمال هو يوم جامع تقضى فيه الحوائج ، وتفرض فيه المنازعات والمشاكل ، لذلك تجد القبائل كثيرة الاهتمام بأسواقها ، مدافعة عنها ، عاملة جهدها على إبعاد المشاغبات منها ، وإقصائها عن كل ما يشين سمعة أهلها ، أو يضعف حركتها . وقد وضعت إحصاء لهذه الأسواق في الجهات الواقعة بين الطائف^(١) والحدود اليمانية فوجدتها تزيد عن مائة سوق . وهذه أسماء بعض أسواق شهران وعسير وقحطان وما جاورها مع ذكر مواعيد انعقادها :

(١) الطائف نفسه يسميه أهل المنطقة من بادية تقيف وسفيان وهذيل «السوق» ، وأما الطائف فيعرفهم فيطلق على المنطقة بكاملها .

يوم انعقاد السوق	القبيلة	اسم السوق
الخميس	شهران	سوق الدرب لابن مشيط
الثلاثاء	عسير	» ثلوث أبها ^(١)
الاثنين	شهران	» ابن حموض
السبت	عسير	» بني رزام من بني مالك
الأحد	قحطان	» ابن سالم
الخميس	»	» عبيدة
»	»	» رفيدة ابن عامر
»	عسير	» أم زهران من ربيعة ورفيدة
الاثنين	قحطان	» الحرجة
الخميس	وادعة قحطان	» ظهران
السبت	رجال المع	» صلب
الخميس	بالأحمر	» الغارين
الاثنين	بالأسمر	» آل خریم
الخميس	بالأحمر	» ابن مطير
الأحد	رجال المع	» الشعبين
الخميس	» »	» كسان

(١) يسمى أهل المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء «الثلوث» ويوم الأربعاء «الربوع» .

٧ - قرى الوادي

ذكرنا فيما تقدم من الفصول أن هذا الوادي الذي أطلقنا عليه في هذا القسم اسم « وادي خميس مشيط » أو « بيشة ابن مشيط » ينبع من ديرة « آل المسيرة » ، وهم قسم من « رفيذة قحطان » التي أميرها ابن هيف ، في مكان يقرب جداً من خرابات جرش الوارد ذكرها في كتب العرب في أعلى مرتفعات عسير التي يسميها أهلها « السقف » أي الجبال بالقرب من سخن « تمنية » الذي يحسب حداً فاصلاً لتقسيم المياه الغربية والشرقية والجنوبية أيضاً .

أولاً : تقوم على أطراف الوادي حينما يكون في ديار قبيلة رفيذة^(١) قحطان القرى الآتية :

(١) المصيق	(٧) آل زهير	(١٣) آل الرميح
(٢) القرحاء	(٨) ليوان	(١٤) الجوف
(٣) عنقرة	(٩) آل الداخي	(١٥) آل شوية
(٤) آل الشيخ	(١٠) آل السواد	(١٦) آل عرينة
(٥) الدرّبين	(١١) آل العظبا	(١٧) آل غر
(٦) عراب	(١٢) آل عمرة	(١٨) آل نادر .

ثانياً : وحينما يصل إلى بلاد ابن سالم من عبيدة قحطان تقوم على أطرافه القرى الآتية :

(١) الرّمة	(٦) القضعان	(١١) آل قرّيش
(٢) آل كنبه	(٧) آل ثابت	(١٢) آل عصبه
(٣) آل جلده	(٨) آل مهدي	(١٣) آل قرعة
(٤) آل ألوف	(٩) آل هبيل	(١٤) آل بسّام
(٥) آل جلده من الحف	(١٠) آل جبيرة	(١٥) آل سليمان

(١) إن قرى رفيذة وأقسام بدائها أكثر بكثير مما هو هنا ، ولم أذكر في هذا البحث إلا ما كان واقعاً على الوادي من القرى وهي قرية « جارحة » و « خطاب » . أما قرى قبائل الحف ووقشة وذبحي والجمل وآل مستنير فقد تركتها إلى فرصة أخرى .

ثالثاً : أما في بلاد شهران فعلى وادي بيشة ابن مشيط القرى الآتية :

- | | |
|------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) مسيحل | (١١) العرق |
| (٢) الرونة | (١٢) قنبر ، سكن عبدالوهاب أبو ملحمة |
| (٣) نعان | (١٣) الصمدة |
| (٤) الهرير | (١٤) آل هميلة |
| (٥) الوقبة | (١٥) الغرابة |
| (٦) ذهبان سكن الأمير ابن مشيط | (١٦) طيب الاسم (كيسان) |
| (٧) الصفق | (١٧) معلوم |
| (٨) المثناة | (١٨) أبو سليك ، وهي منتهى الوادي |
| (٩) آل عزيز | (١٩) الجفور ، بينه وبين ابن هشيل . |
| (١٠) الدرب ، وفيه السوق الأسبوعي | |

رابعاً : وحينما يصل الوادي إلى بلاد ابن هشيل من بني بجاد من شهران تقوم

عليه القرى الآتية :

- | | | |
|------------------|---------------|----------------------|
| (١) المعامل | (٤) الشهمة | (٧) الفريرة |
| (٢) الرشدة | (٥) آل بطاط | (٨) شفان |
| (٣) آل أبو ثور | (٦) الشقر | (٩) بطنة بني ثعلبة |

أما الزراعة الرئيسية في هذه القرى فإنها الحبوب (البرّ والشعير والذرة بأنواعها والدخن) . أما الخضر والفاكهة فإن عناية أهل بلاد شهران بها قليلة جداً . والمعيشة من حيث هي بدائية بسيطة ، بحيث إن سكانها يعتمدون في ماكلهم على محصولاتهم الوطنية .

٨ — السفور والزواج

من الأمور الجديرة بإنعام النظر في أهل هذه البلاد سفور نساءها واختلاطهن بالرجال ، ولا فرق بين أن يكون الرجال من الأقارب أبناء البلد أو الغرباء والأجانب ،

ويشترك النساء في أحاديث الرجال في مجالسهم ، مهما كان نوعها ، سواء أكنَّ أبكاراً أم ثيبات .

والاختلاط بين الجنسين قد تكون له مبررات بين الأقارب ، وأما بين الأجانب فقد كان من الدواعي التي أهابت بالأمير « سعود » إلى وضع حد له وتحريم اختلاط الجنسين في المجالس أو في السوق .

وأما المهور فإنها رخيصة جداً ، وليس أدل على ذلك من معرفة أن المهر بين أبناء العم لا يتجاوز الخمسة إلى العشرة ريالاً ، وأما بين أبناء القبيلة الواحدة أو بينها وبين القبائل المتصلة بها بصاة النسب فقد يبلغ المهر من عشرين إلى ثلاثين ريالاً . غير أن كثرة الزواج بالجنود أدت إلى رفع المهور إلى مائة ومائتين وأحياناً إلى أربعمائة ريال .

ولا يهتم أهل هذه البلاد بالكفاءة في النسب . . . حقاً إن عائلات الأمراء والأعيان لا تزوج بناتها لغير الكفاء ، ولكنني شاهدت حوادث كثيرة قد أغفلت فيها شروط النسب والكفاءة ، وكان الاهتمام بالمهر الغالي والزواج الكريم . ويكنى أن يقع نظر الرجل على ابنة حسناء فيأتي إليها في السوق أو على البئر ويحدثها في أمر الزواج . ويمكنه أن يقول لها : « أنا ميدك^(١) » ، فإن كانت راضية عنه تجبه بأنها « ميده » وتدلّه على والدها أو وليها الذي بيده أمرها ، ويتم الاتفاق سريعاً . وهناك حوادث قد تجيب فيها المرأة طالبها بأنها « ليس ميد » أي لا رغبة لها في الزواج .

والنساء يقمن بأعمال المنزل ، فضلاً عن الاحتطاب وسقاية الماشية ونقل الماء إلى المنزل والبيع في الأسواق . يبعن من حاصلات الحيوان أو الزرع ، باسطات سلعهن في الأسواق الأسبوعية . غير أن الأمير « سعود » منعهن من ذلك درءاً للمفاسد بين أفراد الجند .

(١) « ميد » كلمة لم أعلم أساسها ، وقد تكون محرفة عن « ودي » ويعني بها الرغبة في الأمر وقصد لإجرائه .

تضفر النساء شعورهن ، ويسرحن خصلة من الشعر فوق الجبين ويقصصنها ، فتبدو عليهن أشكال ذوات الأزياء الحديثة ، لا سيما عندما يلبسن الثوب الفضفاض الذي يشبه « موضة الكلوش » الطويل بين السيدات المتمدنيات . ولسوء الحظ لم أسمع بإتقان النساء للخياطة ، فإن هذه الصناعة مثل كثير غيرها وقف على السادة الرجال . ولذلك فإن ثياب العروس تتباع من المخازن التجارية مفصلة جاهزة أو تعطى الخياط فيفصلها ويصلحها على هندام المرأة . ويتمنطق النساء بأحزمة من الجلد حول خصورهن ، فيتجلين في لبسهن أورييات على الطراز الحديث !

وسأذكر في الفصول المقبلة طرفاً من بعض العادات المتبعة في الأعراس والولائم وزيارة الأصحاب في « عسير » ، فأقتصر هنا على هذا المقدار .

القسم الثاني

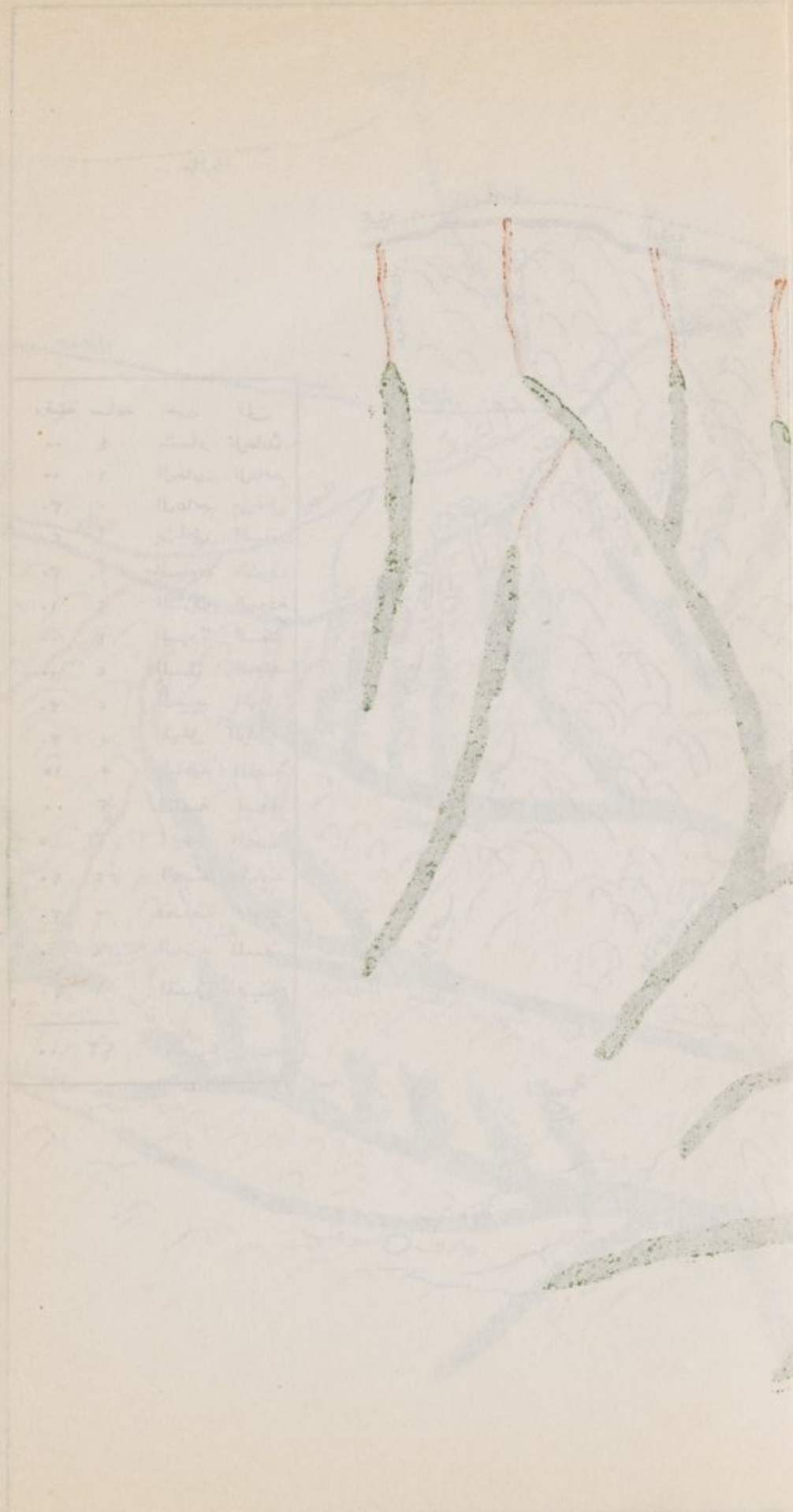
عسير السراة

خريطة عسير



دقيقة	ساعة	من	الى
٤	٠٠	شعار	البحارث
١	٠٠	البحارث	العامم
٠	٣٠	العامم	بني غني
٠	٢٠	بني غني	المسقى
٠	٣٠	المسقى	الشرث
٢	١٠	الشرث	السودة
١	٠٠	السودة	السقا
٢	٠٠	السقا	العبيد
٥	٣٠	العبيد	المهل
٠	٣٠	المهل	الباطنه
٥	١٥	الباطنه	المصبة
٣	٠٠	المصبة	ايها
١	٤٥	ايها	الجبنة
٢	٣٠	الجبنة	عضاضة
٠	٣٠	عضاضة	الريزيد
٢	٠	الريزيد	المسقى
١	٣٠	المسقى	تميمة
		المجموع	٢٣ ٠٠

رسمت خصيصاً لايضاح المواقع والبلدان
الوارد ذكرها في المقال عن عسير
يقلم
فؤاد حمزة
١٣٥٢ - ١٣٥٤



1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50

...

الفصل الأول

بلاد عسير

مقدمة - حدودها - وعورة بلاد عسير - أودية عسير - الطريق من الخميس إلى أبها

١ - مقدمة

« عسير » كاسم جغرافي ، اصطلاح حديث جداً ، يعود تاريخ استعماله إلى حوالي مائة وخمسين عاماً ، ولكنه كاسم قبيلة أو حلف من القبائل ، اصطلاح غاية في القدم . والأصل في الاصطلاح الجغرافي هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التي تسكنها ، فيقال بلاد عسير أو ديرة عسير ، ويقصدون بذلك أوطان القبيلة الشهيرة التي تسكن أعلى السروات ، وعلى الأخص سراة الأزدي ، ثم أهملت النسبة واشتهرت البلاد باسم عسير وفي العهد العثماني جعلت بلاد عسير « متصرفية » باسم : « متصرفية عسير » .

أهمل قدماء مؤرخي العرب اسم « عسير » كبلاد ، ولم يرد ذكرها في تقاسيم بلاد العرب المعلومة وهي : الحجاز واليمن وتهامة ونجد والعروض . وجعلوا حدود اليمن متصلة بالحجاز من ناحية السروات ومن ناحية تهامة . وقد أشار إلى ذلك ابن خردادبة حيث قال : « وفيما بين سرّوم راح والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه الغرب غير أنها أعظم منه ، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن »^(١) . وقال « ياقوت » : « مهجرة » بلدة في أول أعمال اليمن بينها وبين « صعدة » عشرون فرسخاً^(٢) وكانوا يطلقون على هذه البقعة من بلاد العرب : « بلاد السراة » وينسبون كل سراة إلى القبائل الساكنة فيها مثل « سراة جبلان » و « ألّهان » و « المصانع » و « قدّم »

(١) المسالك والممالك ص ١٣٥ و ١٣٧

(٢) معجم البلدان م ٨ ص ٢٠٨

و «عَذْر» و «هَنُوم» و «سِراة خولان» و «جَنْب» و «عَنْز» و «الأزْد» وغيرها^(١). وكانوا يسمونها كما قال «ياقوت»^(٢): «طُوداً» بفتح أوله وسكون ثانيه والِدال: اسم عَمَّ للجبل المشرف على «عِرْنة» ، وينقاد إلى «صنعاء» ، ويقال له: «السِراة» . وكذلك سماها «الهمداني»^(٣) .

وقد توسعوا في إطلاق لفظ «عسير» على بلاد ليس فيها عسيري واحد كما سنوضحه في محله من هذا الكتاب ، ولكن الذي يعنينا الآن هو أن هذه البقعة الجبلية كانت تقطعها بطون من القبائل اليمانية — وعلى رأى بعضهم: يمانية فتنزرت — من أسلم الأزْد ، أطلق عليها اسمها فعرفت بهم ودعيت: «بلاد عسير» . وكذلك تعرف قرى كثيرة بأسماء ساكنيها مثل «زور آل الحارث» و «حلة آل همام» وغير ذلك مما هو مشهور في بلاد عسير واليمن . ثم لما قويت شوكة القبيلة وامتدت سيطرتها إلى بلاد القبائل المجاورة لها غطى اسمها على اسم تلك القبائل وأصبحت تعرف باسمها . فلما جاءت الحكومات المدنية وجدت قبيلة «عسير» أشد قبائل تلك المنطقة مراساً وأعظمها هيبه ونفوذاً وأكثرها عدداً وعُدّة ، فأطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم «عسير» وجعلتها الحكومة العثمانية متصرفية كما مرّ^(٤) . وسنحاول أن نرسم في النبذة التالية صورة صحيحة عن حدود البلاد التي تسكنها قبيلة «عسير» والبلاد التي تتبعها ، أو التي ضمت إليها .

٢ - حدود «عسير»

ذكرت في فصل مضى من القسم الأول كيف حدّد لي الأعراب وادي «بيشة» بأنه يمتد من الشعف إلى الشعف . والظاهر أن أهل هذه البلاد مولعون بالاصطلاحات المقتضبة التي تغني عن التعريفات المفصلة ، لأنني حينما سألت بعض كبار «عسير» عن

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٦٨ - ٧١

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٧١ و ١١٨ ومعجم البلدان م ٦ ص ٦٧

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١١٨

(٤) قاموس الأعلام م ٥ ص ١٣٥٤

حدود بلادهم أفادني بتعريف جامع مانع في عرفهم كتعريف أهل « يشة »
لواديهم . قال :

« حدود عسير : من زهران إلى زهران » . تعريف يعجزأ كبر علماء الجغرافيا
عن حل طلاسمة ورموزه ، علاوة على أنه تعريف مبالغ فيه يفيد في الواقع مدى
سلطان قبيلة «عسير» في وقت من الأوقات أكثر مما يفيد حدود بلاد القبيلة ، فزهران
بلاد قبيلة عظيمة تقع بين بلاد الطائف وبلاد غامد ، وتبعد عن « أبها » مركز عسير
١٢ مرحلة للمشاة أو تزيد . و« زهران » مركز « وادعة » من « همدان بن زيد » إلى
الجنوب من عسير وقحطان ، بين بلاد قحطان وبلاد « صعدة » في اليمن . وتبعد
بلدة زهران عن أبها ٦ مراحل للماشي ، فتكون مسافة بلاد عسير بحسب تعريف أهلها
وتحديدهم عبارة عن ١٨ مرحلة ممتدة من الشمال إلى الجنوب . وقد تكون ثلاث
مراحل أو أربعا عرضاً من الشرق إلى الغرب .

غير أن هذا التحديد مبالغ فيه جداً كما ذكرت ، لأنه يشمل بلاد قبائل
كثيرة لا تجمعها بقبيلة عسير غير رابطة الجوار والخضوع في بعض الحقب لسلطان أمير
أو أمراء من « عسير » ، كما حدث ذلك فعلاً أيام سيطرة « عائض بن مرعي » مؤسس
إمارة آل عائض ، وكما وقع أيام ولده محمد بن عائض أكبر أمراء الأسرة العائضية
على الإطلاق . والقبائل التي يشملها التحديد المذكور آنفاً هي كما يأتي اعتباراً من
الجنوب عند الحدود اليمانية — السعودية إلى الشمال .

- | | | | | | |
|-------|---------------------|-------|---------------|--------|--------------|
| (١) | بلاد وادعة وسنحان | (٥) | بلاد بالأحمر | (٨) | بلاد بني شهر |
| (٢) | بلاد قحطان بأقسامها | (٦) | بلاد بالأسمر | (٩) | بلاد غامد |
| (٣) | بلاد عسير | (٧) | بلاد بني عمرو | (١٠) | بلاد زهران |
| (٤) | بلاد شهران . | | | | |

وقد تكون بلاد «عسير» في منتصف هذه البقعة الفسيحة من أرض السروات .
وذكري عسيري آخر حدود قبيلة «عسير» بالنسبة إلى التحديد الصحيح الذي
تشمّل عليه ديرة القبيلة الحقيقية فقال : « إن بلاد عسير من تمنية إلى شعار » .

والأول جبل عظيم في جنوبي بلاد «عسير» حيث تتألف الأودية الكثيرة مثل «بيشة» و «عِتود» و «ضَلَع» ، والثاني اسم عقبة مشهورة تسمى «شعار» أو «تَيْة» ، وهي واقعة في منتهى حدود «عسير» الشمالية بينها وبين بلاد بالأحمر .

قال الهمداني : « ثمَّ يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عَنز ، وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عَنز ، فأوطان عسير إلى رأس تَيْة وهي عقبة من أشرف تهامة وهي أبها ، وفيها قبر ذى القرنين فيما يقال ، عُثر عليه على رأس ثلثمائة من تاريخ الهجرة والدارة ، والفتيحا ، واللَّصْبَة ، والملحَة ، وطَبَب ، وأتانة ، وعُبل ، والمغوث ، وجَرْشَة ، والحَدْبَة . هذه أودية عسير كلّها » (١) .

وتقول إن بلاد القبيلة المعروفة باسم « قبيلة عسير » تتألف من الجبال والأودية والسهوب الواقعة بين أعلى السراة الأزدي في الغرب ، وبلاد شهران في الشرق ، وبلاد قطحان في الجنوب ، وبالأحمر وبالأسمر في الشمال . وبعبارة أخرى هي بلاد واقعة بين جبل تمنية وعقبة القرون ووادي رِكان الممتد إلى الحُقوف بالبحر من جهة الجنوب ، وبلاد بني شعبة وربيعة اليمن ورجال ألمع ووادي حلي من جهة الغرب ، وعقبة شعار ووادي تَيْة والسهب الممتد إلى بلاد بالأحمر من الشمال ، وسلسلة الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران من الشرق . وإذا قيست المسافات بالساعات للمشاة كانت المسافات من شعار في الشمال إلى تمنية في الجنوب ثلاثا وعشرين ساعة بالمشى السريع ، وفيما يلي كشف يوضح هذه المسافة (٢) :

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ — وأسماء الأوطان ما تزال إلى يومنا هذا على تسميتها ما عدا عبل والمغوث وجرشة والحديبة لم أتصل بها ، وربما تغيرت أسمائها بتقدم الزمن .
(٢) انظر تفاصيل العقبان والمواقع في الخريطة المرافقة .

	ساعة	دقيقة
من شعار إلى عقبة آل الحارث	٤	٠٠
من آل الحارث إلى عقبة آل عاصم	١	٠٠
من عقبة آل عاصم إلى عقبة بني غنمي	٠	٣٠
من بني غنمي إلى عقبة المسقوي	٠	٢٠
من المسقوي إلى عقبة الشرف أو الصماء	٠	٣٠
من الشرف إلى عقبة السودة	٢	١٠
من السودة إلى عقبة السقا	١	٠٠
من السقا إلى عقبة آل عبيد	٢	٠٠
من آل عبيد إلى عقبة المهمل	٠	٣٠
من المهمل إلى عقبة الباطنة	٠	٣٠
من الباطنة إلى عقبة الملصة	٠	١٥
من الملصة إلى أبها (أو إلى عقبة ضلع)	٢	٠٠
من أبها إلى عقبة الهضبة	١	٤٥
من الهضبة إلى عقبة عضاضة	٢	٣٠
من عضاضة إلى عقبة آل يزيد	٠	٣٠
من آل يزيد إلى عقبة المسقي	٢	٠٠
من المسقي إلى تمنية وعقبتها .	١	٣٠
المجموع	٢٣	٠٠

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التي من الشمال إلى الجنوب ، وهي — بين أبها وبلاد شهران — تبلغ ٣٥ كيلومترا ، فإذا اعتبرنا بلدة « حجلة » فاصلا بين ديرتي شهران وعسير كانت المسافة من أبها إلى أقصى

حدود عسير في الشرق لا تزيد عن ٢٠ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى شعار تبلغ ٢٨ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى تمنية أقل من ذلك . غير أن السيارة لا يمكنها السير إلا عن طريق خميس مشيط على محاذة مجرى وادي ييشة . وعلى هذا الاعتبار تكون بلاد قبيلة عسير عبارة عن بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها ٥٠ كيلومترا وعرضها ٤٠ كيلومترا على وجه التقريب . فأين هذه المساحة من المساحة الواقعة بين زهران وظهران ؟

٣ — وعورة بلاد « عسير »

مثما أطلق اسم القبيلة أو حلف القبائل على البلاد التي تستوطنها ، فلا يستبعد أن يكون لبلاد « عسير » نصيب من اسمها نظراً لوعورتها وصعوبتها . حقاً إن بلاد «عسير» عسيرة المرتقى وعرة المسالك كثيرة الجبال والوهاد والأودية . قامت سلسلة جبال السراة سداً منيعاً من جهة المغرب فلا يمكن ارتقاؤها والعبور منها إلا من فجوات حفرتها الطبيعة ونحتها بين ملتقى الجبال وتقاطع الأودية . وقد قامت هذه العقبات حارساً أميناً على البلاد من جميع الجهات التي يأتيها الخطر منها ، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاتحين إلا لما ، فصمدت للهجمات صموداً عجيباً ، وإن كانت استبيحت مرتين في العصر الحديث بسبب رداءة الدفاع عن حصونها الطبيعية أو بسبب وقوع الخيانة فيها : المرة الأولى حينما هاجمها «رديف باشا» في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من عقبة الصماء واحتل أبها وحرمة وريدة ، والمرة الأخرى بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة حينما هاجمتها قوات تهامة المنضوية تحت لواء السيد « محمد بن علي الإدريسي » عام ١٩١٠ ميلادية عن طريق عقبة شعار .

ومنذ وصولي إلى أبها ، وجهت همي إلى اكتشاف الطرق القريبة التي يمكن اجتياز السيارات منها إلى تهامة تسهيلاً لمواصلات الجيش المحتشد في السراة وفي تهامة . ولذلك جست خلال الديار وأنفذت المهندس إلى المواقع التي لم أتمكن من زيارتها

بنفسى ، ولكنى كنت كناطق الصخرة تتحطم دونها جهوده ، فإن جبال السراة
تؤلف حاجزاً قوياً لا يمكن تخطيه إلا من فرجات معدودة يطق عليها اسم العقبات ،
وهى بطبيعتها مبدأ واد منحدر من أعلى الهضبة إلى سفحها ، ثم يمتد الوادى متغلغلا بين
الجبال متعرجاً حول الآكام والرّبي ، إلى أن ينتهى عند ساحل البحر فى تهامة .
سأذكر الأودية المنحدرة من أعلى الجبال فى بلاد قحطان وعسير إلى ساحل
تهامة فى القسم الخاص بتهامة بمثل الطريقة التى اتبعتها ومازلت أتبعها فى سرد
تفاصيل الأودية التى تصفى السفوح الشرقية لسلسلة السراة . وقد ذكرت فى القسم
الأول من الكتاب ثلاثة أودية منها - تربة ورنية وبيشة - وسأذكر فى هذا القسم
وادى تثليث ، وأذكر فى قسم نجران الواديين الآخرين نجران وحبونة . ولذلك
سأكتفى هنا بذكر مبدأ الأودية فى العقبات المشهورة .

ذكرت فى النبذة السابقة أسماء ١٧ عقبة ، وقد ذكرلى خبراء هذه البلاد عقبات
أخرى غيرها ، فبلغ مجموعها ٢٤ عقبة ، لأرى بأساً من حصرها مع ذكر الجهات التى
تصب فيها بتهامة :

(١) عقبة شعار ، وتبعد ٢٨ كيلومتراً شمالى أبها ، وتقع غربى الحدود الفاصلة
بين ديار بالأحمر وديار « عسير » . وهى فى الواقع المنفذ المطروق من عسير إلى محائل
والتنفذة . والطريق منها إلى أبها لمهد لسير السيارات من أيام الحرب العامة ، وأصعب
قسم فيه عقبة أم الرّكب بقرب بلدة « رِضْف » على بعد ستة كيلومترات من أبها .
(٢) عقبة رِجْم ، وتبدأ من شعف آل الحارث من ربيعة ورُفَيْدَة من عسير ،
وتصب فى وادى تَمْنِيَة .

(٣) عقبة قضا ، وتبدأ من شعف آل عاصم من ربيعة ، وتصب فى النهاية
فى وادى حَلِي بن يعقوب .

(٤) عقبة وسانب ، تبدأ من المسقوى فى بلاد ربيعة ورُفَيْدَة من عسير وتنتهى
فى وادى حَلِي .

- (٥) عقبة فوده ، تصب في وادي حلي عند جرف ابن موهوب في بلاد ألمع .
- (٦) العقبة الصماء ، بقرب تهلل ، وهي من أصعب العقبات ، وقد يعتبرونها أصعب وأوعر من ضلع وشعار ، وتنتهي في بلاد رجال ألمع .
- (٧) عبقة توالب ، تبدأ من جبل السوداء الذي هو أعلى نقطة في سرة عسير ، وتصب في وادي العوص في بلاد رجال ألمع ، وهذا ينتهي في وادي حلي .
- (٨) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل السوداء أيضا ، وتصب في وادي شوكان ضمن بلاد رجال ألمع .
- (٩) عقبة أمطهار (الطهار) وتبدأ من السقا وتصب في وادي مربة ضمن بلاد رجال ألمع .
- (١٠) عقبة ضعاف ، وتبدأ من السقا وتصب في مربة .
- (١١) عقبة ريذة ، تبدأ من السقا وتصب في مربة .
- (١٢) عقبة الصليف ، وتصب في وادي لتوة الذي ينتهي في مربة .
- (١٣) عقبة آل محارث (الحارث) تبدأ من المهلل وتصب في وادي حرمة الذي ينتهي في مربة .
- (١٤) عقبة خشيعة ، تبدأ من المهلل وتصب في وادي الفيئة ثم في مربة .
- (١٥) عقبة لولاه ، تبدأ من الباطنة وتحول على وادي الفيئة ثم تصب في مربة .
- (١٦) عقبة خيمة ، تبدأ من الماصة وتحول على وادي الفيئة ثم تصب في مربة .
- (١٧) عقبة ضلع بقرب أبها على بعد كيلومترين منها إلى الجنوب الغربي ، وهي الطريق المطروق من أبها إلى القصبة فدرج بني شعبة فجزان .
- (١٨) عقبة قصرى أو الشرف ، وتلتقى مع عقبة ضلع في أسفلها عند منفرج الوادي قبل القصبة .
- (١٩) عقبة الهضبة ، تبدأ بقرب الشرف أيضا وتنزل إلى وادي ضلع .
- (٢٠) عقبة عضاضة ، تبدأ من عضاضة وتنزل إلى وادي ضلع .

- (٢١) عقبة آل يزيد ، أو عقبة عتود ، وتصب في وادي عتود .
- (٢٢) عقبة المسقى ، وتصب في عتود .
- (٢٣) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل تمنية وتصب في وادي ركان ثم في وادي الحفوة .
- (٢٤) عقبة بن حمّوض أو عقبة شهران من آل ينفع ، تبدأ من تمنية ما بين وادي عتود ووادي بيض .
- وتوجد بالطبع عقبات أخرى في بلاد قحطان ووادة إلى الجنوب من بلاد عسير ، سأذكرها في حينها ، لأنها هي المنافذ الوحيدة إلى تهامة .
- وانحدار هذه العقبات شديد الميل بعيد المدى ، وقد يستغرق النزول من العقبة بضع ساعات ، كما أنه في بعضها لا يتجاوز الساعة .
- وجبال عسير مرتفعة جدا ، وربما كانت أعلى الجبال في السراة بعد دخولها بلاد الملك « ابن سعود » . وقد سجل البارومتر (٩٣١٠) أقدام في قمة جبل « ذرّة » المشرف على أبها ، و (٩١٢٠) قدما في عقبة « ضلع » ، و (٩٦٢٠) قدما في عقبة « أم الركب » بقرب أبها ، و (٨٧٥٠) قدما في عقبة شعار ، و (١١٠٠٠) قدم في « تهليل » . وكان أعظم ارتفاع سجله البارومتر في السودة إذ بلغ (١١٤٢٠) قدما ويوجد بقرب السودة جبل آخر مرتفع بينها وبين تهليل لم نصل إليه ، ولكن المهندس قدر ارتفاعه بنحو اثني عشر ألف قدم .

٤ — أودية « عسير »

حينما أتى « الهمداني » على ذكر قبيلة عسير قال : « والدارة والفتيحا واللصبة والملحة وطيب وأتانة وعبل والمغوث وجرشة وحَدَبَة : هذه أودية عسير كلها ^(١) » . و« عسير » بلاد الأودية والجبال ، فلا عجب أن تكون كل عقبة من العقبات التي أوردنا

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١١٨ .

ذكرها في الفقرة السابقة رأساً لواد كبير أو صغير ، وقد تكون الأودية الناشئة من
رءوس العقبات أودية رئيسية كبيرة مثل « عِتود » و « حَلِي » و « الحُقُو » ، وقد
تكون فرعية تصب في الأودية الرئيسية .

أما من جهة سفوح جبال « عسير » الغربية فلا أشك في أن كل عقبة تؤلف وادياً
اسمه كاسم العقبة نفسها . وسندكر تفاصيل هذه الوديان وما يقوم حولها من قرى
ومزارع وعمران في تهامة بعد خروجها من ديار عسير ورجال ألمع وبنى شعبة وأهل
حلي في بحثنا عن تهامة عسير .

أما من جهة سفوح جبال عسير الشرقية ، فهناك أودية كثيرة قد أهلها « الهمداني »
الذي نقلنا عبارته في مطلع هذه الفقرة . حقا إن الأودية التي تصفى مياه السفوح
الشرقية والجنوبية لعسير غير طويلة ، ولكنها في الواقع من أهم روافد وادي بيشة ،
وتجتمع به بقرب بلاد ابن هشبل كما ورد ذكره في بحثنا عن بلاد شهران . وإليك
أهم الأودية الكائنة في هذه الجهة من بلاد عسير :

أولاً : وادي خبيبي : ينبع من الشِّقَا إلى الغرب من عقبة ضَلَع وعلى بعد
بضع ساعات إلى الجنوب الغربي عن أبها . وحينما يقرب من أبها يسمى باسمها ،
ثم يمتد مسافات طويلة حيث ترفده أودية فرعية كثيرة إلى أن يصب في وادي
بيشة شهران عند بلاد ابن هشبل ، وتقوم على ضفاف هذا الوادي قرى بنى مفيد من
قبيلة « عسير » . وهو أعظم أودية عسير .

ثانياً : وادي تخمة : ينبع من جبال تهليل ويصب في وادي أبها عند بلدة
المَحَّالَة من مراكز بني مالك من عسير ، ويمتلك البلاد القريبة من رأسه « عَلَكَم »
من عسير ، ويمتلك ما كان في أواسطه وأسفله بنو مالك من عسير .

ثالثاً : وادي المَلَاحة : وينبع بالقرب من « تَهْلَل » في بلاد « عَلَكَم » ،
وبعد أن يسير مسافة قصيرة يلتقي بوادي أتانة .

رابعاً : وادي أتانة : وينبع بالقرب من « الطَّلْحَة » في ديار « ربيعة

وَرُقَيْدَة » ، ويلتقى به وادى الملاحة فى قرية « الفَيَّة » ، وحينما يلتقيان يتغيَّر اسمهما ويتحدان فيصبح اسمهما (الوادى الطويل) نظراً لطوله ، إذ يسير مسافة طويلة قبل أن يلتقى بوادى أبها عند « الخنقة » قبل بلاد ابن هشبل .

خامساً : وادى طَبَب : يطلع من باحة « ربيعة » ويمرّ على آل بجاد ، ثم يصبّ فى وادى « تمنية » إلى جهة تهامة .

سادساً : وادى جوحان : وينبع بالقرب من العقبات الواقعة جنوبى أبها ، ويصبّ فى وادى أبها عند بلدة « قاعد » و « الدارة » بين بنى مغيد و بنى مالك . وقد زرت هذا المكان فوجدت عند ملتقى الواديين مستنقعا عظيما تجمعت المياه فى بعض أنحائه فكوّنت بركا متسعة نما على أطرافها نبات الحلفا والمكّص ، وفيها نوع من السمك ذى اللون الأسود . ويجوار هذه البرك مزار قديم العهد هدمه الإخوان ، يزعم أهل هذه البلاد أنه قبر ذى القرنين .

سابعاً : وادى ضلّع : وعلوّه الجندل ، وهى جبال تقع إلى جنوب جبل « ذرّة » المشرف على أبها والحارس لها من جهة الشرق ، ويصبّ فى وادى عتود الغربى (أى المتجه إلى تهامة) .

ثامنا : وادى مرّبة : ويخرج من بلدة « ريدة » إلى الغرب من أبها ، ويتجه غربا بجنوب إلى جهة تهامة حيث يلتقى بوادى ضلّع قبل أن يصب هذا الأخير فى عتود الغربى .

تاسعا : وادى عتود : وهو فى الحقيقة واديان أحدهما شرقى والآخر غربى . وكلاهما ينبع من عقبة عتود المذكورة آنفا ، ولكن أحدهما ينحدر من العقبة إلى جهة الغرب حيث يصب فى البحر ، والآخر يتجه إلى الشمال الشرقى محاذيا وادى بيشة غير بعيد عنه حوالى كيلومترين . وتقوم على هذا الوادى خمس قرى لآل راشد من شهران . وكان من الواجب ذكره فى بحثنا عن شهران لأنه ينبع من عقبة عتود ، وهى كما لا يخفى لآل يزيد من بنى مغيد من عسير . وهذان الواديان هما اللذان قال فيهما الشاعر إنهما مساكنا الأسد فى الجزيرة ، كما مرّ بك .

٥ - الطريق من « الخميس » إلى « أبها »

تبلغ المسافة من سوق ابن مشيط في بلاد شهران إلى سوق أبها قاعدة عسير ٣٥ كيلومترا تقطعها السيارة في ساعة وبضع دقائق ، نظراً لوعورة بعض أقسام الطريق الذي افتتحه « محي الدين باشا » متصرف عسير وقائد فرقتها العسكرية أيام الحرب العامة لسير المركبات . و « محي الدين باشا » لم يسلم البلاد إلا عقب الهدنة عام ١٩١٨ ، وقد عين فيما بعد وزيراً مفوضاً لحكومة تركيا في القاهرة .

غادرنا ساحة السوق حيث كان مخيمنا ، ضحى يوم الخميس الواقع في ٢٣ شوال ١٣٥٤ (٨ فبراير ١٩٣٤) ، وسرنا على جانب وادي بيشة الغربي ، وكانت القرى على يسارنا — وتمتد الطريق في أرض سهلة تتخللها ربي وهضاب كثيرة إلى مسافة ثلاثة كيلومترات عن السوق ، حيث تقوم بلدة « ذهبان » التي يسكنها الأمير سعيد بن مشيط ، وبعد أن تكون الطريق سائرة في اتجاه جنوبي إذا بها تنحرف إلى جهة الشمال الغربي ، بين هضاب صخرية صعبة المسالك طولها كيلومتران . وبعد خمسة كيلومترات من مفرق قصر ابن مشيط نصل إلى واد كبير هو وادي عتود المنوه به في النبذة السابقة .

يبلغ عرض مجرى الوادي أكثر من خمسين مترا ، وينبت على أطرافه الخلفا والغزار والقصب ، ويشاهد المسافر من هذا المكان قرية واقعة إلى جهة الشمال أسفل الوادي هي أول قرأه ، فلما رأيناها قدرنا بعدها عنا بنصف كيلومتر . أما القرى الواقعة على هذا الوادي فهي :

- | | |
|-------------|----------------|
| ١ - العطفة | ٤ - مشرف |
| ٢ - الخلصة | ٥ - آل الزعابك |
| ٣ - آل راشد | ٦ - الشعبة |

وكلها لآل راشد من شهران .

ونظراً لارتفاع أبها عن الخميس لا بد لك من اجتياز عقبات كثيرة في طريقك

من الثانية إلى الأولى ، إذ ما تصل إلى الكيلومتر السابع بينهما حتى تصبح على ارتفاع ٨٢٠٠ قدم عن سطح البحر، وبعد كيلو متر واحد يصل الارتفاع إلى (٨٣٠٠) قدم وحينما تبلغ الكيلومتر الرابع عشر تكون على ارتفاع (٨٣٢٥) قدما ، ومن هذا المكان يشاهد السهل المنبسط المحيط بوادي حِجْلة على بعد ١٥ كيلومتراً ونصف من خميس مشيط .

بلدة « حِجْلة » قرية بني مالك من « عسير » ، وهي كبيرة متسعة تقوم على أطرافها أبراج كثيرة يسميها أهلها « القصبات » وهي بالفعل قصبة مجوفة لها مدخل ضيق ، يرقى إليها بسلم من الحجارة البارزة من الجدار الأسطواني الشكل . وتستعمل هذه القصبات مراقب للحراسة من هجوم الأعداء المباغت ، وللدفاع عن القرية وما يحيط بها من المزارع .

حينما أشرفت على « حِجْلة » شاهدت منظرًا غريباً لم يكن لي سابق عهد بمثله . شاهدت البيوت والقصبات ذات رفارف خلتها لأول وهلة مصنوعة من الصفيح ، وإذا بي حينما اقتربت منها وأنعمت النظر فيها ، يتضح لي أنها مصنوعة من الأردواز الحجري ، ذلك أن طراز البناء في عسير يختلف عنه في بلاد شهران وسواها مما شاهدته من البلاد . فأساس البناء وجدره إلى ارتفاع حوالي متر عن سطح الأرض مبنية بالحجارة ، وما فوق ذلك مبنية بالطين أو الأبن الجفف بحرارة الشمس ، وكلاهما قليل المقاومة لا يستطيع تحمل التأثيرات الجوية والأمطار الغزيرة . ولذلك عمد أهل هذه البلاد إلى طريقة يدفعون بها خطر الأمطار ويدرون بها سقوط الجدران ، بأن أحاطوها من جميع أطرافها برفرف من الأردواز على أبعاد متفاوتة لا تزيد في معظمها على متر واحد ، ولا تكاد تبلغ أحياناً نصف متر . وعلاوة على أن هذا الطراز يكسب البناء شكلاً غريباً ، فإنه يدل على مبلغ استفادة القوم من الأسباب التي يملكونها لدرء الأخطار الطبيعية وحماية البيوت من الانهيار .

كانت « حِجْلة » من أعظم قرى « عسير » ، غير أنها أصيبت بضربة قاصمة عام فتح عسير على يد الأمير عبد العزيز بن مساعد ، إذ هاجم الإخوان جماهير عسير المجتمعة

في « حِجْلَة » للدفاع عنها فأبادوها ، وكانت مقاتلة عظيمة مازال أهل عسير يذكرونها ويندبون سوء حظهم فيها ، وقد كانوا ذوى شوكة وأنفة وعزّة طوال مدة الحرب العامة ، فأصابتهم هذه النكبة ، وأودت بمقاتلتهم ، وأضعفتهم كثيراً .

نجتاز شَعِيب « حِجْلَة » عند الكيلومتر السادس عشر ، ثم شعيب المدفن بعد ذلك بكيلومتر واحد ، ثم نصل إلى هضبة بالقرب من قرية « الغليظ » حيث يكون الارتفاع (١٤٠٠) قدم ، وحينما نصل إلى الكيلومتر الثالث والعشرين يبلغ الارتفاع (١٦٠٠) قدم .

نقطع وادي « جوحان » عند الكيلومتر السادس والعشرين ، وبعد مسير ثلاثة كيلومترات نقرب من قرية « الشرف » ، ويستمر التصعيد حتى نبليغ الكيلومتر الثلاثين ، فيصبح الارتفاع (١٧٠٠) قدم ، ثم بعد قليل يزيد الارتفاع خمسين قدماً أخرى .

وحينما نصل إلى الكيلومتر الواحد والثلاثين نكون قد بلغنا وادي « مشيع » الذي يمر بقرية « مشيع » التي تحسب من قرى « أبها » نفسها ، وبعد قليل نصل إلى أعلى ارتفاع بلغناه حتى الآن وهو (١٩٠٠) قدم ، ومن هذا المكان نشاهد مدينة « أبها » والقلاع المحيطة بها في أعالي الجبال ، ويظهر لنا قصر « شذا » الذي بناه محمد بن عائض ، ويظهر لنا إلى الغرب من قصر شذا قصر حديث البناء يختلف بطراز بنائه عن « شذا » حيث أنه يشبه قصور بلاد شهران ، بناه عبد الوهاب أبو ملححة على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية ، وقد علمت أنه كان على طراز حديث ، فجعل البناء الجديد على طراز بلاد شهران .

الفصل الثاني

قبيلة عسير

نسب عسير — أقسامها — نسب آل عائض — القبائل التابعة لعسير —
قبيلة ربيعة اليمن — عادات غريبة في قبيلة ربيعة

١ — نسب « عسير »

تضم قبيلة عسير المعاصرة مجموعة من القبائل المختلفة الأصول البعيدة الأنساب ،
غير أن « عسير » الأصلية تختلف في نسبها أنزاري هو أم يمانى . ذكر الهمداني :
« عسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز »^(١) .

وإرجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان
عظيم ، نظراً للاختلاط الذي حصل — خلال الحقب المتطاولة والقرون المتداولة —
في أنساب القبائل وهجراتها ومحالفاتها ، وما إلى ذلك من الأسباب الداعية لضياع
النسب الأصلي أو اختلاطه .

وقبيلة عسير المعاصرة حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، وهي ترجع
أنسابها إلى أسلم من الأزدي سكان السراة .

ذكر الشويدي أن « الأزدي من أعظم الأحياء وأمدّها فروعا ، وقد قسمها
الجوهري إلى ثلاثة أقسام : أحدها أزدي شنوءة بإضافة أزدي إلى شنوءة وهم بنو نصر
ابن الأزدي . والثاني أزدي السراة بإضافة أزدي إلى السراة وهو موضع بأطراف اليمن نزلته
فرقة من الأزدي فعرفوا به . والثالث أزدي عمان بإضافة أزدي إلى عمان وهي مدينة
بالبحرين نزلها فرقة منهم فعرفوا بها »^(٢) .

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ .

(٢) سبائك الذهب ص ٢٣ .

وقبيلة عسير تضم أربعة بطون ، اثنان منها ينسبان إلى أسلم من الأزدي ويلحقهما بعض فرق من شهران وقحطان ، والبطنان الآخران حلفاء للأولين ، والظاهر أن أصلهما يرجع إلى شهران أو قحطان .

أفادني الشيخ علي بن مشيبة أمير كافة « عسير » وهو من بني مغيد ، أن القبيلة متحالفة منذ زمن قديم ، ولكن كثرتها من الأزدي أزد السراة ، وفيها عناصر من شهران وقحطان ، وهذا طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئة عن العلبة والسلطان .

لا أستطيع حصر عدد أفراد قبيلة « عسير » بأقسامها الأربعة ، غير أنني علمت أنه قد فرض على عسير من المجاهدين أربع مائة مقاتل في الأوقات المعتادة ، ويمكن أن يطالبوا بمضاعفة هذا العدد فيقدمونه بكل ترحاب . والواقع أن فرض عدد من المجاهدين لا يتبع قاعدة واحدة معينة ، وقد يترك أكثر الأحيان إلى تقدير القبيلة نفسها . والعادة في مثل هذه الأحوال أن تذكر القبيلة عدداً أقل من عددها الحقيقي بالتأكييد ، فينشأ عن ذلك رقم لا يدل على شيء يمكن الاعتماد عليه في تقدير المقاتلة أو الرجال في القبيلة . غير أنني قمت بتحريرات واسعة فعلمت أن في إمكان القبيلة أن تخرج حين الضرورة القسوى ألفي مقاتل . وعلى هذا الاعتبار يمكن تقدير العدد التقريبي للقبيلة ذكوراً وإناثاً بحوالي ٣٥ - ٤٠ ألف نسمة .

٢ - فروع قبيلة « عسير »

تقسم قبيلة عسير إلى أربعة بطون ، وهي :

- | | |
|------------------|-----------------------|
| (١) بنو مغيد . | (٣) ربيعة ورُفيدة . |
| (٢) علكم . | (٤) بنو مالك . |

ولكل بطن عزوة خاصة يتفاخرون بها في الحرب فيقولون : « مغيد الخطي » ، « علكم الهول » ، « ربيعة مساة الحرب » ، « بنو مالك أهل الصمت » .

والترتيب الذي ذكرناه في تعداد أسماء هذه البطون يتبع مساكنتها اعتباراً من الجنوب إلى الشمال . وفيما يلي فروع كل بطن من البطون الأربعة :

أولاً : بطن بنى مغيد : وهم أكثر عسير عدداً فضلاً عن أنهم رؤوس القبيلة وأمرؤها منذ نحو مائة سنة ، أى منذ احتلال العثمانيين لها بقيادة « محمد على باشا » والى « مصر » . ويمكن تقسيم هذا البطن إلى أربعة أخاذ^(١) هى :

(١) فخذ آل ناجح ، وفيه أقسام كثيرة أهمها :

آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ومنهم آل عائض

آل تمام آل فلاح آل الحاج

(٢) فخذ آل عبد العزيز ، وفيه أقسام أهمها :

آل مفرح العرقة آل سكران

آل القبعى القدر آل بوسراح

آل مشيبة آل ضبعان آل ضحيّة

(٣) فخذ آل وازع ، وفيه عدة عشائر أهمها :

آل ويمن آل بدلة آل العكاس

(٤) فخذ مغيد الوطى وفيه عدة عشائر أهمها :

الشرف بنو جمفرى أهل الشعف

٣ - نسب آل عائض

وبمناسبة ذكرنا لبني مغيد نرى من الفائدة أن نذكر هنا نسب آل عائض من آل يزيد :

مؤسس الأسرة ومنشئ حكمها عائض بن مرعى من أهل ريّدة من آل يزيد من بنى مغيد . وقد تسلم الحكم من على بن مجتل كما سند كره في موضعه إن شاء الله .

(١) فى كتابى « قلب جزيرة العرب » جمعت هذه الأخاذ سبعة ، ولكن تحرياتي الشخصية دلتنى على أن تقسيمى الحالى هو المعتمد . انظر ص ١٩٦

وخلف عائض خمسة أولاد، هم :

- (١) محمد بن عائض ، وقد خلف ثلاثة أولاد هم : علي ، وعبد الله ، وعائض .
- (٢) عبد الرحمن بن عائض ، وقد خلف ولداً اسمه محمد بن عبد الرحمن توفي في الرياض منذ بضع سنين ، وله أربعة أولاد هم : حسن ، وناصر ، وعبد الله ، وعائض .
والأول من الأولاد في « أبها » والثلاثة الآخرون في الرياض .

- (٣) سعيد بن عائض ، مات ولم يعقب .
- (٤) سعد بن عائض ، مات ولم يعقب .
- (٥) ناصر بن عائض ، خلف أولاداً لم ينسب منهم إلا واحد اسمه « محمد » له ولد حتى حين كتابة هذا الكتاب .

أما أولاد محمد بن عائض الثلاثة فإن أحدهم (عائض) مات ولم يعقب .
وأما علي فله ثلاثة أولاد، هم :

- (١) الحسن ، وهو آخر أمير من آل عائض ، يقيم حالياً في الرياض .
- (٢) عائض ، له ولد اسمه يحيى ، أما هو فقد مات .
- (٣) محمد ، مات ولم يعقب .

وأما عبد الله بن محمد بن عائض فله ثلاثة أولاد، هم :

- (١) عائض ، مات بالرياض ، وله ولد .
 - (٢) سعيد ، مقيم في أبها ، وليس له أولاد .
 - (٣) حسن ، مقيم في أبها ، وليس له أولاد .
- والأحياء من آل عائض حين كتابة هذه الأسطر هم :

١ - ستة أشخاص يقيمون في أبها ، هذه أسماؤهم :

- (١) سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض .
- (٢) حسن بن عبد الله بن محمد بن عائض .
- (٣) حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عائض .

(٤) يحيى بن عائض بن علي بن محمد بن عائض .

(٥) ولد محمد بن ناصر بن عائض .

(٦) ولد عائض بن عبد الله بن محمد بن عائض .

ب — أربعة أشخاص يقيمون في الرياض هذه أسماؤهم :

(١) حسن بن علي بن محمد بن عائض (أمير عسير السابق) .

(٢) ناصر بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

(٣) عائض بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

(٤) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

ثانياً : بطن عدلكم من عسير : أفادوني أن هذا البطن يتفرع إلى ستة أقسام هي :

(١) بنو مازن (٤) بنو المقرن

(٢) أهل القصير (٥) تلالدة عبدل

(٣) آل سعيدى (٦) أهل عضاضة بقرب الشعف .

ثالثاً : بطن ربيعة ورُفيدة : يتألف هذا البطن من قسمين لا أشك في أنهما

من العشائر المتحالفة ، ولست أدري ما الصلة بين ربيعة ورُفيدة وبين استعمال الاسمين

كعلم لبطن واحد . إن اسم ربيعة فاش بين قبائل العرب ، وقد عدت خمسا منها

تحمله وقد يكون هنالك غيرها . وكذلك رُفيدة فإنه علم لعشيرة من قبيلة قحطان .

وعلى كل حال فإن هذا البطن ينقسم إلى فخذين :

١ — فخذ ربيعة ، وفيه أربع عشائر هي :

(١) تيهان (٣) بنى غنمى

(٢) آل شدادى (٤) آل عاصم

ب — فخذ رُفيدة ، وفيه خمس عشائر هي :

(١) آل الحارث (٣) أهل طهب (٥) الرفقتين .

(٢) التلالدة (٤) أهل الغال

رابعاً : بطن بنى مالك : هذا الاسم فاش أيضاً ، فهنالك بنو مالك فى جبال تهامة بقرب العبادل وفيّفا وبالحرث ، وهنالك بنو مالك جماعة ابن فاضل بين زهران والطائف ، وهنالك هذه القبيلة من عسير ، وأما أقسامها فهى :

- ١ - آل المجمل ٥ - آل رميان
٢ - بنو رزام ٦ - بنو مُنْبِيّه
٣ - بنو ربيعه ٧ - آل يعلى ، ومنهم أحمد بن مُعَدِي أمير بنى مالك
٤ - آل الحُبْشَى ٨ - التّلالده

٤ - القبائل التابعة لعسير

يساكن فروع قبيلة عسير ويخالطها طبقات من القبائل التى تحسب أدنى فى المستوى الاجتماعى وأقل اعتباراً من القبائل ذات الشوكة والسطوة ، وهى لا تنحصر فى بلاد عسير فحسب ، بل إن منها فروعاً فى بلاد شهران وقحطان ورجال الحِجْز . والظاهر أن ضرورة المجتمع البشرى وطبيعة العمران أوجبت إيجاد هذه الطبقات التى تكسب بعرق جبينها من أعمال دنيا فى نظر القبائل الأخرى برغم ضآلة الفروق الموجودة بينها وبين تلك القبائل من ناحية طرق المعيشة وقلة العناية بالكفاءة فى الزواج والنسب .

ولهذه القبائل درجات بعضها فوق بعض . فمنها ما هو - فى طراز معيشتة - أقرب إلى القبائل ذات السطوة ، ومنها ما هو أقرب إلى الصناع والخدم والمستجدين ، ومنها ما هو كالعجر يكسبون قوتهم من الاستجداء أو المديح أو القيام ببعض الأعمال الحقيرة . وقد ذكر لى من هذه الطبقات ما يأتى :

١ - البلاحة : وهم مثل العجر مدّاحون مستجدون . ومنهم أفراد لهم مكانة لا بأس بها من حيث الكرم وحسن الضيافة والمقام بين الجيران ، ومنهم الشعراء المداحون ، لقيت أحدهم فى قرية الملاحة فأنشدنى كثيراً من الشعر النبضى عن وقائع عسير وأيام محمد بن عائض ، وبينها قصيدة فى مديحى ومديح الحكومة . وقد قابلنى

مرة أخرى بمكة فوجدته على عهدى به مداحاً قوَّالاً. حسن العشرة سريع البديهة
٢ - الكحلة : طبقة أرقى من البلاحة ، وهم فى نظامهم الاجتماعى يشبهون
القبائل ذات النسب ، غير أنها لا تناسبهم ولا تنزوح منهم .
٣ - الهمان : وهم فى عسير مثل « هتيم » فى الحجاز ، أى من طبقة
القبائل المنحطة .

٤ - الدواسر : أصلهم من الأرقاء والصناع والخياطين . وهم - بالطبع -
بخلاف الدواسر ذات العصبية والمكانة والمنعة فى وادى الدواسر ونجد ، فأولئك
من أشرف طبقات العرب .

٥ - طبقة الصناع : من مُجَعَّب وخَرَّاز وحداد ومبييض وبرام . وهم لا يتناسبون
إلا فيما بينهم .

٦ - الغيوض : وهم العمال الذين يشتغلون فى حياكة النسيج اليدوى الخشن ،
ومنهم طبقة أدنى من الجميع يسمونها : الخدمان ، أى الأجراء .

٥ - قبيلة ربيعة اليمن

جرى العرف فى سائر بلاد السراة وقحطان وشهران على أن يكون لكل قبيلة
فى السراة أتباع فى تهامة . فقبيلة عسير يتبعها فى تهامة من القبائل العظيمة قبيلة رجال
المع . ولكن بالنظر لأهمية هذه القبيلة أفردنا لها بحثاً خاصاً ، لا سيما لأنها من ناحية
العدد والمدّة قد تقرب من قبيلة عسير إن لم تزد عليها ، ولا شك فى أن التبعية إنما
هى فى السلطان السياسى أكثر منها فى الحالات والعادات الاجتماعية والنسب .

وقد ذكر لى كبار عسير أن فى تهامة أربعة أقسام تتبع القبيلة ، وتتبع بالأخص
بنى مغيد أو عَلَمَكَم ، وتبعيتها لبنى مغيد أكثر ، وهى :

١ - المُضَيَّبِيون . وهم قرييون جدا إلى بنى مغيد .

٢ - أم نفاة . ويتبعون عَلَمَكَم .

٣ - أهل وادي مَرَبَة . ويتبعون علمكم وبنى مغيد .

٤ - ربيعة اليمن . وتحسب من ملحقات بنى مغيد ، وهي المقصودة ببحثنا الحالى نظرا لهمجيتها وغرابة عاداتها وبعدها عن سائر أسباب الحضارة والمدنية .
تقيم ربيعة اليمن فى وادى ضلَع إلى الجنوب الغربى من « أبها » على بعد منها ، وتمتد منازلها حتى درب بنى شعبة فى أسفل الوادى بعد التقائه بوادى عتود التهامى .

ويبلغ عدد أفراد القبيلة نحو ألفى نسمة . وهى ما تزال على حالة البداوة فتسكن فى مغائر أو خشش بين الصخور ، أو أكواخ مشيدة من الحجارة الموضومة المغطاة بالخصف أو بقطعة من قماش . وقد يكون للسكوخ باب صغير جداً يدخل منه المرء حاييا على ركبتيه ، إذ لا أبواب ولا مزالج ولا أقفال ، وهى أكواخ نقالة ، تنقل من مكان إلى آخر تبعا لحركات القبيلة بحثا عن المرعى . وتعيش القبيلة على تربية المواشى ، ولا تحسن الزراعة مطلقا .

ولربيعة اليمن خمسة فروع هى :

- | | | |
|---------------|----------------|----------------|
| (١) آل زعبة | (٣) الفراحنة | (٥) آل وائلة |
| (٢) آل غراب | (٤) البواح | |

٦ - عادات غريبة فى قبيلة ربيعة

سمعت من أخبار هذه القبيلة وعاداتها الغريبة شيئا كثيرا زاد معه شوقى إلى مشاهدة أفرادها من الجنسين ودرس طباعهم وأخلاقهم وتسقط أخبارهم لتفكهم قرأتى بها ، فاغتنمت فرصة الأسواق الأسبوعية فى « أبها » أيام الثلاثاء من كل أسبوع لمقابلة بعض من يحضر السوق منهم ، والتقاط صور بعضهم وسؤالهم عن أحوالهم ، فوفقت إلى أشياء كثيرة أوضحتها فيما يلى :

تعيش القبيلة حياة بدائية غاية فى المهجية والوحشية . طعامها خشن ، ولباسها بسيط يتخذ للستر أكثر منه للتدفئة والزينة ، ومساكنها - كما ذكرت فى النبذة

السابقة — مساكن القرون الأولى وهي بمجالاتها الحاضرة بعيدة قرونا كثيرة عن حالة الحضر من أهل المدن الحجازية بله غيرهم من سكان المدن الكبرى .

أما طعامها فنوع من « العريكة » أو « العصيدة » أو الخبز والسمن . ويندر استعمال القمح بين ربيعة ، وكذلك اللحم فإنه ترفه لا يتناولونه إلا في الأعياد والمواسم أو في حفلات الختان والولائم وما شابه ذلك . والخبز والعريكة يصنعان من الشعير أو الذرة أو الدخن ، ويعصد الدقيق بالماء على النار ثم يسكب في مواعين خشبية غالبا ونحاسية حيناً ، وتحفر وسط العصيدة المسكوبة في الماعون حفرة صغيرة تملأ بالزبدة السائلة أو السمن السائح ، فيلتقم الإنسان قطعة من العريكة يغمسها في السمن ثم يزدرددها .

وأما لباسها فمتزر (فوطة) يحيط بالقسم الأدنى من الجسم ، ويربط حول الخاصرة بسبطة أو بخنفة أو بعقد طرفيه دون حاجة إلى حزام . وهو لباس الرجال والنساء . وتختص المرأة علاوة على ذلك بلباس يشبه الصديرية القصيرة تابسه فوق القسم الأعلى من جسمها ، وأحياناً يكون هذا اللباس متزراً آخر أو مسفعا يلف — مثل رداء الإحرام — حول الكتفين أو إحداها وحول الظهر والصدر ، وقد تكون الصديرية قصيرة لا تبلغ حد المتزر الأدنى ، فيبقى قسم من البطن والخاصرة مكشوفاً لا يستره لباس .

وغطاء الرأس عند النساء قبعة من الخوص يسمونها (طَفَشَة) وهي على نوعين :

(١) ذات كنار عريض ، ويختص بها أهل تهامة حيث الشمس محرقة جداً .

(٢) ذات كنار رفيع تتوسطها أسطوانة بارزة تجعلها أقرب في شكلها إلى القبعات الأسبانية الأندلسية أو قبعات « السيلندر » لولا أن هذه من الحرير وتلك من الخوص .

أما الرجال فلا يغطون رؤوسهم بل يصفرون شعورهم أو يتركونها على طبيعتها منفوشة بصورة تلقى الذعر في القلوب . وقد يربط الشعر بسبطة تمسكه منعاً لتحرير الرياح له ، وقد يكون الرباط من أزهار البرك أو الشيح أو غيرها .

ويتقلد الرجال خناجر طويلة تسمى « جنبية ». وهذه الجنابي مختلفة الأشكال بعضها طويل جداً يشبه السيف القصير، وبعضها كالحرية المحدبة، وبعضها كالخناجر الحجازية أو اليمانية، وأكبر الخناجر هي التي يلبسها أفراد رجال المع.

ومن أزدل عادات ربيعة الاختلاط الجنسي بين الرجال والنساء من الأبيكار والثبيات. وقد روى لي عن ذلك روايات أخشى أن يكون مبالغاً فيها كثيراً بسبب النهم الشنيعة التي يوجهها بعضهم إلى هذه القبيلة وسواها من قبائل تهامة قبل قيام الحكم الحالي الذي قضى على هذه العادات الجاهلية وضرب على أيدي مرتكبيها بيد من حديد. وقد لا تتزوج البكر زواجاً شرعياً قبل أن تكون قد ولدت ولداً أو أكثر سفاحاً، والظاهر أن كثيرين يرغبون في زواج البنت ذات الرقم القياسي في عدد أولاد السفاح. ويسمى ولد السفاح عندهم (ولد الهبيجة) وفي لهجة أهل البلاد (ولد أمهبيجة) والهبيجة هي الغيضة أو الغابة، أي الولد الذي ولد في الهبيجة وليس على فراش أهله. أما المتزوجات فإنهن محصنات لا يعرفن الباطل ولا السفاح، ومجرد زواج البكر أو الثيب يلقي عليها ستاراً كثيفاً من الحصانة والحرمة والقدسية. وقد روى لي أن رجلاً غافل متزوجاً في ليلة كانت فيها متممة نائمة، فلما عرفت بالأمر ظلت تتعقبه مدة إلى أن ظفرت به وقتلته رمياً بالرصاص دون أن تطالب بديته لأنها قتلته دفاعاً عن العرض والشرف. ولا أشك في راوى القصة، بل أعتبره شاهد عيان لأنه اشترك في تسوية الحادث نظراً لمقامه عند القبيلة.

ومن أحسن عادات هذه القبيلة :

(١) ! كرام الضيف .

(٢) الحشيدة لثلاثة والفرزة لهم : الخوى والضيف والرفيق إلى أن ينصرف

من الديرة أو إلى أن يهضم طعامه .

(٣) المحافظة على أعراض المتزوجات .

(٤) حفظ جميل المحسن والإشادة بذكره .

غير أن أخبث وأفظع العادات الوحشية عند ربيعة اليمين عملية « الختان » ،
وهي طريقة فظيعة تنبؤ عنها الأذواق وتمجّها الأنفس . و الختان هو سلخ جلد العانة من
أسفل السرة إلى أواسط الفخذين بما في ذلك الفرج ، ويكون إجراء العملية في جمع
حافل من رجال القبيلة ونسائها ، شبيها وشبانها ، بناتها وأطفالها ، تتجلى فيه سماجة
الذوق والوحشية .

لم تكن عادة السلخ محصورة في ربيعة اليمين ، بل كانت فاشية في أكثر قبائل
تهامة عسير ، ولكن الحكومة الحاضرة قضت عليها وشدت النكير على مرتكبيها
فلم يبق من آثارها إلا القليل الزائل مما لا يتصل خبره بالحكومة .

وقد شرح لي بعض من شهد حفلة الختان عند ربيعة مراسم إجرائها ، فرأيت
تدوينها فيما يلي :

عيد الختان من أعظم الأعياد والمواسم ، ونظراً للأخطار التي يتعرض لها المختن
فإن كثيرين يؤخرون ختانهم سنوات كثيرة قد تصل إلى العشرين أو أكثر ،
ولا يجوز ختان من لم يكن بالغاً ، ويعين للشبان الطالبين موعد الختان ومكانه ،
ويدعى إليه سائر القوم رجالاً ونساء ، وتنحدر الأبقار والأغنام من ضأن وماعز بهذه
المناسبة . و ذكر لي أنه حدثت وقائع ختان كان الأولاد يحضرون فيها ختان أبيهم
مما يدل على أهمية الحادث والتخوف منه ، لأنه في الحقيقة ضرب من الوحشية الخطرة
التي تتطلب الشيء العظيم من الشجاعة والجلد والصبر على الآلام ، وتفضي إلى الموت
أحياناً كثيرة .

يقف الشاب الذي ينوي الاختتان فوق دكة مرتفعة في محضر من النساء
لا سيما الأبنكار الرغبات في الزواج ، ولا يكون على الشاب من الثياب ما يتستر به ،
بل تكون عورته بارزة من غير حياء ولا خجل . إنها وقفة جبارة تمثل لنا عهد
الأبطال الخرافيين أمثال « أبو اللو » و « هرقل » ، يقف الشاب متكئاً بيده اليسرى
على رمح قصير يتخذه عكازاً يستند إليه عند شدة الألم ، ويحمل بيده اليمنى جنبية

كبيرة يسميها قوم ربيعة « ذريعة » أو « معيرة » ، ويرفع الشاب رأسه منادياً معترياً ، بينما سكن الجراح تعمل في جلده تقطعه شريحة إثر أخرى . هذا مقام يتبارى فيه الأشداء ، فمن اختلاج أو صاح أو بكى أصابته سبة من العار إلى الأبد ، ومن اختلجت أطرافه أو ظهرت عليه علامم الخور والضعف ، فهو جبان رعديد لا كرامة له بين الناس ، وایس هو بالبطل الذي يستهوى قلب المرأة فتعتبر اتخاده بعلاها من دواعى فخرها . ومن شدة إغفالهم في اختبار جلد الشاب قد يذرون رملاً ناعماً فوق رجله ، فإن ثبت الرمل عليها اعترف ببطولته ، وإن اهتز أو انتثر فذلك دليل الخوف والرعب والاختلاج من الألم ، والعار كل العار لمن كان هذا شأنه .

ولا يقف السلوخ ساكناً ، بل عليه أن يعتزى إلى قومه إن كان أصيلاً ، وتكون العزوة غالباً إلى أخواله . وكثير من أولاد السفاح يعتزون بأنهم أولاد « الهيجة » لا أولاد الهيجاء . وقد يطلب الشاب شريحة من جلده ليمسكها على ذكر قوم لهم عليه يد أو منة . والبنات يقفن أمام السلوخ يشجعنه ويثبتن عزمه بينما عملية القلع والسلخ سائرة دون توقف ، وقد ينادينه بكلام مشجع مغر إلى أن تنتهى العملية الجهنمية . وكثيراً ما يموت الشاب قبل إتمامها ، وطويل العمر من سلم منها ، ثم عليه أن يتحمل أياماً أخر حتى تشفى جراحه . عجب أمر هذا الجنون فى الوحشية ، ولكنها التقاليد والخرافات والأوهام تتسلط على أفكار البسطاء والجهلة فتجعلهم يعيرون توافه الأمور أهمية لاحد لها . ولم أستطع الغور إلى أصل أسباب عادة السلخ ، ولم أجد سبباً معقولاً يفسرها سوى استهداف تربية الشاب على تحمل المشاق والأهوال بدون تدمر أو خوف أو وجل كما كان يجرى فى « أسبارطة » بموجب قوانين « ليكورغ » الأسبارطى ، وإلا فما معنى طلب السلوخ لشراخ من جلده يباهى بها صارخاً معترياً مفتخراً بأن هذه على شرف أعمامه ، وتلك على شرف أخواله ، وهاتيك على شرف من قدم له يداً أو مساعدة ، وأخرى على شرف « الهيجة » ذات للمقام الرفيع !؟

بعد انتهاء عملية الختان أو بالأحرى عملية السالخ يصبح للشباب ملء الحرّية في العويل والصياح والتألم والنحيب بقدر ما يريد . ألم يحز لقب البطولة ؟ . ألم يتحمّل آلامه بكل ثبات وشجاعة ؟ ، إذن لا تثرّيب عليه ولا حرج بعد ذلك . وفصل التداوى مأساة أخرى مؤلمة كفصل الختان ، والمسلوخ الذي يسلم من عمليّة السالخ قد يقع فريسة بين براثن جراحه المتعفّنة ، وكثيراً ما يطول أمد شفائه إلى سنة . وأما العلاج فبسيط جداً : ملح الطعام يذرّ على الجراح للتطهير ، أو نوع من مسحوق الحجارة المخصوصة التي يمزج بها نوع من الأعشاب البرية . هذا كل طبّ « ربيعة » في معالجة جراح المسلوخ .

روى لي محدثي عن تعبير الشبان بعدم الصبر أثناء عمليّة الختان أنه كان قادماً من تهامة عام ١٣٤٩ هـ ، فوصل ديرة « ربيعة » فأخبر أن عندهم اجتماعاً كبيراً للنظر في قضية ناشئة عن تعبير أحدهم لشاب بسبب اختلاج رجله وقت ختانه ، ففقد على معيّرته وقام عليه فقتله انتقاماً منه على إشاعته الكاذبة ، وكان الاجتماع كجلس قضائي عادل للحكم في شأن هذا الشاب : هل اختلج أثناء العملية حقاً ؟ ، وكان سؤال رئيس الاجتماع للمخلفين : « هل اختلج أو لا ؟ » فإن كان قد اختلج فعلى القاتل الدية وإن كان لم يختلج فلا تلزمه الدية ، وكان قول المخلفين أن الشاب لم يختلج ، وكان الحكم النهائي أن القاتل غير ملزم بدية القتل .

الفصل الثالث

عمران عسير

خصب التربة وغناها - الطرق والمواصلات - أمها وقلاعها - قرى عسير

١ - خصب التربة وغناها

القسم الهام من الأرض الزراعية في عسير مؤلف من مجارى الشعبان والأودية ومن منخفضات الجبال والفجوات بين الهضاب . والأرض على الإجمال خصبة قوية الإنبات ، غير أنها محتاجة إلى المياه ، فإذا أمطرت السماء أخضبت الأرض وأنبتت محصولاً عظيماً . وقد شاهدت مدة إقامتي في عسير أن المعول في الزراعة على مياه الأمطار ، فإذا لم ينزل الغيث لم يتمكنوا من زرع الحبوب في الأماكن التي لاتصل إليها مياه الآبار . وعلى فرض تمكن الأهالي من استثمار ما تسقيه المياه المستخرجة بالسواني من الآبار الواقعة حول مجارى الأنهر ، فإن كميات المياه في الآبار ذاتها تقل جداً ، بل إن كثيراً من هذه الآبار ينضب في فصل الصيف . وقد كانت سنة زيارتي لأبها سنة قحط شديد قلت معه الحاصلات الزراعية وتلاشت الماشية ، حتى لقد كنا نشاهد قطمان الماشية سارحة في البرية لاتستطيع اجتياز ممر السيارة دون أن يذهب بعضها ضحية الدهس ، بسبب هزها وضعفها الناشئ عن قلة المرعى .

وكان من أثر ذلك أن احتاط أهل عسير وسائر بلاد السراة بخزن الحبوب في آبار خاصة تحت الأرض لاتصلها الرطوبة ولا يتسرب إليها السوس ليقتاتوا بها في السنوات ذات الإنتاج الضعيف . أما إذا جادت السماء بغيث كاف فإن الخيرات في عسير تكون عظيمة جداً .

وأهم زراعة يعنى بها الأهليون القمح والشعير والذرة ، وقليل ما هم الذين يزرعون الدخن بخلاف أهل تهامة . ولا يهتمون بزراعة الفاكهة إلا قليلاً في جوار أبها حيث

توجد شجيرات من التين والرمان والتفاح والخوخ والعنب . غير أن أشجار الموز والبن تنمو جيداً في الأقسام الغربية من جبال عسير ، ولكنها ليست من السعة وعظيم المحصول بحيث تكفي الأهلين احتياجاتهم . ومن غريب ما لاحظت في زراعة البن أنها لا تزهر إلا على ارتفاع معين من سطح البحر ، فإن تعدته لا تثمر ولا تعيش ، ولا تنبت كذلك إلا على السفوح الغربية لمرتفعات عسير واليمن ، أما المرتفعات الشرقية فلا تنمو فيها أبداً . والظاهر أن سبب ذلك جفاف جو السفوح الشرقية ، بينما جو السفوح الغربية رطب .

القمح والشعير هما المحصولان الرئيسان في البلاد ، وعليهما المعول ، وما عداهما ثانوي في نظر الأهلين ، لا يشكل قسماً مذكوراً من غذائهم اليومي .

والعسل من المنتجات الهامة في عسير ، إذ يتكاثر النحل فيها تكاثراً عجيبياً ، ومنه أنواع يجنى منها عسل ناصع البياض بلون السكر النقي ، وقد حملت نموذجاً منه في عودتي إلى الحجاز ، فعجب سائر الذين ذاقوه من منظره ونكهته . وهم يسمون العسل الأبيض : (مُجْرِي) والأحمر : (شوكة) .

أما الحاصلات الحيوانية فهي الغنم والبقر والماعز . أما الإبل فلا توجد في بلاد عسير نظراً لصعوبة الأرض ووعورتها من جهة ولضيق المراعى وشدة البرد من جهة أخرى . وجميع نتاج الحيوان يستهلك محلياً إلا في سنوات الخصب فإنهم يصدرون السمن والغنم إلى الجهات المجاورة . ويمكن وصف هذه البلاد بأنها تكفي نفسها ولا تحتاج إلا إلى الأقمشة والأبازير ، أما الآلات فقليلة الاستعمال لاستغناء أهل البلاد بالمصنوعات المحلية عنها .

وتوجد في عسير معادن أهمها الحديد الموجود في جبل « تَهْلَل » بجوار السودة ، زاره المهندس المرافق لنا ، ويبعد عن أبيها مسافة عشرين كيلومتراً إلى الغرب ويبعد عن قرية السودة حوالي أربعة كيلومترات ، وهو جبل مرتفع مكسو بالأشجار

الدائمة الخضرة ، ذوينابيع جارية في الصيف والشتاء ، يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (١١٠٠٠) قدم . أما السودة فارتفاعها (١١٤٢٠) قدماً . وقد شاهد المهندس آثار عشرات النقر لإذابة المعدن فيها ، وأحضر نماذج من الحجر الحديدي أرسلها للتحليل ، فظهرت جودة النوع والكمية ، غير أنه من الضروري إجراء فحوص وتحاليل كثيرة قبل التثبت من فائدة المعدن من الوجهة الاقتصادية .

ولا شك في وجود معادن أخرى غير الحديد لاتزال على حالتها الأولى ، ولا يمكن استغلالها إلا بعد حفر واستكشاف وتحليل ، للوقوف على مدى فائدتها الاقتصادية .

٢ - الطرق والمواصلات

مما يستدل به على رخاء البلاد : موقعها ، وخصب تربتها ، وسهولة مواصلاتها . ومع أن المواصلات في «عسير» لاتزال بدائية إذا استثنينا طريق السيارات إلى بيشة ، فإن موقع عسير وخصب تربتها جعل منها مركزاً هاماً بين اليمن والحجاز ونجد من جهة ، والسراة وتهامة من جهة أخرى .

والطرق الرئيسية المتفرعة من أبها مركز عسير ست ، هي :

أولاً - طريق تهامة : وتبدأ من أبها متجهة إلى الجنوب الغربي مسافة ثلاثة كيلومترات ، ثم تنزل من عقبة ضلع إلى القصبة ، ثم إلى درب بني شعبة فصبياً فحيزان .

ثانياً - طريق عقبة الصماء : إلى الغرب من أبها ، وتنزل إلى بلاد رجال المع ومنها إلى تهامة ، وبالأخص قوز الجعافرة وحيزان .

ثالثاً - طريق عقبة شعار : وهي الصلة بين عسير والقنفذة والحجاز بطريق تهامة ، وهي من أعظم الطرق وأهمها من الوجهتين الاقتصادية والعسكرية . وكان من أهميتها أن جعلت القنفذة مركزاً بحرياً لتموين عسير ومركزاً للحكومة وقواتها

العسكرية بطريق بارق ومحائل ، وهى الطريق التى كانت تخترقها الجيوش العثمانية .
ولذلك فإن « محيى الدين باشا » آخر متصرفى الأتراك فى عسير قد مهد هذه الطريق
من أعلى عقبة شعار إلى أبها لسير المركبات والمدافع ، ولكن العقبة نفسها حاجز
عظيم فى سبيل المواصلات ، وكذلك يقال عن الطريق من أسفل العقبة إلى بارق
ومحائل . وقد بلغنى أنه كان فى نية محيى الدين باشا إكمال تمهيد الطريق إلى
القنفذة ، غير أن احتلال الأشراف والإدريسى لتهامة والقنفذة حال دون تنفيذ
عزمه . وتبعد شعار عن أبها مسافة ٢٨ كيلومترا .

رابعا - طريق الحجاز : عن كتف السراة مارة بقرب عقبة شعار ومتجهة
إلى بلاد بالأحمر وبالأسمر وبنى عمر حتى بلاد بنى شهر فغامد فزهران إلى الطائف .
وهى طريق للمشاة ، وخاصة أهل الجبال ممن لا يطيقون حر تهامة فى الصيف .

خامسا - طريق شهران : وهى التى سلكتها فى قدومى من خميس مشيط
إلى أبها ، وهى صالحة لسير السيارات ، مهدها محيى الدين باشا أيام الحرب العامة ،
ويبلغ طولها من أبها إلى الخميس ٣٥ كيلومترا كما سبق بيانه .

سادسا - طريق اليمن : تسير من بلاد عسير فى اتجاهين : أحدهما عن طريق
شهران ثم تنحاز إلى الجنوب حيث تدخل بلاد قحطان ، والآخر من عسير رأساً إلى
تمنية ومنها إلى ديار قحطان ووداعة ظهران إلى صعدة ، وهذه الطريق أصعب الطرق
وأكثرها وعورة .

وقد اكتشف الجيش بقيادة ولى العهد طريقا لسير السيارات من أبها إلى خميس
مشيط فطريب فوادى تثلث فوادى حبوثة حتى نجران ، كما اكتشف طريقا
أخرى إلى ظهران كانت شديدة الوعورة بحيث إن السيارات اجتازتها بكل عناء .

والمواصلات التليفونية والتلغرافية مفقودة فى عسير ، لكن فيها مركزا لاساكيا
هاما يصل بين عسير وسائر أنحاء المملكة العربية السعودية .

٣ - مدينة أبها

حينما اجتزنا وادي « مشيع » ورقينا الهضبة التي تفصل بينه وبين الحزوم التي قامت عليها مدينة « أبها » ، رأينا منظرا جميلا لمجموعة من القرى أو الحلال المنتشرة على ضفاف الوادي المتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي والمشهور بوادي « خبيبي » أو وادي « أبها » . وتمثلت لنا المدينة الشهيرة في التاريخ الحديث بوقائعها الحربية وحصارها الطويل عام ١٩١٠ وحصارها الأخير طوال مدة الحرب العامة ، وأوحت إلينا - في الوقت نفسه - بشعور منبعث من القلب ممزوج بنفحة من الأسى والحزن على ما أصابها من تخريب وتدمير خلال النكبات التي حلت بها ، ولسنا الشاهد على ذلك فيما رأيناه من أطلال القلاع والأبراج المحيطة بها في أعلى رءوس الجبال المحيطة بأبها وواديها إحاطة السوار بالمعصم .

« أبها » ، قاعدة عسير ، كانت مركزاً لحكم آل عائض وللإدارة العثمانية إلى حين زوالها . وهي مقرّ إمارة السراة في عهد حكومة الملك عبد العزيز آل سعود وهي فضلاً عن ذلك سوق عير الشهيرة التي تعقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع في ساحة متوسطة بين مجموعة القرى التي تتألف منها المدينة .

كان اسم أبها في القديم « مناظر » ، ومناظر الآن حلة من أحياء المدينة ، وقد تكون مناظر أصل البلدة القديمة ثم توسعت حدودها واستطالت رقعتها حتى شملت قرى أخرى لم تكن منها .

تتألف أبها في وقتنا الحاضر من عدة قرى ممتدة على أطراف وادي أبها من أعلاه في جهة الجنوب الغربي إلى مصبّه في جهة الشمال الشرقي . وهذه أسماء القرى والأحياء اعتباراً من المنبع إلى المصب .

وقد أغفلنا قرية اسمها « العتربان » لأنها لا تحسب من أبها بالذات :

(١) المفتاحة ، في علو الوادي إلى جهة الشرق منه .

(٢) القرى .

(٣) نعمان .

(٤) الربوع وهي حلّة كانت فيها سوق تعقد يوم الأربعاء فسميت بها .

(٥) شذا ، وفيها القصر الذي بناه محمد بن عائض حينما نقل مركز حكمه من ريدة إلى أبها ، وليس فيها — في الواقع — سوى قصر ابن عائض وقصر الحكومة الذي بنى على أطلال الشكنة العسكرية العثمانية ، ومركز اللاسلكي .

(٦) مناظر ، وهي أصل المدينة كما أسلفنا .

(٧) البديع .

(٨) الخشع .

(٩) النصب .

(١٠) مقابل ، وهي القرية الوحيدة القائمة على الجانب الغربي للوادي . وقد كان فيها مسكن متصرف عسير سليمان شفيق باشا ثم محيي الدين باشا ، وكان يصلها بأبها جسر حديث قد تهدم الآن وهجر .

كانت أبها مدينة زاهية زاهرة بسبب كونها مركزاً للحكم العثماني في السراة ومقرّاً للفرقة العسكرية ، ولكنها منيت بنكبات كثيرة ألحقت بها أفدح الضرر وأخرتها إلى الوراء سنين طويلة .

أما النكبة الأولى فقد أصابها عام ١٩١٠ م — ١٣٢٨ هـ . حينما ثار السيد محمد علي الإدريسي حاكم تهامة على حكم الدولة العثمانية وأنفذ ابن عمه السيد مصطفى الغربي الإدريسي لحصارها ، فشدد عليها الحصار حوالي ثمانية أشهر ، إلى أن وصلت النجدة من الحجاز بقيادة الشريف حسين أمير مكة لذلك العهد ، فإنه وصل إليها في أواسط رجب ١٣٢٩ هـ

وكانت قوات الإدريسي محاصرة لها منذ ذى القعدة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . ومع أن الحصار دام طويلاً ، فقد اقتصر الأمر على الغلاء ، نتيجة فقد المواد الغذائية دون أن يلحق بالمدينة تدمير أو تخريب .

والنكبة الثانية أصابتها أيام الحرب الكبرى حين ظل محي الدين باشا متصرفاً لعسير بعد انتفاض الشريف حسين على الأتراك وانقطاع المواصلات بين عسير والبلاد العثمانية ، فعمل محي الدين جهده لتخفيف ويلات الحرب والحصار المضروب عليه ، فعامل الناس بالحسنى وقرب القلوب إليه ، فانضوى جميع أهل عسير تحت لوائه ، وكانوا عدته في الشدائد والأهوال التي مرت به ، وقد أجرى لهم طائفة من الإصلاحات العمرانية وبنى في البلاد قلاعاً وأبراجاً كثيرة لتشغيل اليد العاملة ، غير أن نطاق الأعمال كان ضيقاً ، والغلاء كان فاحشاً .

والنكبة الثالثة وقعت عقب الحرب العامة وزوال الحكم العثماني من البلاد ، حين هاجمها الأمير عبد العزيز بن مساعد بجند من متعصبة الإخوان أيام كان الإخوان إبان اشتداد غلوائهم ، ففعلوا في أبها الأفاعيل ، وخرّبوا كثيراً من معالم العمران . حتى لقد هدموا الأسبلة التي يستقي منها الناس بحجة أنها قباب . وهدموا بعض البيوت بدعوى أنها بيوت أخصامهم وهم في حاجة إلى الخطب فاستعملوا خشبها وقوداً ، وكسروا آلات الخياطة لأنها من أعمال السحر ، وحطّموا المرايا الكبيرة لأنهم لم يعرفوها . وقد روى لي بعضهم في هذا الشأن قصة طريفة ، وذلك أن والد مترك بن شفلوط من كبار قحطان دخل بيتاً كبيراً فتخيل أمامه رجلاً يعترض طريقه ، فاتهره ، فأجابه ذلك بالمثل ، فرفع يده بسيفه ، فقابله بمثل حركته ، فما كان منه إلا أن أسرع الخطى نحو مبارزه ، وبادره بضربة تردد صداها في سائر البيت ، واجتمع الناس على صوت مرآة تتحطم من ضربة سيف ابن شفلوط الذي تخيل خياله المنعكس في المرآة عدواً مبارزاً .

والنكبة الرابعة والأخيرة وقعت عقب غزو الأمير فيصل نجل الملك عبد العزيز لأجل إنقاذ فهد العقيلي من الحصار . فقد ترك أبها بعد أن أمر عليها رجلاً اسمه ابن عفيصان ، ثار عليه الحسن بن علي بن عائض ، وحاصره في قصر شذا مدة طويلة إلى أن وصلت النجدات من نجد وفككت الحصار عنه ، فما كان منه بعد فك الحصان إلا أن أدب المجرمين وهدم منازلهم ، وكذلك فعل بالثكنات والقلاع

والأبراج المحيطة بأبها . وكانت هذه النكبة نالمة الأثافي التي أتت على كل آثار الحكم العثماني في البلاد .

وبعد هذه النكبات المتوالية بدأت أبها بالانتعاش مرة أخرى . وقد ساعد على إنعاشها استتباب الأمن واستقرار الحكم من حين اتخاذها قاعدة لجميع الأعمال العسكرية في تهامة واليمن . وكانت الجيوش تذهب وتجيء إليها وتترك فيها من النقود ما استعاد به أهلها ثراءهم وبعض ما فقدوه في الفتن السابقة . حتى إن تعداد أبها قد بلغ إبان اتخاذها قاعدة للأعمال العسكرية حوالي خمسة عشر ألفاً عدا الجند والموظفين ، ولكنه الآن لا يزيد على ثمانية آلاف .

قلنا إن أبها بليت بنكبات كانت أولها في حصار الأدارسة لها عام ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م . وقد فطن الأتراك بعد ذلك إلى أن سبب ما أصاب سليمان شفيق كالي باشا اعتماده في الدفاع عنها على مواقع قريبة فيها ، بينما كان في الإمكان تحصينها تحصيناً قوياً يساعد عليه موقعها الطبيعي والجبال والهضاب المرتفعة المحيطة بها من كل جانب ، فشمروا بعدئذ عن ساعد الجد ، وبنوا حولها سلسلة من القلاع على رؤس الجبال وصلوا بينها بأبراج للمراقبة والحصار الأولى ، فأصبحت من أحصن المدن . وكان من نتيجة ذلك أن ثبت فيها الأتراك مدافعين بل مهددين للإدرسي وللشريف طوال سني الحرب .

والقلاع الرئيسية التي تحفظ أبها ثلاث :

(١) قلعة ضلع : وهي حاكمة على وادي ضلع ومدينة أبها ، بحيث لا تستطيع أية قوة أن تصعد من تهامة دون أن تتعرض لمدافع ورششات وبنادق المدافعين في تلك القلعة .

(٢) قلعة ذرّة : وهو جبل مرتفع يكاد يكون منفرداً عما سواه ، ويرى من أماكن بعيدة جداً . (ذكر لي المهندس أنه رآه من السود على بعد ٢٠ كيلومتراً) ، وهو إلى الشمال الشرقي من قلعة ضلع . وقد بنيت فوقه قلعة كبيرة تحتها أبنية محفورة

في بطن الجبل . وقد استفادت الحكومة الحالية من هذه القلعة ، واتخذتها أول أمرها مركزاً للاسلكى .

(٣) قلعة شميسان : إلى الشمال من أبها ، تحرس الطريق العام القادم من عقبة شعار ومن عقبة الصماء .

وتوجد بين القلاع سلسلة من الخافر القوية المقامة على رموس التلال لحراسة الطرق الموصلة إلى أبها وللدفاع عن القلاع أيضا . ويوجد بين ضلع وذرة جبل مرتفع اسمه « أبو خيال » بنى فوقه مخفر حصين لحراسة طريق القلعتين .

وقد وصل محي الدين باشا بين أبها والقلاع بطرق متعرجة في أعلى الجبال وجعلها مزدوجة للذهاب والإياب ، وسيّر عليها المدافع والمركبات . وعلى الإجمال فإن أعظم عمل قامت به الحكومة العثمانية للدفاع عن أبها ، إنما قام به محي الدين باشا الذي يذكره كثيرون إلى الآن .

ويستقى أهل أبها من الآبار المحفورة في الوادى ، ماؤها عذب لذيد ، وهو أوها نقى عليل . غير أنى لا حظت ثقل الجو نوعا في أبها ، فإن الغريب يشعر بالتعب من أقل نشاط يبدية فيها ، وإذا رقى درجاً أو هضبة صغيرة أدركه التعب الشديد الذى يمكن تسميته (التفحيم) أى ضيق النفس واللهة واشتداد ضربات القلب .

وأبها ، سوق عسير الدائمة ، وتمقد فيها سوق أسبوعية يجتمع فيها أهل القرى للبيع والشراء ، وأكثر من يفد إليها النساء وطالبوا الزواج . وسندكر فى الفصل التالى طرفا من عادات أهل أبها الاجتماعية .

٤ - قرى « عسير »

يكاد يكون كل بطن من بطون عسير الأربعة مستقلا فى قرأه وبلاداه عن البطون الأخرى ، الأمر الذى يدل على تفاوت أصولهم . ومن القرى مالها شهرة خاصة بسبب اتخاذها مركزاً حكومياً فى وقت من الأوقات . مثال ذلك « طبب »

التي كانت مركزاً لحكم ربيعة ورفيدة (أى بلاد أبو نقطه) ، و « السُّقا » التي كانت مركزاً لحكم آل يزيد ، و « ريدة » التي كانت مركزاً لحكم عائض بن مرعى ثم انتقل ابنه إلى أبها وبنى « شذا » فكانت مركزه ، غير أن رديف باشا ومختار باشا أسرا محمد بن عائض في ريدة . و « حرملة » هي بلدة آل عائض أيضاً وهي التي هدمها الأمير فيصل بعد استيلائه على أبها بسبب فرار صاحبها الأمير حسن بن علي بن محمد ابن عائض . من أجل ذلك ، رأيت أن أذكر فيما يلي قرى كل بطن من عسير على حدتها :

أولاً : قرى بني مالك من عسير :

ا - قرى ربيعة :

- | | |
|----------------|---------------------|
| (١) حجلة . | (٤) آل جرجر . |
| (٢) الغليض . | (٥) آل بالنعمان . |
| (٣) لعصان . | (٦) عددان . |

ب - قرى بني منبه :

- | | |
|---|-----------------|
| (١) العطف . | (٣) المجزعة . |
| (٢) سبل ، وهي قرية لأمير بن معدى شيخ بني مالك . | (٤) الجنفور . |

ح - قرى آل يعلى :

- | | |
|---------------------------------|-------------------|
| (١) العين . | (٣) الجمعجاعة . |
| (٢) الحمالّة العليا والسفلى . | (٤) اللصبة . |

د - قرى آل رميان :

- | | |
|---------------------|-----------------|
| (١) شوخط . | (٣) آل سفور . |
| (٢) منادر العين . | (٤) القعوة . |

هـ - قرى التلادة :

(١) آل الشلفا . (٣) مسلت .

(٢) آل جاهل . (٤) صعبان .

و - قرى بنى رزام :

(١) سوق السبت . (٤) المجاردة .

(٢) القرايات . (٥) الملاحه .

(٣) الشعب . (٦) الفيئة .

ز - قرى آل مجمل :

(١) صعور . (٣) الأفلج ، وهي آخر وادي الملاحه قبل التقائه بأتانة .

(٢) حياض . (٤) العطفات .

ح - قرى آل الحبشى :

(١) الخارجة . (٤) قرين .

(٢) العطفة . (٥) الفرسة .

(٣) آل أبى شوحة .

ويبلغ عدد سكان هذه القرى نحو ١٥ ألف نسمة .

ثانياً : قرى بنى مغيد من عسير :

بنو مغيد مختلطون لم يتمكن من تمييز قراهم بحسب فروع البطن :

(١) هضبة بنى جرّى . (٦) آل أبى الفلاح . (١١) العزيزة وهي قرىتان

(٢) آل منسم . (٧) جوحان . الحولة والسحيا .

(٣) العمارات . (٨) قاعد . (١٢) النصب .

(٤) الحصن الأسفل . (٩) العرين . (١٣) مدينة أبها وقد

(٥) الحصن الأعلى . (١٠) مشيع . وردت تفاصيل قراها

- (١٤) العثربان . (٢٣) الهيلة . (٣١) آل القبعي .
(١٥) العلاية . (٢٤) القوزة . (٣٢) حرملة .
(١٦) السحرة . (٢٥) آل مفرّح . (٣٣) ريذة .
(١٧) آل زبدي . (٢٦) آل سكران . (٣٤) الضفعان .
(١٨) آل عكاش . (٢٧) السقاوهي أربع قرى ، القرن (٣٥) ذا القيعي .
(١٩) آل الحاج . والقعوة وآل تمام وآل فلاح (٣٦) ليثوي .
(٢٠) آل العلا . (٢٨) سعف آل ديمن . (٢٧) حَبُو .
(٢١) آل الزنوة . (٢٩) اليزيدين . (٣٨) مسقام .
(٢٢) الشبارقة . (٣٠) سعف آل يزيد . (٣٩) عتمة .

ثالثاً : قرى ربيعة ورُفَيْدَة :

١ - قرى ربيعة :

- (١) المسقوي . (٧) زينة .
(٢) مصاولي . (٨) الزهرة .
(٣) تيهان . (٩) الرمدة .
(٤) النجمة . (١٠) أم رهوة .
(٥) الزهر . (١١) الدغل .
(٦) الجو .

ب - قرى رُفَيْدَة :

- (١) آل سعلی . (٥) المسخية .
(٢) آل محمود . (٦) العطف .
(٣) شرمي . (٧) طبب .
(٤) آل مجمل . (٨) الطلحة .

(٩) الغال .

(١١) آل بجاد .

(١٠) آل العدامى .

(١٢) آل القلفة .

ح - ولربيعه ورفيدة في تهامة :

(١) بعورور .

(٥) آل الحنيش .

(٢) ناهية .

(٦) آل السحر .

(٣) العقبة .

(٧) آل ججيش .

(٤) آل الذيب .

(٨) آل فضيلة .

رابعاً : قرى علكم من عسير :

(١) وادى البيح .

(١٥) الحصان .

(٨) قرخة .

(٢) العين .

(١٦) الذيبة .

(٩) النجاد .

(٣) آل طرفة .

(١٧) المخض .

(١٠) القصير .

(٤) المغمر .

(١٨) الباطنة .

(١١) الوادى الطالع .

(٥) العطف .

(١٩) اليمانية .

(١٢) أم شينة .

(٦) غاوة .

(٢٠) آل يوسف .

(١٣) السودة .

(٧) المصنعة .

(٢١) عضاضة .

(١٤) السوق .

ولعلكم في تهامة أربع قرى :

(١) آل النجم .

(٣) خيمة .

(٢) لولاه .

(٤) حسوة .

ويرى مما ذكر أن بنى مغيداً أكثر قرى وأعظم عدداً ، ولهم « أبها » مركز

المقاطعة ، ولذا فإن رياسة كافة عسير منهم .

الفصل الرابع

العادات الاجتماعية في عسير

الزى - الطعام - اللهجة - مراسم الزواج - الخرافات

١ - الزى

أول ما يلفت نظر الباحث في الشؤون الاجتماعية لقطر من الأقطار ، أزياء الأهلين ، وطبائعهم من حيث الرقة والجفاء ، وما إلى ذلك . أما في عسير فمن حيث أزياء الرجال فإنها لا تختلف كثيراً عن أزياء بلاد شهران التي وصفناها في القسم الأول . ومن حيث الطباع فإن أهل عسير رجالاً ونساءً يختلفون عن شهران ببعض المميزات التي قد تكون أثراً من آثار البيئة والإقليم ، فهم أرق طباعاً وأقرب إلى الاختلاط الأجنبي من أهل شهران ، وربما كان هذا ناشئاً عن جو بلادهم وكونهم اختلطوا بالغرباء أكثر من سواهم ، ويظهر أن اتخاذها قاعدة لإدارة عسير وشهران هو الذي جعل أهلها أقرب إلى اقتباس عادات غيرهم وأقل تعصباً وجفاء من سواهم .

هذا ويمكن تقسيم عسير من حيث العادات الاجتماعية إلى قسمين : الأول ، أهل عسير الذين يقطنون الربي وسفوح الجبال الشرقية حتى بلاد شهران وقحطان . والثاني ، أهل عسير الذين يقطنون الربي والسفوح الغربية أى في منقلب الجبال إلى جهة تهامة ، حتى إن الأهالي أنفسهم يسمون سكان هذا القسم « أهل تهامة » تمييزاً لهم عن الآخرين . فالقسم الأول أقرب إلى شهران وقحطان في عاداته منه إلى أهل عسير المقيمين في تهامة ، يظهر ذلك في زيهم ولهجتهم وأحاديثهم بل في طبائعهم .

والعسيري التهامي أقرب إلى رجال ألمع منه إلى بني قومه ، لباسه سهل بسيط لا يشبه لباس ربيعة اليمين ولا لباس أهل أبها بل هو وسط بينهما . والنساء يلبسن فوق أثوابهن رداء كالفرو مصنوعاً من الجلود المدبوغة تربط أطرافه العليا حول العنق وتدلى بقيته على الظهر إلى مافوق الكاهل . وهذا الرداء على نوعين :

الأول : « المَزْرَّ » أو « المزار » ، وهو عبارة عن مجموعة من جلود الحملان تدبغ ويخرز بعضها ببعض بسبب ذى لون يختلف عن لون الجلد ، ويحيط بهذه المجموعة (كنار) من لون السبب ، وغالباً ما يكون أحمر . وطريقة لبسه أن يكون مقلوباً ، فالشعر من الباطن والجلد من الظاهر ، ليكون الجلد وقاء من المطر لا يخرقه الماء كالمشتمع ، وليكون الشعر وجاء من البرد في الشتاء

والثاني : « النطع » أو « المقصر » وهو عبارة عن ثلث المجموعة الأولى من الجلود المدبوغة اللينة الكثة الشعر ، وهو أقل عرضاً من الأول لا يستر إلا بعض الظهر .

أما غطاء الرأس فإن نساء تهامة يستعملن (الطَفَّشَة) وهي قبعة من الخوص عريضة (الكنار) غير بارزة الوسط . وأما نساء الجبال فإنهن يستعملن الخمار يضعنه على رؤوسهن ، وتلبس الأبقار نوعاً من القبعات المصنوعة من القماش على شكل مثلث مفتوح القاعدة كي تدخل في الرأس وتستقر عليه ، وقد يوضع خمار أو نقاب فوق هذه القبعة .

وقد جمعت معلومات وافية عن الملابس وأدوات الزينة التي يستعملها الرجال والنساء أذكر بعضها فيما يلي :

١ - (النَّسْعَة) ، وهي حبل من الجلد المجدول كالضفيرة ، تستعملها النساء كالحزام ، تنتهي عند أحد طرفيها كتلة من أطراف شرائح الجلد بينها ملقط صغير لالتقاط الشوك ومنكاش ومرود ، وهي أعم بين البادية .

٢ — (السبتة) ، وهي حزام من الجلد المنقوش المخروز ، تنطق بها النساء فوق أثوابهن ، وهي كالنسعة إلا أنها أقصر وأسك ، وهي أعم بين الحاضرة .
٣ — (المسكة) ، وهي قطعة من الجلد مصنوعة على شكل إكليل تضعه النساء على رؤوسهن لمسك الشعر أو لتثبيت الخمار فوق الرأس .

٤ — (إكليل) محبوبك من الخصف والأعشاب البرية العطرية مثل الشيح والبُرْك والريحان والوزاب ، وظيفته إمساك الشعر عن أن تلعب به الريح . وللرجال إكليل خاص يختلف عن إكليل النساء في الشكل ، يستعمله — على الأخص — رجال تهامة الذين يطلقون شعورهم كالنساء ولا يلبسون فوق الرأس شيئاً سواه .

٥ — (الشملة) ، وهي عباءة من صوف الغنم قصيرة جداً ، تطرح على الكتفين ، ولكنها صلبة لاتهدل عليهما ، وهي لباس الأغنياء والأعيان ، تقوم أيام الشتاء مقام (المقعر) والنطع عند البادية .

٢ — الطعام

البرّ والسمن ، هما الطعام الوطني الرئيسي في عسير وقحطان وشهران ، فلا يعلو عليهما طعام . أليس البرّ من أهم منتجات عسير الزراعية ؟ أليس السمن من نتاج أغنام عسير وأبقارها ؟ البرّ والسمن : تاج المحصولات وعماد الطعام وقوام المعيشة . أمّا ما عدا ذلك فثانوي أو كالي . فاللحم مقامه في الأعياد والمناسم والضيافات القليلة المحدودة ، والفاكهة والخضر وجودها مثل عدمها ، والحمد لله على كل حال . وطريقة صنع الطعام بدائية هيّنة ليّنة لا دخل فيها لفن الطهو . اللحم مسلوق وكفي ، والبرّ للخبز والعريكة ، والسمن يسقى به الاثنان .

وصفنا فيما مضى طعام العريكة وهو أعم الأطعمة وأعظمها شأنًا . يعصد الدقيق فوق النار بالماء الساخن حتى ينضج ، ثمّ يصبّ في قصعة أو جفنة مشعجرة أو غير مشعجرة ، والحفرة في وسطها تستوعب كمية من السمن السائح . وإليكم أيها الضيوف

ما عندنا من الطعام الحلال . كلوا هنيئاً ، واشربوا الماء القراح أو اللبن الحامض
نحيضاً أو رائباً .

أرسلنا في مشترى الحليب فقيل لنا : « عار أن يبيع الأهالي الحليب » عار
وأى عار ! إذن لابد من غنيمات أو أبقار نستدر لبنها . يحيا عصر الرعاة ، وتحيا
الصراحة والحرية .

ويصنع من دقيق القمح عدا العريكة نوع من الخبز السمج يشوى على النار
في الطابون أو في إناء ، ثم يصب عليه السمن والعسل . وهذا القرص من أشهى
المأكول وألذها .

أما اللحم فهاكه سليقاً ناضجاً مقطّعاً إرباً إرباً متناسبة بقدر الأقة أو دونها ، وهاك
المرق في قصعة ، وهاك قطع اللحم منشورة على مائدة تبسط على الأرض من جلود
الغنم المجففة بالشمس . قصعة المرق تتوسط الدائرة ، تحيط بها أرغفة الخبز الساخن ،
تتمخلها قطع اللحم ، وقد تحتل قصعة العريكة مكان قصعة المرق ، وهي سيدة الطعام ،
كلوا واشربوا هنيئاً مريئاً . أما قطع اللحم الممتازة كالكتف والفتيلة وسواها من
أطيب اللحم فإن المضيف يوزعها بنفسه على الضيوف بادئاً بالأول قائلاً : « الزم »
فيتناولها الضيف قائلاً : « تسلم » إلى أن يدير قطع اللحم على الحاضرين ، وإن بقي
شيء منها بعد ذلك يوزع على من لم يحضر الدعوة من الأهل : هاكم الرأس وهاكم
الكوارع وهاكم الأضلاع وهاكم الدهن وهاكم المطط . لكلٍ قسم بحسب مقامه
في الهيئة الاجتماعية . الطيبات للطيبين ، والكبيرة للكبير .

ومن المناظر المألوفة أن يأتي المضيف إلى جفنة العريكة ، فيقتطع منها قطعة
يكورها بين أصابعه كلقمة كبيرة لا يزدردنها إلا الجائع النهم ، ويصنع منها إناء يشبه
الملقعة أو بالأحرى أذن الذئب ، يعترف بها من السمن ويقدمها للضيف . وإذا كان
الضيف عزيزاً لا يكتفى المضيف بلقمة واحدة — وطوبى لمن يطيق ازدراد هذه
الكتلة الهائلة من العريكة والسمن . لكنها هي العادات وهو الإكرام وهو
حسن الضيافة .



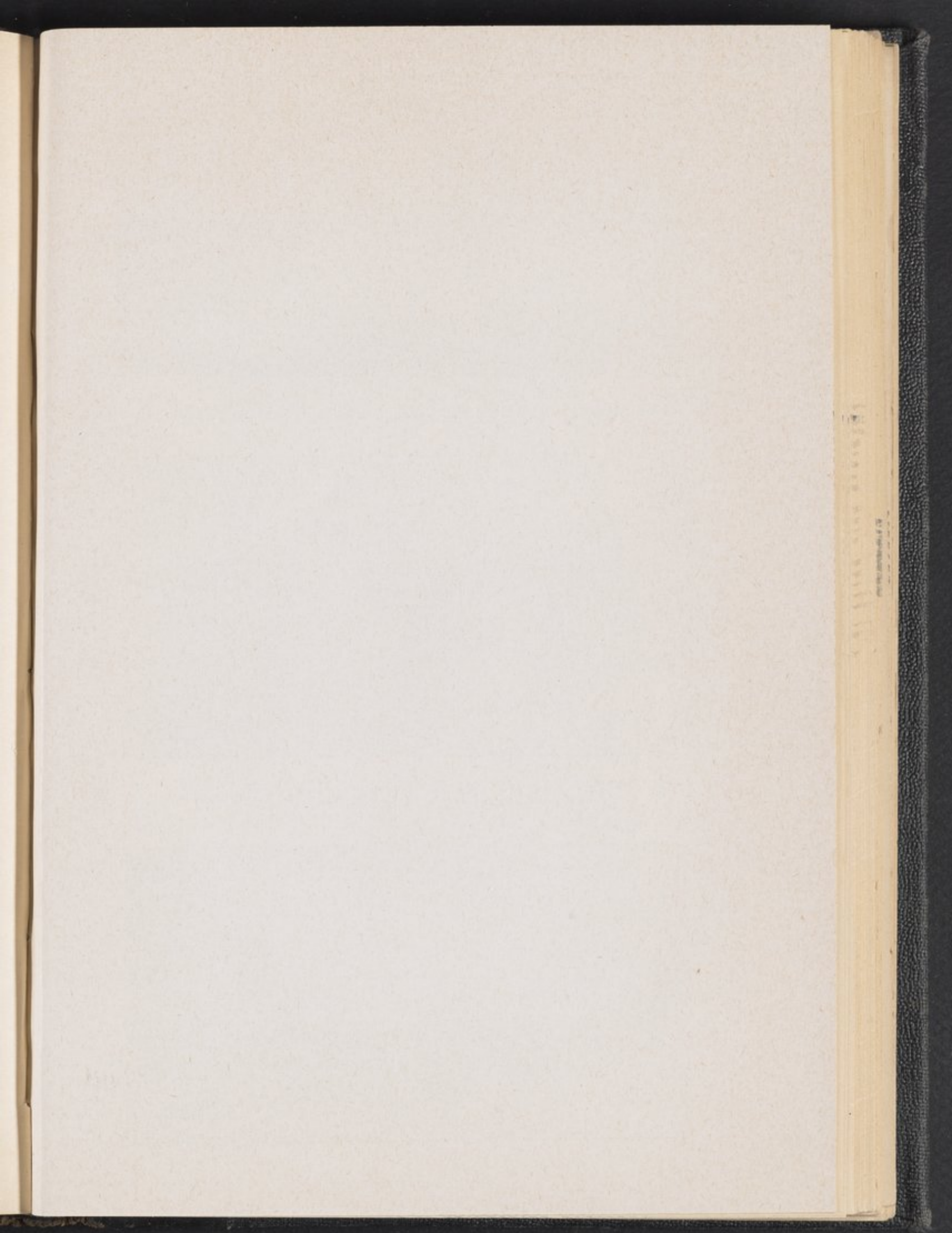
أحدث القصبات في بلدة حجلة في عسير . وهي عامة في عسير ونجران



نساء بدويات في سوق « أبها » وهن لابسات قبعات عريضة



قصر شذا في « أبها »



٣ - اللهجة

أم التعريف : حضرت أوّل سوق أسبوعية عقدت في أبها عقب وصولي إليها ،
وتحوّلت في أرجائها مستعرضا من فيها ، سائلا منقبا عن أحوالهم ، فما كان أشدّ
عجبي حينما سألت أحدهم عن المكان الذي جاء منه فأجابني : من « أمسقي » ،
قلت : « ومن أنت » ؟ فأجاب : « محمد امناصر » وحينما تكررت الأحاديث
بينى وبين كثيرين من أهل عسير أدركت أنهم يعرفون الأسماء بـ « أم » بدل
« ال » . والتعريف بأم من لهجات العرب كما ورد في الحديث (ليس من امبر
مصيام في امسفر) أى (ليس من البر الصيام في السفر) . وشرعت أستقي
المعلومات عن الجهات التي تعرّف بأم ، فعلمت أن التعريف بها قاعدة عامة عند الكثيرين
منهم . وتبادر إلى ذهني ما كنت أسمعه عن قبيلة مهمة بجوار حيزان اسمها قبيلة
« الحمد » ، فإذا بها قبيلة « الحمد » عرّف اسمها بأم . وحضرت عرضة قام بها أفراد
قبيلة رجال ألمع المرسلين إلى ساحة الحرب مستبدلين برفاق لهم ، فسمعتهم ينشدون :
علموا قحطان مع جمع اممشارك^(١) يحفظون امحمد^(٢) لا حيا بفارق
حتى يجون امعى^(٣)
يا عسير امهول ما هذى امقضييه^(٤) ودنا نجران نهب له سريه
علموا ولد امام^(٥) لا بد من صنعا ونحرق قصوره

قلب النون راء : طلبت من أمير عسير أن يرسل إلى منزلي بعض كبارهم
للسؤال عن أحوالهم ، فجاءني الشيخ زائد ، وأدلى إلى بمعلومات نفيسة عن حالة قبيلته
وقراها وأوديتها وأودية تهامة إجمالا . وقد عجبت من اصطلاح ذكره أمامى ، فسألته
عنه ، فأوضح لي غامضه . كان يملئ على القرى والشعبان التي تصب في وادى حلي ،
فإذا به يذكر أمامى أن الوادى ينتهى في حلي « بر يعقوب » فاستغربت التركيب ،
ولما سألته عن بعض مشاهير القبيلة كان يذكر اسم الشخص ثم يردفه بكلمة « بر »

ثم يذكر اسم الوالد ، فتبادر إلى ذهني أن أسأله عن اسم والدته ، فسمعت عجباً ،
قال حفظه الله : « أنا زايد برغراره وأمى فاطمة ابرة محمد »

قلب الجيم ياء : ورجال ألمع وأهل عسير يقلمون أحياناً الجيم ياء ، فيقول أحدهم :

« صليت في المسجد » يعني في المسجد ، و « رأيت الريال » أي الرجال . لقد ذكرتني
لهجة أهل عسير في قلب الأحرف بواقعة جرت لي ولبعض الرفاق في قرية « شقرا »
من قرى بني سفيان بجوار الطائف حيث ذهبنا للنزهة ، فسألنا أحد أهلها عن الوقت
وكان قريب الظهر ، فقال : « فات الظهر » ، قلب الظاء لاما ، وكان مخاطبنا يقرب
الطاء والضاد لاما في جميع الكلمات التي وردت على لسانه في حديثنا معه .

الكشكشة أو البشيشة : لاحظت في أهل النهم ظاهرة أخرى هي الكشكشة

أو البشيشة . وقد لقيت صعوبة جمّة في فهم كثير من أحاديثهم بسبب ذلك . وهي
لهجة ممجوجة لا سيما بين النساء ، وقد حاولت كثيراً أن أفهم حديثهن فلم أفجح .
ولهن في الحديث لهجة خاصة يستعملن فيه الألفاظ الغريبة بسرعة فائقة . وكثير من
الأسماء والأفعال غريب على سماعي . وطريقة التلفظ به أغرب .

ثمّ بمعنى هنالك : ومن أطف اصطلاحاتهم وأخفها على السمع كلمة « ثمّ »

بمعنى هنالك ، إذ يتلفظون بها على البديهة دون أي تكلف ، يخاطبك بها الرجل
والمرأة والغلام على السواء : « سرنا من امسقى و ثمّ أو من ثمّ يطلع أموادي »
(سرنا من الشقى ومن هنالك يطلع الوادي) .

الجل المعترضة : لا أودّ إتعاب القارئ بما دوّنته من الاصطلاحات المركبة

فأكتفي ببعضها . يغلب على أهل هذه البلاد إدخال جملة معترضة أثناء الحديث
بقصد الدعاء والثناء والمديح على غرار :

إن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

يكون مخاطبك مسترسلاً في الحديث وإذا به يرحّ بالجملة المعترضة : « إبه ونا فداك »

« إبه واللى يسلمك » . وقد تبلغ به الحجة أن يقول لك لزيادة التأكيد : « ربّي
ياخذني قبلك » ، أو « ربّي يديمك ويبقيك » وكثيراً غير هذا .

ولا شك في أن دراسة اللهجات العامية في سائر البلاد العربية من المسائل الهامة جداً ، ولكنني واثق من أن دراسة اللهجات المحلية في عسير وتهامة وأطراف اليمن من أكثر الدراسات نفعا لمعرفة الفوارق والعوامل في لغتنا العربية . وإني لأرجو أن يوفق الله إلى إتمام مثل هذا البحث .

٤ - مراسم الزواج

يوشك السفور أن يكون عاما في القرى وبين البادية في جميع أنحاء عسير وشهران وقحطان ، والاختلاط بين الجنسين عامّ خلا نساء الأمراء والأعيان فإنهن لا يمتزجن إلا بأقاربهن الأدينين ، ولا شك في أن الاختلاط بالغرباء يسبّب مشاكل شتى ، ولذلك فإن الحكومة الحاضرة عملت جهدها للقضاء على هذه العادة دفعا لمضارها واتقاء لمفاسدها ، غير أن ما عمل في هذا الباب لا يزال دون الغاية المطلوبة . عجبت بادی الأمر من هذا الاختلاط ومن رفع الكلفة بين الجنسين ، ولكنني أدركت أن نساء هذه البلاد قد اعتدن عدم الاحتراز من مخالطة الغرباء بفضل الزمن والعادات المتوارثة ، ولا يرين في ذلك بأسا ، متمثلات بقول الشاعر :

بيض حرائر ما هممن بريبة ويصدهن عن الخنا الإسلام
أعتقد أن هذه البلاد قد منيت بقحط في الرجال ، وكان من جراء ذلك أن رخص الزواج ، وجرى فيه تساهل عظيم مع الغرباء عن القبيلة ومع غير الكفاء . وقد لاحظت أنواعا من الزواج كانت المساومة فيه أساسا له وكان المال سبباً لإتمامه ولم يستنكف أهل هذه البلاد عن تزويج بناتهم من الجنود برغم علمهم بقصر مدة إقامتهم بين ظهرانينهم . وهذا التساهل في اختيار الأزواج أو بالأحرى في بيع النساء للرجال بثمان بخس دراهم معدودة قد لفت نظري إلى هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التي أرجو أن يكون الباعث عليها الحرب وضرورتها ، وأن تكون الأسباب التي أوجدتها قد زالت الآن .

كنت أعجب أول وصولي إلى عسير من كثرة الأحاديث عن الزواج الذي لا يخلو منه مجلس ، ولكن عجبني أخذ في التضاؤل بمرور الزمن حتى أصبحت لا أرى

غضاضة في طرق الموضوع في أية مناسبة . وزعم بعض محدثي أن الزواج بين أفراد القبيلة لاسيا بين أبناء العم رخيص جداً ، فالمهر لا يتجاوز غالباً خمسة عشر ريالاً فرنسياً (١٢٠ قرشاً مصرياً) ، غير أن الذي يدفع منه بالفعل خمسة ريالات فقط ، إذ العادة في هذه المهور أن تجعل ثلاثة أقسام ، الثلث الأول يدفع نقداً والثالث الثاني ينزل عنه ولي أمر العروس مقابل الضيافة التي يقدمها للعريس ، والثلث الباقي هدية .

أما في وقت وجودنا بأبها فقد أخبرونا بأن سوق المهور قد ارتفعت جداً بالنسبة للأغراب الراغبين في الزواج . وقد حدث أن بعض كبار الجند قد أبلغ المهر إلى ٥٠٠ ريال نقداً ، وهذا أمر لم تعهده نساء تلك البلاد ، فكان الإقبال على الزواج عظيماً من الجانبين .

واختيار العروس - لاسيا القرويات والبدويات - يقع في أحد مكانين : السوق أو البئر ، وما على الراغب في الزواج إلا أن يرتدى أحسن ثيابه يوم السوق ، ويشرع في ذرعه ذهاباً وجيئة ، إلى أن يقع نظره على فتاة تعجبه ، فيتقدم إليها خاطباً باللغة المعروفة : « أنا ميدك » و « أنا ميد » و « أنا ليس ميد » . ويستدل على ولي الفتاة وتم الخطبة في نهار واحد ، وهاك المهر ، وهاك الضيفة وهاك الشرهة ، وهاك الأستاذ مأذون الزواج : بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان من حلل النكاح وحرّم السفاح ، مبارك يا عريس .

وقد بلغ التنافس على العرائس أشده أيام كنا في أبها ، فعوضاً عن استعراض الفتيات في السوق بدأ الراغبون في الزواج في تصيدهن من بعيد في طريقهن إلى السوق قبل وصولهن إليه ، حتى لا يزاحمهم مزاحم أو ينافسهم منافس . الزواج سهل ، والطلاق ميسور ، إما وفاق وإما فراق ، وكان الله يحبّ المحسنين .

أما البئر فإنها جامعة فتيات الحى أو القرية ، يقصدنها حاملات القرب على ظهورهن ، إذ أن السقاية وحمل الحطب والسكّال من مهمات النساء الماهرات في الحمل على الظهر ، والسقاية من البئر بالتسلسل ، وقد تطول عملية رفع الماء بالدلاء ، وهذه فرصة حسنة للحديث فيما بينهم أو مع الشبان الراغبين في الزواج . يحصل التعارف

والاتفاق الضمني على البئر ، ثم يعقب ذلك إجراءات الخطبة الرسمية في البيت . وفيما يلي طرف مما شاهدته من هذه الإجراءات والعادات :

حضرت حفلتين من حفلات عقد الزواج كان العريس في كليهما من أصدقائي وكانت المراسم فيهما واحدة تقريباً مع بعض الاختلاف في الفروع والهوامش لا في الأسس والقواعد . ركبنا من أبها في سيارتين إلى قرية مجاورة واقعة في جهتها الشمالية اسمها «رِضْف» حيث العروس وأهلها ، ولما اقتربنا من بيوت القرية أخذنا نطلقون الرصاص من البنادق والمسدسات ، وكان المنتظر أن يقابلنا أهل القرية بالمثل غير أنهم بخلوا بالخرطوش فلم يطلقوا طلقة واحدة ، وإنما قابلونا صفّاً طويلاً محبين مرحبين ، ثم دعونا إلى بيت تناولنا فيه القهوة . وكان علينا أن نتنظر نتيجة المساومة على توزيع مهر العروس بين والدتها وأخيها وعمها الذي هو وليها . كان المهر مائة ريال نقداً لم يتمكن الوسيط من توزيعه على وجه يرضى الجميع إلا بعد مناقشات ومحاورات كثيرة . وقدم العريس علاوة على النقد هدية من السكر والشاي والقهوة والهليل ، كما قدم الجهاز المؤلف من ثلاثة أثواب كاملة أحدها من الحرير ، ولم يكن في الجهاز مصاغ قط . وبعد إتمام هذه الإجراءات دعى المأذون بإجراء العقد ، فقرأ ما تيسر من كلام الله ، ثم أجرى العقد بين ولي أمر العروس وبين العريس شفهيّاً دون أن يكتب صك بذلك كما هو متبع في أكثر البلاد ، وبذلك انتهت المراسم وتم عقد الزواج . ثم دعينا إلى تناول طعام الضيافة ، وكان يتألف من كبش مسلوق وأرز مفلفل — وهذا من النوادر — ومرق وعريكة وخبز ، وباركنا للعروسين وتمنينا لهما السعادة والهناء .

أما مراسم الحفلة الثانية فلم تختلف عن الأولى إلا بتبادل إطلاق الرصاص من الجانبين ، وبعدهم مشاهدتنا مساومات المهر وتوزيعه ، كما أننا لم نشاهد توزيع قطع اللحم كما جرى في الحفلة الأولى .

أبناء عم العروس أولى بها من الغرباء ، ولهم عايتها حق الأفضلية ، ولذا يجب التثبت من عدم معارضتهم في الزواج أو إرضائهم للتخلي عنه قبل إتمامه .

يروى البسطاء من أهل البلاد حكايات طريفة عن الخرافات المتسلطة على أذهانهم ، إذ يعتقدون بقدرة أهل العروس على الحيلولة دون وصول العريس إلى عروسه . وطريقة ذلك أن يعقدوا للعريس عقدة تعجزه عن بلوغ مراده من زوجته ، ولهم في ذلك طرق عديدة يتوسلون بها ويؤمنون بفائدتها للوصول إلى النتيجة المطلوبة على زعمهم . وفيما يلي بعض الوسائل التي يتوسل بها أهل العروس وأبناء عمومتها للحيلولة بين العريس وعروسه إن لم يكونوا راضين عن الزواج ، وذلك حين إجراء المأذون لمراسم العقد .

- ١ — عقد خيط أو شريط أو طرف الغترة أو الثوب .
 - ٢ — خلع الخاتم من الإصبع ثم إعادة لبسه رويدا رويدا كلما قرأ المأذون جملة أو آية .
 - ٣ — سلّ الجنبية من غمدها ثم إعادتها إليه أثناء قيام المأذون بعمله دون أن يلحظ أحد ذلك .
 - ٤ — قلب النعال حين إجراء العقد .
 - ٥ — عقد بعض شعرات من صوف ذبيحة العروس حين إجراء العقد .
 - ٦ — عقد مصران الذبيحة .
 - ٧ — غمس مسمار في دم الذبيحة ودقه في الأرض .
 - ٨ — خلط مرق الذبيحة بماء حين إجراء العقد .
- هذه أشهر الطرق . وهناك طرق أخرى غيرها . وتما يوجب الأسف أن هذه الخرافات تجرى من القوم مجرى الدم ، ولها في نفوسهم أثر عظيم ، ولذلك فإن أهل العريس يكونون يقظين منتبهين حين إجراء العقد ، لئلا يحدث شيء من ذلك .
- وتما يجدر بي تسجيله هنا — على سبيل الفكاهة — واقعة حدثت لرفيقنا الذي كان دائما مصدر السلوى والتفككة : « كنعان أفندي » . كنا نمازح كنعان ونزغبه في الزواج ونشجعه عليه ، ومن المعلوم أنه أعزب . وكنا كلما خرج بمفرده من المنزل نسأله بعد عودته عما إذا كان قد وفق إلى العثور على فتاة موافقة ، وتعهدنا بمساعدته بالمهر

وحفلة العرس ، فطلب منا تدبير المساعدة المالية من الأمير سعود أولا ، فإن دبرت فإنه لا يمانع في الزواج . وقد كلف فعلا أحد أصدقائه بالبحث عن فتاة مناسبة ، ووفق الصديق في مهمته وأرشده إلى فتاة في السادسة عشرة من العمر ، غير أن كنعان كان قد تسلّم المساعدة المالية فاعتبرها فتاة أحلامه وعدل عن الزواج وأخبر صديقه بالعدول عن الخطبة !

ومن غريب المصادفات أن الأمير تركي السديري أمير عسير كان معي في المنزل وقت الغذاء ، وخرج إلى دار الحكومة ، وما عثم أن أرسل إلى رسالة يخبرني فيها بأن حديث كنعان معنا عن عدم زواجه خرافة ، وأنه لعب علينا بزواجه خفية عنا . ونظرا لمعرفتي الوثيقة بأن كنعان لم يتزوج ، لم أصدق الخبر بالطبع ، غير أنني اغتنمتها فرصة للتفككة بممازحة كنعان وتشويش أفكاره والتهويل في أمره .

أخبرت كنعان بأن أهل البنت قد شكوا للأمير نكته وعدوله عن الزواج دون أن يسلم المهر ، وأن الأمير لم يشأ اتخاذ الإجراءات ضده قبل مشاورتي والاتفاق معي على حل الموضوع صلحا ، وعليه دفع المائة ريال قيمة المهر وإلا اضطر الأمير إلى النظر في الشكوى بصورة قانونية .

حينما أعود بذنا كرتي إلى منظر كنعان ساعة إخباره بذلك الخبر ، تستفزني عوامل الضحك والاعتباط من موقف كنعان الحرج واعتباطه وقلقه . يالها من ساعة عصبية وكارثة مؤلمة ألمت به . لم نترك وسيلة من وسائل الاستفزاز والتهويل والمشاكسة إلا اتخذناها ، فزاد الكرب به ، وضاق به الحيل ، فتركنا غاضبا من إهمالنا له وعدم مبالاةنا به في ساعة شدته ، وذهب إلى السوق متفردا عسى أن يطرح همومه وينسى آلامه ، غير أنه عاد إلينا بعد ساعة تبدو عليه الآلام النفسية من هذه الورطة ، ولم يطق صبرا بين الرفاق ، فأخذ بندقيتي واعتزم الخروج للصيد على حدّ قوله ، فحتمنا أن يؤدي به الأمر إلى الانتحار ، فأطلعناه على الحقيقة بين قهقهة الرفاق وتصفيقهم الحاد للعريس الخيالي الجبار !

٥ - الخرافات

تنتشر في هذه البلاد عقائد خرافية تجرى من نفوس أهلها مجرى الدم ، ولها أثر شديد في تكييف أمزجتهم ، فأكثرهم يعتقد بالسحر والتنجيم وكتابة الحجب والطلاسم ، الأمر الذي يجد المشعوذون معه سوقا رائحة لشعوذاتهم وأباطيلهم ، ويتوسلون بذلك لسلب البسطاء أموالهم أو لسلب أموال النساء الجاهلات . نعم إن نشر قواعد التوحيد منذ تأسيس الحكومة الحاضرة قضى على كثير من هذه الخرافات والأوهام الباطلة ، غير أنه لم يقض عليها قضاء مبرما .

لا شك في أن اعتقاد البسطاء في قدرة بعضهم على منع العريس من مساس عروسه بواسطة عقد العقد ضرب من الأوهام والخرافات .

وتخريف أيضا اعتقادهم السائد في قبر « ذى القرنين » الواقع على ملتقى وادى جوحان وأبها ، وهو القبر الذي هدمه الإخوان أيام الفتح الأولى .

وكذلك من الخرافات الاعتقاد السائد بينهم بشأن الكهف المجاور لجبل « تمنية » ، يزعمون أن فيه ثلاث جثث كبيرة لأناس ماتوا منذ قرون غير أن أجسادهم تجمّدت وظلت على حالها ، وأن كل من رأى هذه الجثث أصيب بشيء لا يستطيعون أن يقرّوه أخير هو أم شر .

ولكن أعجب ما روى لى من عقائد الخرافية اعتقادهم بما يفعله أهل داخل اليمن من استنطاق الموتى الذين يقتلون غيلة ، وزعمهم بأن في إمكانهم معرفة القاتل وتطبيق الجزاء عليه بهذه الطريقة . وحبذا لو كانت هذه الخرافة حقيقة ، إذن لتمكن قضاة التحقيق من كشف أسرار الجرائم والضرب على أيدي الجناة والمجرمين ، ولكنها خرافة لها أثرها العظيم في أوهام الناس .

إذا اغتيل إنسان وأريد معرفة قاتله ، قام أهل القتل بمعونة بعض السحرة والكهان إلى سلم فربطوا القتل إليه عرضا ، وحملوه إلى مكان بعيد بين الجبال حيث لا يسمع نباح الكلاب ولا الأصوات المزعجة ، وعلّقوا السلم على شجرة ،

ثم عمدوا إلى حفرة في الأرض تتسع لجلوس شخص واحد فوضعوا فوقها صخرة كبيرة بحيث تغطّيها إلا فتحة صغيرة مواجهة لوجه القتيل المعلق على السلم المربوط إلى الشجرة . وينصرف رفاق المحتبيء في الحفرة إلى مكان منعزل لا يُشاهدون منه . فإذا جنّ الليل أنصت المحتبيء في الحفرة وحدث في وجه القتيل منتظراً وقوع الأعجوبة ، وإذا بطير كبير يشبه النسر ينحط من السماء على أعلى الشجرة مقابل الميت ، ثم تبدأ عملية الاستجواب والاستنطاق .

يتكلم النسر مشيراً إلى الميت طالباً منه أن يخبره باسمه واسم عائلته ، وربما سأله عن عمره برغم أن هؤلاء البسطاء لا يؤرخون أعمارهم ولا توجد في ديارهم مصالح إحصاء ولا دوائر تسجيل النفوس — فيفتح القتيل فاه ويحجب عن أسئلة النسر واحداً واحداً ، ويطلعه على اسم القاتل ومكان القتل وكيفيته وغير ذلك من التفاصيل .

وقد يكون النسر مجباً للاطلاع راجباً في كشف أسرار الموتى وأفعالهم في الحياة الدنيا ، فيتمادى في السؤال والميت يجيبه على أسئلته حتى يتطرق إلى الخصوصيات المحضة ، فيصيح المحتبيء في الحفرة بالنسر أن كفى ولا لزوم لكشف أسرار الموتى ، فيغضب النسر من هذا الطفيلي ويشور عليه ، وينقض على الحفرة للانتقام منه وتمزيقه بمخالبه القوية ومنقاره الحدد ، فيصيح الرجل المحتبيء مستغيثاً ، ويقبل عليه رفاقه لإنقاذه ، فيضعف النسر أمام الكثرة التي تغلب الشجاعة ، فيفر لساعته ، ويسارع الرجال إلى رفع الصخرة عن فوهة الحفرة لإنقاذ رفيقهم ، وينظرون فإذا الميت على حاله لا يتكلم ولا يتحرك .

بهذه الوسيلة يكشف أهل اليمن أسرار الموتى وطريقة اغتيالهم للانتقام من القاتل . إلا أن المثل السائر يقول : « لكل شيء آفة من جنسه » و « لكل داء دواء » . فالقاتل الذي يعلم أن تلك الوسيلة قد تفضى سره ، لا يستبعد أن يعمد إلى قطع لسان القتيل وشفتيه ، فيصبح عاجزاً عن النطق حينما يستجوبه النسر ، ويقضى بذلك على آمال أهل القتيل في الوقوف على السر .

الفصل الخامس

بلاد وادعة وقحطان

وادعة ظهران ، قراها وأوديتها - نسب قحطان وأقسامها - قرى قحطان - وادى تليلث

١ - وادعة ظهران ، قراها وأوديتها

كنت أعتقد قبل رحلتى إلى عسير أن قبيلة وادعة تؤلف قسماً من أقسام قبيلة قحطان ، وهذه العقيدة هي التي جعلتني أذكر وادعة ضمن أقسام قحطان في كتابي « قلب جزيرة العرب »^(١) . وحينما تقابلت مع كبار وادعة في خميس مشيط علمت منهم أنهم من نسل همدان بن زيد ، وأن أقاربهم وأبناء عمومتهم ، هم اليامية أهل نجران وحبونة وذوو محمد وذوو حسين ودَّهم ، حالة كون قحطان ينسبون إلى عامر بن الحُلف بن قضاة ، وهم أقرب إلى خوَلان بن عامر (بنو جماعة ومنبه وكثيرون من غيرهم) منهم إلى وادعة .

تقع بلاد ظهران في منتهى حدود المملكة العربية السعودية المتاخمة لليمن ، وتبعد عن خميس مشيط بطريق السيارات ٢٢٦ كيلومتراً ، وهي بلاد جبلية ذات أودية كثيرة خصبة ، يحدها من الجنوب بلاد سحار الشام والفاصل بينهما « رأس علبين » يقابله في حدود اليمن « عقبة الشُّطبة » التي كانت مدخل الجند إلى اليمن بقيادة ولي العهد ، ويحدها عن بلاد بني جماعة « يباد » و « الصخيرة » وهما بجوار « وادى الحاجر » ويحدها من جهة الغرب أى من جهة تهامة جبل « آل مخطي » و « المُسَنَّى » . وأما من جهة الشرق فإن بلاد « يام » متصلة بها ، وأقرب القرى إليها بلدة « بدر » مركز المسكارمة ، وبين بدر وظهران مسافة ست ساعات يقع في منتصفها ربع يسمى « رَهْوَة المَقْصَم » .

إن سكنى قبيلة صغيرة كوادعة في منعزل عن أبناء عمّتها من همدان بن زيد ، أمر لا يمكن تفسيره بالوقائع التاريخية الثابتة ، وليس لذلك مثيل إلا وجود قرية يباد التابعة لسحار بين ظهران وبلاد بنى جماعة من خولان ، ومع ذلك فقد استقرت هذه القبيلة واستقرت به وخالطت قحطان بن عامر واختلطت أنسابهما ، مما دعا كثيرين إلى الظن بأنهما قبيلة واحدة .

وتقسم القبيلة إلى قسمين : « آل حَيَّان » و « وادعة » ، ولكن الأهالي يقسمون القبيلة بحسب القرى التي يقطنونها ، وهذه أسماء قرى القبيلة وأوديتها :

١ — وادي الحاجر : ينبع بالقرب من وادي النشور في بلاد سحار باليمن . ويتجه إلى الشرق حيث يصب في وادي هدادة الذي يصب بدوره في وادي حبونة .

٢ — وادي قتام : ينبع ما بين علمين والشطبة ، وهي الحد الفاصل بين اليمن والمملكة العربية السعودية ، ثم يصب في وادي الحاجر ، ويجتمعان في « المجزعة » ثم في هدادة .

وفي هذا الوادي خمس قرى هي اعتباراً من علوه إلى مصّبه :

(١) الحنكة	(٣) الوساطة	(٥) المجزعة
(٢) الصمدة	(٤) الشحق	

٣ — وادي العرين : يبدأ في « عراعر » التي توالى تهامة من جهة الغرب ، ويصب في المجزعة ، وفيه من القرى ما يأتي :

(١) عراعر	(٤) بلدة ظهران
(٢) آل عبید الله	(٥) آل المونس
(٣) الحصن	(٦) القبضة

وجميع الأودية المذكورة تصب في القرن والخانق في أعلى وادي حبونة .

٤ — وادي الفيل : يبدأ من قرية الأرنب ، ويصب في القرن في أعلى حبونة
وفيه من القرى :

- | | |
|--------------|-------------------------------|
| (١) الأرنب | (٤) آل كعبان وهم كبار وادعة |
| (٢) الشعب | (٥) ملحمة |
| (٣) الملعف | |

٥ — وادي طلحة : وهو واد صغير يدفع مياهه في طرف « الذراع » وهي
قرية يعلوها « سيل الحمرة » ، وليس في الوادي سواها .

٦ — وادي رشاد : وأوله قرية « آل جزقة » ، وتليها قرية « آل يعلى » ،
ويصب في « القرن » ثم في حبونة .

هذه الأودية الستة هي أصل وادي حبونة ، أحد الأودية الستة التي ذكرنا أنها
تصنّف السطح الشرقي المائل لبلاد السراة ضمن المملكة العربية السعودية .
ويصب في حبونة أيضا واديان آخران في بلاد « يام » هما وادي « الهداده » ،
ووادي « الحرشف » .

والطرق الممتدة من بلاد وادعة إلى ما جاورها شتى أهمها :

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| (١) طريق عقبة الخشبة . | (٥) طريق القعم وعلبين ، وهي |
| (٢) طريق هفاص . | طريق اليمن . |
| (٣) طريق شجع . | (٦) طريق سعد الكامل . |
| (٤) طريق المصلولة . | (٧) طريق الخانق وبدر وحبونة . |

٢ — نسب قحطان وأقسامها

يطلق على هذه القبيلة اسم قحطان بن عامر ، والأولى أن تكون قحطان بن
عمرو بن الحلف بن قضاة ، وقحطان أخو خولان بن عمرو الذي منه قبائل كثيرة

في اليمن وتهامة . وقحطان من القبائل العربية المعاصرة في العدد والعدة ، ومنها فروع متحضرة وفروع عشائر لا تزال على البداوة في عسير ووادي الدواسر ونجد ، ويجتمع بها في أحد أجدادها الأعلى قبائل بني خالد وبني هاجر وسواها . ولن نذكر هنا إلا أقسام قحطان المقيمة في جهات عسير بين وادعة ويام وعسير وشهران من الجنوب والغرب والشمال وبين وادي الدواسر من الشرق . ويمكن تحديد ديار ما سنذكره من أقسام قحطان بأنها واقعة في أعلى وفي مجرى وادي تثليث ووادي بيشة^(١) .

ويمكن تقسيم قحطان إلى الأقسام الخمسة الآتية :

أولا — بطن رُفيدة . وأميرهم ابن سام الذي ذكرنا أن علو بيشة يسمى باسمه

وفي هذا البطن ستة أفخاذ هي :

- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) ذُعَى | (٣) جارمة وخطاب |
| (٢) بنو قيس | (٤) الحف ووقشة ومن وقشة آل الحجل |
| ولرفيدة أتباع في تهامة ذكروا إلى منهم القبائل الآتية : | |
| (١) الجهرة | (٥) آل مفتاح |
| (٢) آل علي | (٦) آل مكاذب |
| (٣) آل الحلامي | (٧) آل السري |
| (٤) آل مفرج | |

ثانيا : بطن بني بشر . وأميرهم ابن ثقفان ، وفيه العشار الآتية :

- | | |
|----------------|----------------|
| (١) آل عرفان | (٣) آل محمد |
| (٢) الحيان | (٤) آل فرحان |

ولبشر أتباع في تهامة هم :

- | | |
|----------------|--------------|
| (١) آل مسعود | (٢) آل علي |
|----------------|--------------|

(١) انظر تفاصيل وادي بيشة فيما سبق

(٣) آل حسان

(٥) آل سالم

(٤) آل الحسن

ثالثاً : سنحان الحباب . وأميرهم الحميداني ، وفيه العشائر الآتية :

(١) الزربا

(٤) الرشدة

(٢) الغازي

(٥) آل شوكان

(٣) آل الشريف

ولهم في تهامة أتباع أهمها ما يأتي :

(١) آل حجل

(٧) آل عمس

(٢) « مساري

(٨) « مفتاح

(٣) « مداوي

(٩) « مَعِينَة

(٤) « غائضة

(١٠) « مشاش

(٥) « النعير

(١١) « سعيد

(٦) حَيَّان

رابعاً : بطن عبيدة . وأميرهم ابن شفلوط ، ويمكن قسمته إلى فخذين : « آل

الصقر » و « آل الحارث » . وفيه من العشائر ما يأتي :

(١) الفهر

(٩) آل علي

(٢) آل مهدي

(١٠) آل زهير

(٣) « معمر

(١١) آل الكرعان

(٤) العرجان

(١٢) آل زيدان

(٥) حَمَّالَة

(١٣) آل الحرو

(٦) الحرقان أو آل سليمان

(١٤) الجرابيع

(٧) المساردة

(١٥) العبس

(٨) آل سلمان

(١٦) آل عائذ

- | | |
|---------------|----------------|
| (٢١) العرين | (١٧) آل قریش |
| (٢٢) البسام | (١٨) آل الجلدة |
| (٢٣) المنادية | (١٩) بنو طلق |
| | (٢٠) الوهابة |

خامساً: بطن شريف . وكبيرهم دليم بن محمد أبو اعثة ، وأقسامهم كما يأتي :

- | | |
|-----------------------------|-------------------|
| (١) آل سريع | (٤) آل عبد القادر |
| (٢) بنو يزيد ومنهم ابن دليم | (٥) بنو أوس |
| (٣) بنو هاجر | (٦) آل داود . |

٣ - وادي تثليث

ينبع وادي تثليث من بلاد قحطان ، ولذلك رأينا ضرورة ذكره في هذا الموضع من الكتاب مع ذكر روافده الكثيرة التي تمده بأمطار بلاد قحطان ، مثلما ذكرنا من قبل بعض الروافد التي تمده من بلاد شهران

في بلاد قحطان تسعة أودية تقوم عليها قرى عامرة هي أساس وادي تثليث ، وهي اعتباراً من الجنوب إلى الشمال كما يلي :

أولاً: وادي القصب : وأساسه واديان :

١ - وادي المجمع ، وفيه قرىتان :

- | | |
|-------------|---------------|
| (١) آل حازب | (٢) آل حيان . |
|-------------|---------------|

ب - وادي جناب ، وفيه ثلاث قرى :

- | | |
|--------------|-----------------|
| (١) آل سعد . | (٣) « الزبيرى . |
|--------------|-----------------|

(٢) آل الهوى .

ثانياً: وادي سروم : وتقوم على أطرافه القرى الآتية :

- | | |
|--------------|--------------|
| (١) القعدة . | (٢) آل حنى . |
|--------------|--------------|

(٣) السلاطين . (٥) ابن قماش .

(٤) الجهاوات . (٦) آل البازم .

ثالثاً : راحة سنحان : وفيه من القرى :

(١) آل الحمري . (٣) الأشعث .

(٢) « عيضة » . (٤) آل عمران .

رابعاً : راحة شريف : وفيه من القرى :

(١) الحوط . (٥) القضاة .

(٢) القروات . (٦) المفلان .

(٣) آل شمّاخ . (٧) أمّ ظاهرة .

(٤) « المونس » . (٨) الفيض .

خامساً : وادي الحرجة ، وفيه قريتان :

(١) خيسر .

(٢) الحرجة ، وهي مركز هام للتجارة مع اليمن وعلى الأخص تجارة البن .

سادساً : وادي محلاة ، وفيه ثلاث قرى :

(١) البغصة .

(٢) آل صبرة .

(٣) آل داود .

سابعاً : وادي يعوص ، وفيه من القرى :

(١) العقدة .

(٥) آل مسلمة .

(٢) بنو هاجر .

(٦) « الباس » .

(٣) أهل النقعة .

(٧) « شارد » .

(٤) آل سامر .

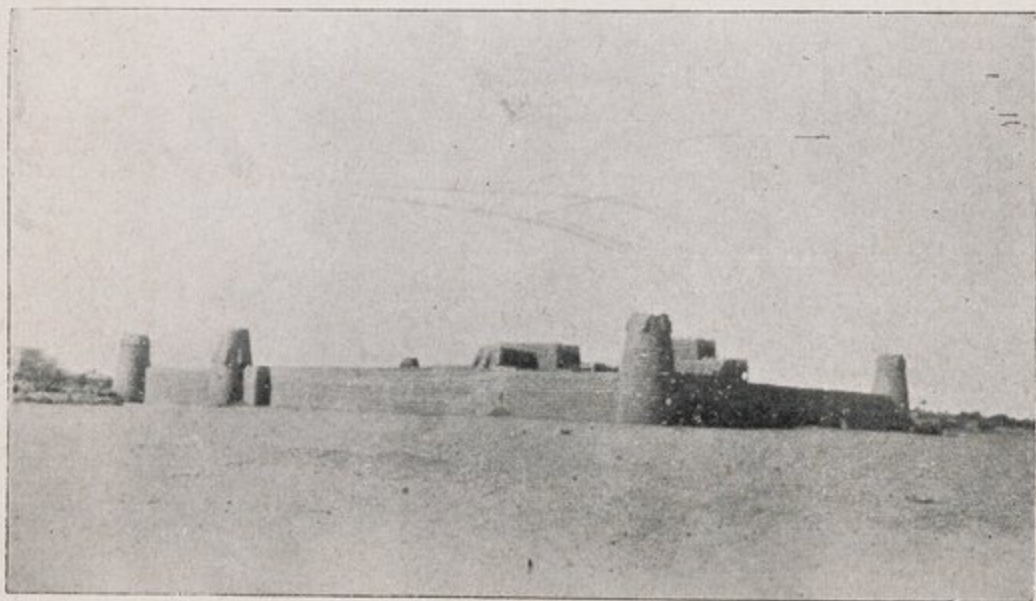
(٨) « الكولة » .



رقصة الحرب « الدبكة » عند أهل نجران



وادي « تثليث »



قلعة بيشة

1850-1851
1852-1853
1854-1855
1856-1857
1858-1859
1860-1861
1862-1863
1864-1865
1866-1867
1868-1869
1870-1871
1872-1873
1874-1875
1876-1877
1878-1879
1880-1881
1882-1883
1884-1885
1886-1887
1888-1889
1890-1891
1892-1893
1894-1895
1896-1897
1898-1899
1900-1901
1902-1903
1904-1905
1906-1907
1908-1909
1910-1911
1912-1913
1914-1915
1916-1917
1918-1919
1920-1921
1922-1923
1924-1925
1926-1927
1928-1929
1930-1931
1932-1933
1934-1935
1936-1937
1938-1939
1940-1941
1942-1943
1944-1945
1946-1947
1948-1949
1950-1951
1952-1953
1954-1955
1956-1957
1958-1959
1960-1961
1962-1963
1964-1965
1966-1967
1968-1969
1970-1971
1972-1973
1974-1975
1976-1977
1978-1979
1980-1981
1982-1983
1984-1985
1986-1987
1988-1989
1990-1991
1992-1993
1994-1995
1996-1997
1998-1999
2000-2001
2002-2003
2004-2005
2006-2007
2008-2009
2010-2011
2012-2013
2014-2015
2016-2017
2018-2019
2020-2021
2022-2023
2024-2025

(٩) آل سيف . (١١) الحظيرة ، وهي مقر ابن دلیم .

(١٠) « الطيق .

ثامناً : وادی الوقيرة ، وفيه من القرى :

(١) آل شَرِيَّة . (٣) آل طلحان .

(٢) « مقامر .

تاسعاً : وادی الحظيرة ، وفيه من القرى :

(١) الحظيرة . (٣) الخضرا .

(٢) دهـل . (٤) العنابس .

والأودية التي ذكرناها تعود إلى بطون « بنى بشر » و « سنحان الحباب » و « شريف » من قحطان . أمّا « عبيدة » و « رُفَيْدَة » فإن أوديتها تتجه إلى ناحية بلاد شهران وتثليث ، ولذا فإننا — عدا ما ذكرناه — نذكر فيما يلي أهم الأودية التي ترفد وادي تثليث .

يذكرون أن وادي تثليث كان ملكاً لعمر بن معدى كرب ، ولكنني أرجح أن يكون عمراً قد ملك أواسط الوادي الذي تقوم عليه في زماننا الحاضر قرى وهجر لبعض عبيدة من قحطان ، أمّا أن يكون ملك الوادي من منبعه إلى مصبه فذلك ما أستبعده .

طلبت من مترك بن شفلوط شيخ عبيدة أن يصف لي الوادي ، متبعاً في ذلك مجراه من علوه إلى مصبه ، فوصفه لي على النحو الآتي :

علو تثليث في الخوايس أي المناقع التي عند سنحان والحرجة وبلاد شريف ، ويحول منها متجهاً إلى الشمال حتى يصل بعد مسيرة يوم للمطية إلى « المواه » وهو المكان الذي تجتازه طريق السيارات الذاهبة إلى « الحصينية » في أسفل وادي « حبونة » في طريقها إلى نجران ، ثم يمتد من « المواه » إلى مسيرة نصف يوم للمطية حتى يبلغ « الحمضة » وهي قرية في بطن تثليث تخص « آل مسفر » من

« آل مسعود » من « آل الجمل » من « قحطان » . ومن الحمضة يتجه إلى « الحفائر » وهو ماء في البادية بينه وبين الحمضة ثلاث ساعات ، ثم على مسير ساعة يصل إلى « النقرة » وهي هجرة لابن عبود من قحطان ، وفي هذا المكان يصب في الوادي سيل سراة عبيدة المسمى « طريب » الذي تقوم عليه هجرة « السبيخة » بلد محدثي ابن شفلوط . ويتجه الوادي من هذا المكان إلى « الكهيف » وهي هجرة لآل سعد التابعين لابن لبدة من قحطان ، ويجوار هذه الهجرة قرية أخرى لآل سويدان التابعين لابن عبود من قحطان ، ثم ينحدر إلى « بزير » وهي على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « جينة » على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « ملح » مسيرة نصف يوم ، ثم ينحدر إلى أن ينتهي بعرق « الختمية » الفاصل بين تثليث ووادي الدواسر .

وقد فاض تثليث عام ١٣٣٧ (١٩١٨) فيضانا عظيماً ، فكسر العرق الرملي الذي يحجزه عن وادي الدواسر عند الختمية ، وطغى على وادي الدواسر ، وجرف كثيراً من بلدانه . وقد ذكر لي الأمير عبد الله بن معمر الذي كان أميراً على الدواسر إذ ذاك أن السيل مكث أياماً كثيرة لا يمكن مغالته ، ولذلك سمى المكان الذي اخترقه السيل في العرق الرملي المنكسر « مفجر الختمية »

وفما يلي الأودية الرئيسية التي يمكن القول بأنها ترفد وادي تثليث خلاف الأودية المار ذكرها :

أولاً : سيل سراة عبيدة من قحطان أو سيل طريب : وهو ليس بعيداً عن وادي ياشة ابن سالم ، ويمر بالسبيخة بلد ابن شفلوط على بعد ٤٩ كيلومتراً من خميس مشيط ، ويتجه منها إلى « جاش » ثم يلتقي بتثليث عند « النقرة » بلد ابن عبود كما مر .

ثانياً : سيل الهيج : ويطلع من أودية « بني طلق » عند « الحنقة » ، ويمر في « الرحيق » ، ويلتقي بتثليث في « الحفائر » .

ثالثاً: وادى المسيرق . وهو مجتمع ثلاثة أودية كبيرة :

١ - وادى الشيق المار ذكره فى الفصل الخامس ببلاد خير من شهران

٢ - وادى السليل المار ذكره فى وصف الطريق بين خير وتندحة

٣ - وادى خير نفسه .

وتجتمع هذه الأودية الثلاثة عند بلدة خير وتصب فى وادى « ثفن » الذى

يعارض تثليث وراء جاش .

رابعاً : سيل القاعة : ويطلع من « عقدان » وهو ماء إلى الغرب من شعيب « طريب »

ويسير إلى بلدة اسمها « يعرى » لقبيلة ناهس من شهران ، ثم يلتقى بسيل « الطريسة »

ثم يصب فى طريب عند « الجثوة » فوق السبيخة بمسيرة ساعة .

٤ - قرى قحطان

ذكرنا فى النبذة الثانية من هذا الفصل أسماء الأودية والقرى العائدة لبطون

سنحان وشريف من قحطان ، والآن نذكر أسماء قرى « رُفيدة » و « عبيدة »

و « بنى بشر » . وعذرى فى ذكرها ، مع علمى بأن هذا البحث جاف ، رغبتى فى

أن أجمع للمرة الأولى أسماء جميع الأودية والشعبان والقرى فى بلاد عسير وملحقاتها

كى تكون مرجعاً للمطالعين المدققين .

أولاً : قرى بطن رفيده :

١ - قرى فخذ الحف : ويسمى أهلها « لحاف »

(١) العكاته	(٦) آل على	(١١) بنى وهب
(٢) الحيفا	(٧) آل بايع	(١٢) آل لوط
(٣) القرن	(٨) البطحاء	(١٣) الشاعر
(٤) آل حلامى	(٩) آل عامر	(١٤) الدمام
(٥) آل حذيلة	(١٠) الصمخبة	(١٥) آل السر (امسر)

ب — قرى فخذ وقشة :

- | | | |
|-----------------|--------------|---------------|
| (١) بلحى | (٥) المصياد | (٩) وادى حارث |
| (٢) آل أبى صبيب | (٦) الضور | (١٠) آل خزيم |
| (٣) الخمرة | (٧) آل القصف | (١١) القرن |
| (٤) الحرقان | (٨) آل خيش | (١٢) العيص |

ج — قرى فخذ آل الجمل :

- | | | |
|-------------|---------------|-------------|
| (١) الديبة | (٤) المحشوش | (٦) الصفرا |
| (٢) الجمع | (٥) آل ابن حى | (٧) المراغة |
| (٣) آل فجعة | | |

د — قرى فخذ قيس :

- | | | |
|-------------|-----------|-----------|
| (١) الجوف | (٢) لزمة | (٣) الدرب |
| (٤) الحظيرة | (٥) الربة | |

هـ — قرى فخذ مستنير :

- | | | |
|------------|-----------|-------------|
| (١) الثنية | (٢) الروغ | (٣) بالمديد |
|------------|-----------|-------------|

و — قرى فخذ ذعى :

- | | | |
|-------------|--------------|-------------|
| (١) آل كامل | (٤) المراغة | (٧) آل مدير |
| (٢) آل مفرج | (٥) آل بريد | (٨) آل سالم |
| (٣) آل ماشى | (٦) بنى تميم | (٩) آل قصيف |

ز — قرى فخذ جارحة وخطاب :

- | | | |
|-------------|--------------|---------------|
| (١) المصيق | (٤) آل الشيخ | (٧) آل زهير |
| (٢) القرحاء | (٥) الدر بين | (٨) يسواق |
| (٣) غقرة | (٦) عراب | (٩) آل الداخس |

(١٠) آل العظبا	(١٣) آل الرميح	(١٦) آل عمرنية
(١١) آل السواد	(١٤) الجوف	(١٧) آل عسر
(١٢) آل نادر	(١٥) آل شوية	

ثانياً: قرى بطن عبيدة:

(أ) قرى فخذ آل الصقر:

(١) الربعة	(٦) آل ثابت	(١١) آل عقبة
(٢) آل كنية	(٧) آل مهدي	(١٢) آل قرعة
(٣) آل جلدة	(٨) آل حبيل	(١٣) آل بسام
(٤) آل الشوف	(٩) آل جبرة	(١٤) آل سليمان
(٥) القضعان	(١٠) آل قريش	

(ب) قرى فخذ آل معمر:

(١) سحيان	(١٠) آل دريم	(١٨) الوادي الأبيض
(٢) الربايع	(١١) الحمديد	(١٩) الحراملة
(٣) الحدباء	(١٢) آل نميلة	(٢٠) آل زليق
(٤) الحظير	(١٣) الخرمة	(٢١) آل كلب
(٥) الجرداء	(١٤) الوهابة	(٢٢) المجاذعة
(٦) آل عرييدة	(١٥) آل مهروي	(٢٣) ابن خطاب
(٧) الزهرة	(١٦) آل محاصر	(٢٤) الأشاعرة
(٨) الفلقة	(١٧) آل سلمان	(٢٥) ابن الورد
(٩) الهواجر		

(ج) قرى فخذ بني طلق:

(١) آل خضير	(٣) الرهط	(٥) عنجة
(٢) زهير	(٤) القفعايس	(٦) آل مفري

(٧) آل دكيم (٩) الصفاق

(٨) آل مدغان (١٠) آل الحرد

(٥) قري فخذ طريب والعرين :

(١) الجرايع (٤) رغووة (٧) وهبة

(٢) الفرس (٥) آل كريمان (٨) آل عرفان

(٣) الحراملة (٦) آل جابر (٩) آل أبي نهار

ثالثاً : قري بطن بني بشر :

(١) العسران (١٢) الجهمة (٢٣) الزاوية

(٢) آل شياع (١٣) قحيم (٢٤) آل الثنا

(٣) عثمان (١٤) الدرب (٢٥) شبيرمة

(٤) المحافظ (١٥) ابن النمر (٢٦) مثاب

(٥) آل ساوغة (١٦) فرحان (٢٧) دارمة

(٦) آل عازب (١٧) ابن عاطف (٢٨) ابن كليب

(٧) حمالة (١٨) العبيدية (٢٩) ابن مظهر

(٨) العقيق (١٩) آل عطيف (٣٠) الجوبة

(٩) العرابة (٢٠) آل ظالم (٣١) آل مكر

(١٠) آل الخلف (٢١) الزهرة (٣٢) سهيب

(١١) الوسط (٢٢) آل مانع (٣٣) أهل سعيان

ويلاحظ بكل جلاء أن أكثر الأسماء الواردة إنما هي في الواقع في أسماء فروع

القبائل الساكنة في القرى نفسها ، وهذا الاستعمال ناشئ عن تغلب اسم القبيلة

على اسم القرية نفسها .

الفصل السادس

رجال ألمع ورجال الحجر

نسب ألمع وأقسامها - قرى ألمع وأوديتها - رجال الحجر - قبيلة بني شهر - قضاء محائل .

١ - نسب ألمع وأقسامها

تقع بلاد ألمع إلى الغرب من بلاد قبيلة عسير ، وتتاخما في منقلب السراة الغربى التى يسميها أهلها « الطور » ، وأهل البلاد يحسبون ألمع تهامة لعسير . وقد غلبت على ألمع تسميتها برجال ألمع ، مع أن « رجال » إحدى البلدين الشهيرتين : « رجال » و « الشعبين » فى هذه المنطقة كما سنذكره فى موضعه . أما القبيلة نفسها فلم أستطع التثبت من كونها قبيلة « ألمع » أو أنها قبيلة « آل مع » كما أرجح ، ثم حرفت فأصبحت « ألمع » .

وتنسب قبيلة ألمع إلى « أزد شنودة » . ويعيرونهم جيرانهم بأنهم من بنى قريظة نظراً لتقلبهم وكثرة فسادهم وشرورهم . وينضوى تحت لواء القبيلة الأصلية الأزدية فرقتان هما : « أهل صلب » و « بنو زيد » وأصلهما من بكر مثل أهل الدرب ، إلا أن هذا التمييز فى الأصول فقط لا فى العادات والمعاملات .

وتمتد ديرة ألمع على سفوح الطور الغربية مما يصادف بلاد عسير من جنوبها إلى شمالها ، والصلات بين البلادين كثير ومتينة . وألمع تابعة لعسير اسماً فى هذه الأيام ، وقد كانت تابعة لها أيام سلطانها وغلبيتها ، وكانت أيام الحكومة العثمانية « قائممقامية » مرتبطة بمركز « المتصرفية » فى أبها ، وهى فى وقتنا الحاضر قضاء تابع لأمارة أبها أيضاً .

يختلف أفراد ألمع عن مجاوريهم من عسير بعدة صفات ، ويمكن حسابهم من المخضرمين بين قبائل تهامة وقبائل عسير من حيث عاداتهم ولباسهم ومظهرهم ،

أما من حيث قاماتهم فقد لاحظت أنه يغلب عليهم شكل القبائل اليمانية بقصر قاماتهم ونحافة أجسامهم وأشكال رؤوسهم ووجوههم . إلا أن فيهم ظاهرة غريبة جداً بادية في لون العيون ، فإن كثيرين منهم ذوو عيون خضراء مائلة إلى الزرقة . أما من ناحية الشكل الظاهر فإن ملابسهم لانشبه ملابس أهل عسير لافي لونها ولا في تفصيلها ، بل هي خضراء دكناء تكسبهم شكلاً فذاً في بابه . ولهجتهم قريبة من لهجة أهل عسير القاطنين سفوح الطور الغربية في قلبهم لبعض الحروف عن مخارجها وفي نطقهم للقاف والكاف بما يشبه نطق الألمان واليونان للخاء أى بين الخاء والشين .

ويبلغ غزو ألمع ٧٠٠ مجاهد ، وقد ضوعف هذا العدد في الوقائع الأخيرة مع اليمن وكان في وسع القبيلة استبدال المجاهدين من وقت إلى آخر . وقد قدروا عدد سكانها بما لا يقل عن ٣٠ — ٤٠ ألف نسمة .

ويحيط بالقبيلة من جنوبيها بنو شعبة أهل الدرب في وادي عتود ، ومن شماليها آل موسى وبنو توعة من قبائل بارق ومخائل ، ومن شرقيها عسير بأقسامها الأربعة ومن غربيها قبائل المنجحة وبنو هلال وقنا وبحر بن سكيئة .

وتقسم القبيلة إلى عشرة أقسام ، غير أنها — حين الجهاد — تنضوى تحت سبعة ألوية ، والواقع أن بعض الفروع الصغيرة أرادت أن تنفصل ، لكنها داخلية ضمن الفروع الكبرى ، وفيما يلي أسماء البطون مع أخذها :

أولاً — بنو قطبة : مركزهم الشعبيين ، ولهم أربعة فروع :

(١) آل موهوب

(٣) فرع يسكن الشرفة

(٢) فرع يسكن الشعبيين

(٤) فرع يسكن مجمان

وينضوى تحت هذا البطن فخذ مستقل يعرف بفخذ « أهل العوص » .

ثانياً : بنو ظالم : وأخاذهم :

- | | | |
|-------------------|-------------------|-------------|
| (١) آل جميدة | (٥) آل درقة | (٨) مهمال |
| (٢) « السلمي | (٦) المقاصدة | (٩) آل جائز |
| (٣) « حليما | (٧) أهل ذنب النقر | (١٠) « عمقة |
| (٤) أهل قرية رجال | | |

ويتبع « بنى ظالم » بطن يسمى « البنعا » ، وفيه عشائر كثيرة ، أهمها :

- | | | |
|------------|--------------|--------------|
| (١) الحارث | (٣) المشهورة | (٥) آل رقصان |
| (٢) آل هبة | (٤) آل سمعي | (٦) الخلاوية |

ثالثاً : بنو شحب : وفيهم فخذان :

١ - بنو عبد ، وهم :

- | | |
|-----------------|---------------|
| (١) آل المسحم . | (٤) آل قفيل . |
| (٢) « زياد . | (٥) « ققوة . |
| (٣) « رادة . | |

ب - بنو شديدة ، وهم :

- | | |
|----------------|----------------|
| (١) الغمور . | (٣) آل مفلح . |
| (٢) الصواقعة . | (٤) المخلوطة . |

رابعاً : بنو قيس : وفيهم الأخاذا الآتية :

- | | | |
|-----------------|----------------|--------------|
| (١) آل المتعالى | (٤) أهل المرار | (٦) الصدر |
| (٢) آل يعلى | (٥) آل الرصوب | (٧) أهل شعفي |
| (٣) آل الجرعة | | |

خامساً : بنو زيد ومنهم :

- | | | |
|--------------|----------------|------------------|
| (١) آل حيان | (٣) آل الرويمي | (٥) أهل دبله |
| (٢) آل الملك | (٤) آل الشحطة | (٦) آل النجميز . |

سادساً: بنو حبونة ومنهم :

١ - آل الغلا

ب - آل جندابو

ج - آل اللحجين ، وهم أربع عشائر هي :

(١) آل الحسين (٣) آل المسبلة

(٢) آل عبيد (٤) آل محلبة

سابعاً: أهل صلب وفيهم :

(١) آل عراف (٤) آل السروة (٦) أهل السرو

(٢) المحجرة (٥) آل الشعبي (٧) جحدة

(٣) معلين

ويطلق أهل هذه البلاد اسم « بكر » على بني زيد وأهل صلب ، كما يطلق اسم بني تغلب على بني شعبة ، وربما كان هذا تشبيهاً بيكر وتغلب لاسبب نسبة صحيحة بين القبيلتين .

ويقيم بين قبيلة ألمع فريق من السادة يعرفون بالسادة « الحفاظية » (واحد هم حفظى) هم بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة . وقد اطلعت على كراسين مخطوطين من تأليف بعض قضاة الحفاظية اسم الأول : « الديوان المرضي » تأليف أحمد « الحفظى » . واسم الآخر : « الظل الممدود ، في سيرة ملوك آل سعود » .

وكلاهما يبحث في تاريخ الحركة السلفية في نجد وبعثها على يد الإمام محمد بن سعود وشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي ، وتاريخ فتح عسير وتهامة وغير ذلك من الأحداث .

٢ - قرى ألمع وأوديتها

بلاد ألمع مجموعة جبال ووديان . وأهم الوديان التي تقوم حولها القرى الهامة أربعة هي :

أولاً : وادي حلي : ويمرّ في بلاد ثلاثة بطون من ألمع ، فعلوّه لبني قطبة ، ووسطه لبني ظالم ، وأسفله للبنّا ، وهو يطلع من الطور أي السراة ، ويصب في البحر الأحمر عند قرية محشوش المسماة حلي ابن يعقوب ، وتقع عليه القرى الآتية :

- | | | |
|--------------|----------------------------|-------------------------------|
| (١) العوص | (٧) مندر العوص | (١٣) الحارث وهي أول قرى البنا |
| (٢) المشايخ | (٨) ضاحية أول قرى بني ظالم | (١٤) أهل تنومة |
| (٣) آل مبيوع | (٩) الجبيل | (١٥) أهل سمعي |
| (٤) الأصم | (١٠) تعابة | (١٦) رتغان |
| (٥) غنمة | (١١) الظهرة | (١٧) ردام |
| (٦) الجزعة | (١٢) الفقى | |

وينتهى العمران عند ردام إلى مسافة مرحلتين للمطية حتى يصب الوادي في البحر عند حلي ابن يعقوب . ويصب في هذا الوادي أودية كثيرة أهمها وادي الشعبين الذي يدفع في مندر العوص ، ووادي عمقة لبني ظالم يصب في وادي حلي بقرب ثقي . وتقوم عليه ثلاث قرى : عمقة ، والرديف ، والحريزة .

ثانياً : وادي كسان : علوّه لبني ظالم ووسطه لقيس وأسفله لبني جونّة ومنتهاه لأهل صلب . ينبع من جبل قوة ، وتقوم عليه القرى الآتية :

- | | | |
|----------------------|------------|--------------------|
| (١) رجال قرية مشهورة | (٥) رحبي | (٩) الدير لأهل صلب |
| (٢) البيح | (٦) العطفة | (١٠) الحبيب |
| (٣) البتيلة لقيس | (٧) الضيق | (١١) شط ميكة |
| (٤) القفا لبني جونّة | (٨) محليّة | |

و بعد شط ميكة يجرى الوادى فى القفر إلى أن يدفع فى البحر بقرب القحمة .

ثالثاً : وادى ريم : لشحب ويطلع من جبل شحب ويصب فى كسان عند حدود أهل صلب ، ويتفق الواديان ويصبان معا فى القحمة ، وتقع على الوادى القرى الآتية :

- | | | |
|-------------|------------|---------------|
| (١) الصدارة | (٤) الباخة | (٦) ذو المصون |
| (٢) شوحة | (٥) ضلاع | (٧) الأثل |
| (٣) عكنة . | | |

رابعاً : وادى حسوة : وهو لقيس وبنى يزيد ، ويطلع من الطور بقرب العوص ، ويصب فى درب بنى شعبة ، أى فى ملتقى وادى ضلح بوادى عتود ، وفيه من القرى :

- | | | |
|---------------------|-------------|-------------|
| (١) الصدر | (٤) الحبلية | (٧) النجود |
| (٢) الذروة | (٥) الفنيان | (٨) المرأفة |
| (٣) الرصوب (٦) هيصة | | |

وأما القرى الجبلية فكثيرة ؛ نذكر منها فيما يلى ما كان لكل بطن من

بطون القبيلة على حدتها :

أ - قرى بنى ظالم :

- | | | |
|-------------|-----------|-------------|
| (١) قوة | (٤) الضحى | (٦) أم لوان |
| (٢) المرواح | (٥) الشرف | (٧) القاربة |
| (٣) المدرفة | | |

ب - قرى بنى قطبة :

- | | | |
|------------|-----------|----------|
| (١) الشرفة | (٣) عُرْ | (٥) سالع |
| (٢) محجان | (٤) شوكان | |

ج - قرى قيس :

- | | | |
|------------|-----------|------------|
| (١) المرار | (٣) القلة | (٥) الحورة |
| (٢) مويركة | (٤) العرة | |

د - قرى جونة :

- (١) العصادة (٣) وطن آل جندب (٥) المسكنة
(٢) القارية (٤) المشبلة (٦) أهل الشرف

هـ - قرى أهل صلب :

- (١) الحججرة (٣) أهل السروة (٥) آل عراف
(٢) معلين (٤) الشعبي (٦) الكرى
(٧) أهل السرو

و - قرى شحْب :

- (١) الججم (٣) آل قفيل (٥) آل رادة
(٢) آل زياد (٤) آل فقوة

ز - قرى شديدة :

(١) غمرة ، وليس لها في الجبال قرى غيرها .

أما بنو زيد فليس لهم في الجبال قرى مطلقا .

وقد أخبرني زيد بن غرارة من كبار أُمع أن قوائين القبيلة تقضى بجمعها قسمين :

١ - أُمع الشام : وتتألف من بني ظالم ، وشحْب ، والبنا ، وبني قطبة .

٢ - أُمع اليمن : وتتألف من قيس ، وجونة ، وصلب ، وبني زيد .

٣ - رجال الحجر

يطلق اسم « رجال الحجر » على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد

عسير وشهران جنوبا ، وبلاد بني شهر وبالقرن شمالا ، وشهران شرقا ، وقبائل

محائل وبارق غربا ، والقبائل الثلاث هي : بالأحمر ، وبالأسمر ، وببنو عمرو .

وهنالك من يقول إن اسم « رجال الحجر » لا يشمل غير قبيلتي بالأحمر وبالأسمر ،

وأن بني عمرو ينسبون إلى الشلاوة وغيرهم .

أولاً — قبيلة بالأحمر : أقرب القبائل إلى عسير ، وتبدأ حدودها اعتباراً من عقبة « شعار » وبلاد بني مالك عسير إلى أن تتصل بقبيلة بالأحمر . وتقسم القبيلة إلى الأقسام الصغيرة الآتية :

(١) المنجب	(٦) أهل لعبان	(١١) آل محمد
(٢) بنو ثعلبة	(٧) نازلة	(١٢) الغار بين
(٣) آل الأصلح	(٨) أهل هبح	(١٣) آل مخلد
(٤) آل القاسم	(٩) آل عزّام	(١٤) آل العلوى (امعلوى)
(٥) آل الزيان	(١٠) أهل بهلوان	

ويتبعهم في تهامة فريق يسكن قرية « فرشاط » الواقعة في آخر ما يمتدّ إليه بصر الواقف في أعلى عقبة شعار إلى جهة مجرى الوادى على طريق « محائل » .

وتسكن القبيلة قرى شبيهة بقرى عسير وعددها ٣٠ قرية ، عدا قرية « فرشاط »

في تهامة ، وهى :

(١) عبل	(١١) آل مبارك	(٢١) آل عزّة
(٢) آل الضلع	(١٢) أهل الطويب	(٢٢) آل الصدامى
(٣) آل الزيان	(١٣) صبح	(٢٣) آل العلوى
(٤) مسفرة	(١٤) آل عامر	(٢٤) الزبيّة
(٥) بنى ثعلبة	(١٥) آل رشيد	(٢٥) عبالة
(٦) آل عصاة	(١٦) قرابنة	(٢٦) آل مُورِق
(٧) الهبشة	(١٧) آل رافع	(٢٧) آل حسين
(٨) الخللة	(١٨) جذام	(٢٨) آل عمر
(٩) أهل عباهم	(١٩) بيحان	(٢٩) المادين
(١٠) آل مخلد	(٢٠) آل كامل	(٣٠) آل الشاعر

ثانياً — قبيلة بالأسمر : كبير هذه القبيلة عبد الله بن علي بن جرمان ، وديرتها إلى الشمال من ديرة بالأحمر ، وفيها الأقسام الآتية :

- | | | |
|-------------|---------------|---------------|
| (١) ذبوب | (٤) بنو قاعد | (٧) آل عياء |
| (٢) آل خريم | (٥) أهل حوران | (٨) بنو جنادة |
| (٣) سدوان | (٦) أهل الفيح | |

وأما قرى هذه القبيلة فهي :

- | | | |
|--------------|----------------------|------------------|
| (١) بنو مالك | (٣) القواعد | (٥) أهل الفاحتية |
| (٢) أهل حزم | (٤) آل الطير (امطير) | (٦) أهل الشبين |

وفي تهامة فروع كثيرة تتبع « بالأسمر » ، وبعضهم يحسب أهل « فرشاط » منهم ، غير أنها في الواقع تابعة لقبيلة بالأحمر . أما الذين في تهامة من بالأسمر فهم :

- | | | |
|---------------|-----------------|-----------------|
| (١) آل حماد | (١٤) آل خالد | (٢٦) القرعة |
| (٢) السوق | (١٥) آل غماد | (٢٧) آل معلم |
| (٣) ذوبوب | (١٦) آل أم عقيف | (٢٨) آل ليم |
| (٤) غاشرة | (١٧) شغب | (٢٩) آل مداد |
| (٥) وعلام | (١٨) مضوعى | (٣٠) آل المعتلى |
| (٦) آل عمير | (١٩) أم قشيع | (٣١) ششة |
| (٧) عطيفة | (٢٠) الجزعة | (٣٢) عتمة |
| (٨) الحظيرة | (٢١) العطفة | (٣٣) محرز |
| (٩) آل رزق | (٢٢) رحبى | (٣٤) آل مسهل |
| (١٠) القرى | (٢٣) الفرسة | (٣٥) أسود |
| (١١) آل مطرق | (٢٤) عينين | (٣٦) ريدان |
| (١٢) محور | (٢٥) البطين | (٣٧) ماراد |
| (١٣) أبو خشرة | | |

ثالثاً - قبيلة بني عمرو : تقع ديار هذه القبيلة إلى الشرق من ديار بالأحمر
وبالأسمر .

٤ - قبيلة بني شهر

قبيلة بني شهر من أهم القبائل العربية على السراة ، ويحدّها من الشمال :
غامد وزهران وبالقرن ، ومن الجنوب : رجال الحجر ، ومن الشرق : بيشة وشهران ،
ومن الغرب : قبائل القنفذة . وكانت بلاد هذه القبيلة أيام الحكومة العثمانية
« قضاء » فيه قائم مقام مركزه بلدة « النَّحَّاص » أكبر قرى القبيلة . وكانت القبيلة
وقتاً ما تابعة للسيد محمد على الإدريسي ، غير أنها كانت أقرب إلى مكة منها إلى
صبيا أو أبها ، وذلك بسبب أواصر النسب بينها وبين الأشراف في مكة ، ومنذ قيام
الحكومة الحاضرة أتبعت لإمارة عسير ، أسوة بالقبائل السابق ذكرها فيما مرّ من
الكتاب ، وبالقبائل التي سنذكرها في النبذة الآتية .

وقد اختلف في تقسيم القبيلة وتفرعها ، فبعضهم يعتبرها أربعة أقسام والبعض
الآخر يعتبرها قسمين ، إذ أن الإدريسي - حينما كان حاكماً - قسم بني شهر
إلى قسمين :

١ - سلامان ، ويتبع العسبيلي .

٢ - بنو أثلة ، ويتبع الشيبلي .

ولكنه لم يتبع طريقة معينة في إدخال الفروع في هذين الأصلين ، ولم يتبع
التسلسل بالميلاد ، بل كان تقسيمه على حسب اجتهاده . وقد ألغى هذا الترتيب
الآن ، وعادت التقسيمات إلى ما كانت عليه من قبل تبعاً للنعنعات التي ورثتها القبيلة
والتي تقضى بقسمتها إلى الأقسام الموضحة فيما يلي :

أولاً : بطن شهرة الأمين أو الكلازمة : وتتبعه الأخاذ الآتية :

(٣) بنو جبير

(٤) آل ابن ريتاع

(١) بنو بكر

(٢) بنو قشير

ولهذا البطن أتباع في تهامة هم : فخذ عَبَس ، وفيه من العشار :

- | | |
|-------|-----------|
| (١) | أهل الحيد |
| (٢) | آل عبيد |
| (٣) | الحصنة |
| (٤) | آل عمَّار |

ثانياً : بطن العوامر ، وتتبعه الأخذ الآتية :

- | | | | | | |
|-------|-----------|-------|---------|-------|---------|
| (١) | بنو مشهور | (٤) | آل سودة | (٧) | كنانة |
| (٢) | بالحصين | (٥) | مليح | (٨) | بنو لام |
| (٣) | آل بهيش | (٦) | دحيم | | |

وأتباع العوامر في تهامة هم : أهل أترب ، وصيون وأقسامهم :

- | | | | | | |
|-------|---------|-------|-----------|-------|--------|
| (١) | آل يحمد | (٣) | آل محجوبة | (٥) | العصمة |
| (٢) | آل يعلى | (٤) | آل محباشي | | |

ثالثاً : بطن بالحارث أهل الشعفين ، أو أهل وادي تنومة ، وفيه الأقسام الآتية :

- | | | | | | |
|-------|-----------|-------|----------|-------|-----------|
| (١) | أهل تنومة | (٣) | حبيهة | (٥) | آل الصعدي |
| (٢) | آل دحمان | (٤) | الجهاضمة | (٦) | الحصون |

ولهذا البطن في تهامة أتباع في نَعَص والمنظر وَبِجْرَة ؛ وأكثرهم من البدو الرُّحَل

رابعاً : بطن بني التيم ، وفيه الأقسام الآتية :

- | | | | |
|-------|---------|-------|----------|
| (١) | آل وليد | (٣) | آل زيدان |
| (٢) | آل ليلح | (٤) | خشرم |

وأتباعهم في تهامة :

- | | | | |
|-------|----------|-------|-----------|
| (١) | بنو حسين | (٥) | بنو مخلد |
| (٢) | بالمجدع | (٦) | آل شغيب |
| (٣) | بنو زهير | (٧) | آل حميت |
| (٤) | المجاردة | (٨) | آل الأملح |

وللقبيلة فريقان آخران يتبعانها هما :

١ — شهر الشام . وفيه ثلاثة أقسام :

(١) بنو ثابت ، وقريتهم السروة

(٢) بنو الأوس

(٣) أهل القبيل

ب — قبيلة تربان : وهم بدو رحّل مازالوا على الفطرة يسكنون المغاور والكهوف

وحالتهم الاجتماعية في غاية الانحطاط .

ولقبيلة بني شهر أسواق أسبوعية شهيرة ، نذكر أهمها فيما يلي :

١ — سوق تنومة في قرية آل صفوان

٢ — سوق عبس « الأحد

٣ — سوق المجازة « الاثنين

٤ — سوق النماص في قرية العسابلة « يوم الثلاثاء

٥ — سوق شهرة الأمين في السرو « الأربعاء

٦ — سوق بني التيم في قرية الخضرة « الخميس

٧ — سوق أترب « الجمعة

أما قرى القبيلة فتزيد على المائة ، مما يدل على غناها وأهميتها ، وهي :

(١) التمامي (٢) منعا (٣) المركبة (٤) آل ثابت

(٥) السنظوف (٦) شعبية (٧) المتن (٨) النصاب

(٩) روق (١٠) الحفير (١١) الصمدة (١٢) سدومة

(١٣) خصيري (١٤) الوهدة (١٥) الحلقة (١٦) بيضان

(١٧) آل عمر (١٨) آل حفص (١٩) ربع هزاع (٢٠) الوطا

(٢١) ماولد على (٢٢) السوق (٢٣) المهدي (٢٤) الصبيات

(٢٥) الفنان (٢٦) التيس (٢٧) القرعة (٢٨) آل مجمل

(٢٩) الفضول	(٣٠) حَبِّي	(٣١) القلت	(٣٢) مجابوب
(٣٣) البزوة	(٣٤) آل ايدى	(٣٥) العماسية	(٣٦) محذل
(٣٧) العامسة	(٣٨) آل سعد	(٣٩) العرف	(٤٠) آل حسين
(٤١) اللهبة	(٤٢) الميغى	(٤٣) معمع	(٤٤) آل صفوان
(٤٥) زينب	(٤٦) البردة	(٤٧) مليح	(٤٨) آل مرحب
(٤٩) الحدب	(٥٠) العلا	(٥١) آل سلام	(٥٢) منعا المجدل
(٥٣) الطرف	(٥٤) شَرِي	(٥٥) آل حشاة	(٥٦) آل يسار
(٥٧) رزيق	(٥٨) الحلاة	(٥٩) جرادة	(٦٠) آل ذخران
(٦١) الشهوم	(٦٢) صعبيان	(٦٣) عصيين	(٦٤) آل معافى
(٦٥) الأحض	(٦٦) صخيف	(٦٧) قويس	(٦٨) آل مروح
(٦٩) آل عريف	(٧٠) الشرف	(٧١) الدحمان	(٧٢) العوصا
(٧٣) جار	(٧٤) علبة	(٧٥) فيلثة	(٧٦) الدهنا
(٧٧) آل بهيش	(٧٨) القرية	(٧٩) الفذال	(٨٠) الخربة
(٨١) منزل العشر	(٨٢) أهل عرعره	(٨٣) الحصون	(٨٤) عطية
(٨٥) مرزوق	(٨٦) آل رحمة	(٨٧) آل ناشر	(٨٨) آل عقيقة
(٨٩) المدانة	(٩٠) العرق	(٩١) مسلة	(٩٢) آل قحطان
(٩٣) خصر	(٩٤) مجيرة	(٩٥) آل طوير	(٩٦) الشبرقة
(٩٧) قبيس	(٩٨) الحلقة	(٩٩) الحباوة	(١٠٠) القيم
(١٠١) أريامة	(١٠٢) لجج	(١٠٣) خشرم	

٥ - قضاء محائل

قضاء محائل من توابع إمارة عسير، وهو على طريق المسافر من أهبها إلى القنفذة،

وفيه من القبائل خمس هي :

١ — قبيلة الرِّيش : ولها من القرى :

(١) أم شعطار (٤) الجماطة (٦) أم كدس

(٢) شععين (٥) قرن الماء (٧) أم حضن

(٣) معشى أم حُضو

ب — قبيلة آل مشول : ويحسبها بعضهم من الرِّيش . وفضلنا أفرادها

بالبحث ، ولها من القرى :

(١) حصن أم حَيَالَة (٢) أم ظاهر (٣) المائخ

ج — قبيلة آل الدريب : وقراها :

(١) شرقش (٢) مصبح (٣) الراحة (٤) العين أو أمعين

د — قبيلة آل موسى : وقراها :

(١) بلدة محائل (٥) آل عمر (٨) الثبجة

(٢) المعشى (٦) آل عيسى (٩) أم صحف

(٣) أم نصب (٧) مقهب (١٠) محصن

(٤) أم جريان

ه — قبيلة بني ثوعَة : وقراها :

(١) أم بطح (٥) قرين (٨) أهل سامة

(٢) آل غنية (٦) أهل البدلة (٩) أهل العيدة أو أمعيدة

(٣) آل مشيدة (٧) حسن بن شاطبة (١٠) آل قبيس

(٤) الشط أو أمشط

القسم الثالث

نخبيران

فصل في معرفة...

في معرفة...

شال المقتا

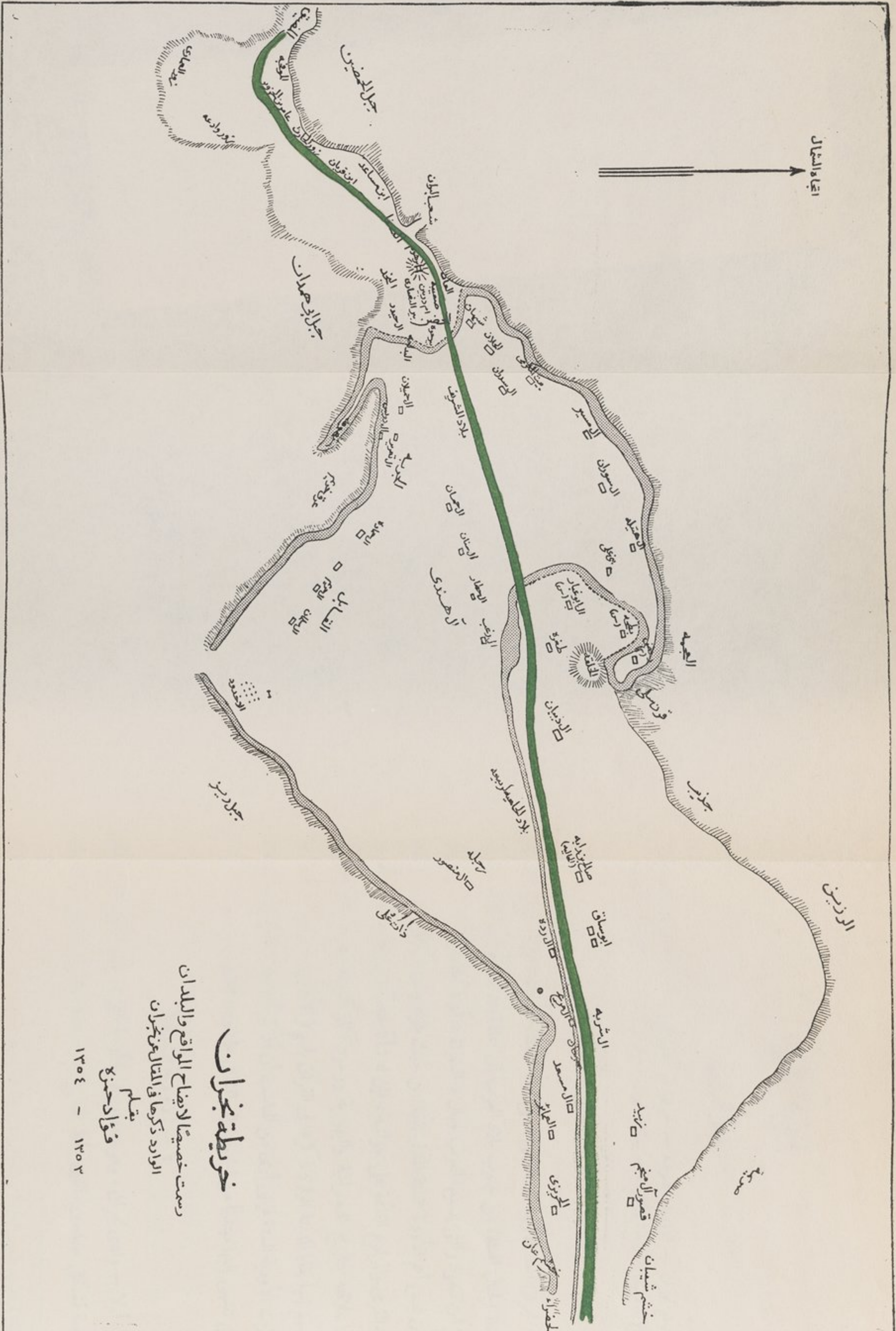
فصل في معرفة...

فالمش...

فصل في معرفة...

فصل في معرفة...

AMERICAN ORIENTAL SOCIETY



اتجاه الشمال

الرزينين

صوتية

خشم شيبان
قصور آل عبيد
بن زيد

لحفاة
الحزبي
مسجد
الشرية
إسماعيل
صالح بن زياره
بلد الحامير بديده

جبله
المنصور

ذات علي

جبل ريز

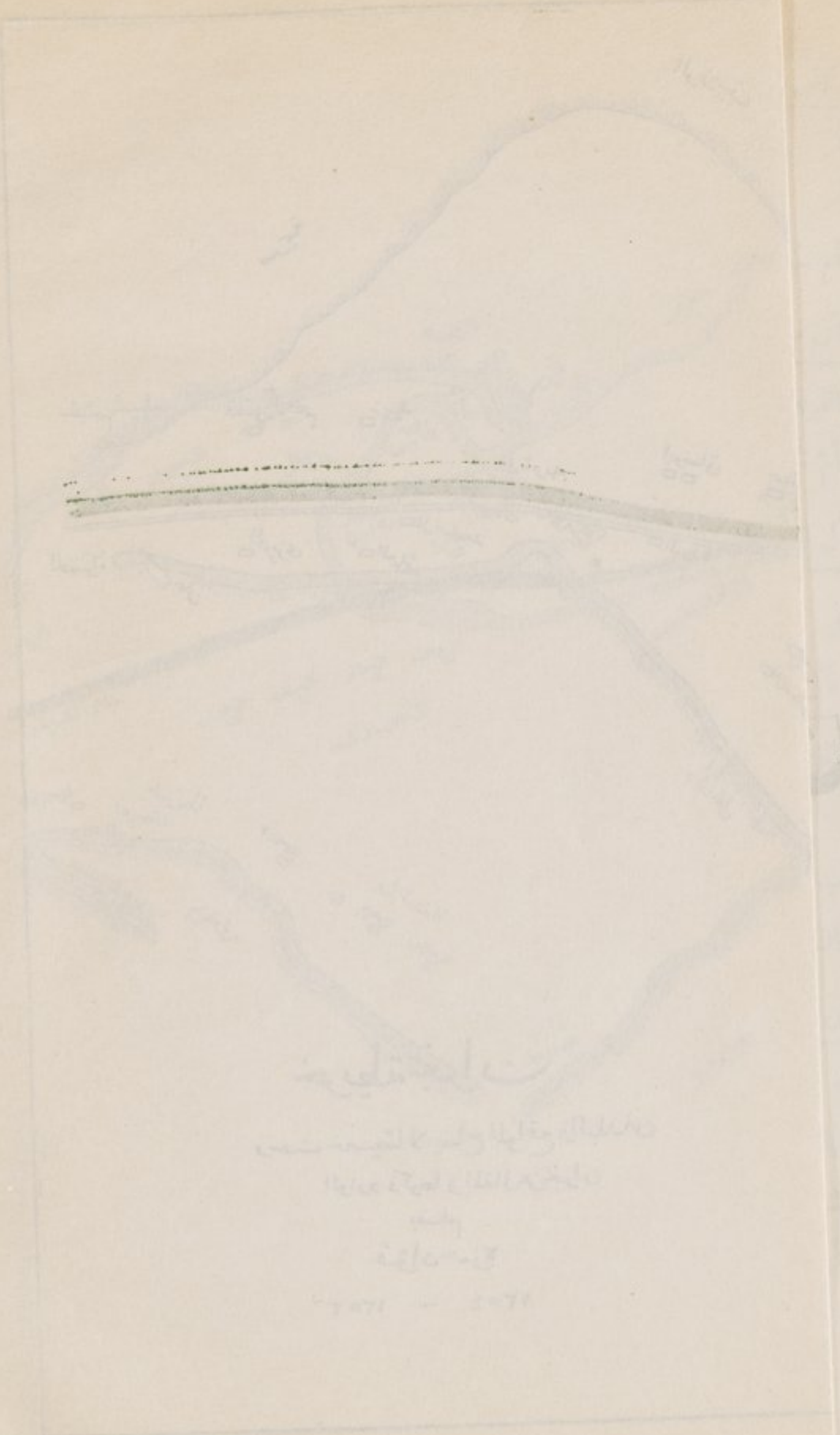
الاسمانه
التسابيل
الاسمانه
عرقه

المنصور
المنصور
المنصور

المنصور
المنصور

جبل بصره
جبل الخضرين

المنصور
المنصور



جبل القديس
 جبل القديس والقدس
 جبل القديس والقدس
 جبل القديس
 ١٩٧١ - ١٩٧١

(1)
 (2)
 (3)
 (4)
 (5)
 (6)
 (7)
 (8)
 (9)
 (10)

الفصل الأول

نجران

موقع نجران — الأودية الشرقية — نجران في كتب العرب — النصرانية واليهودية
الإسماعيلية — زعامة المكارمة — سكان نجران — قبائل اليامية — قبائل اليمن المشهورة

١ — موقع « نجران »

نجران أحد الأودية الستة التي تصفى مياه الأمطار المتحدرة من السفوح الشرقية لسلسلة الجبال الممتدة من جنوب بلاد العرب إلى شمالها بعد دخولها في البلاد المشمولة بحكم ابن سعود والتي يسميها العرب جبال « السراة » أو « الحجاز^(١) ». ومع أن نجران ليس أهم الأودية الستة المشار إليها من حيث طولها والروافد التي تصب مياهها فيه والقرى والمزارع القائمة على جوانبه ، فإن له شأنًا خاصًا من جهات كثيرة أخرى أهمها علاقته بتاريخ النصرانية واليهودية ووجود آثار كنيسة ومبانٍ قديمة يقول بعضهم إنها بقايا المدينة الوارد ذكرها في القرآن باسم (الأخدود) . ولما كنت قد ذكرت الأودية الستة فإنني أرى من المناسب أن أذكر أسماءها والبلاد التي تنبع منها والتي تنتهي إليها مبتدئًا من الجنوب إلى الشمال على وجه الترتيب .

٢ — الأودية الشرقية

أولاً — وادي نجران ، وهو منفصل عن الأودية التي في بلاد الأمام يحيى بجبال مرتفعة تشكل سطحين مائلين لخط تقسيم المياه ، سطح جنوبي تصفى مياهه إلى

(١) بعضهم يسمي السلسلة ساق الغراب ، وهم بالأحرى يسمون السلسلة الغربية ساق الغراب والسلسلة الشرقية لها أسماء أخرى .

وادي الفرع وأصوح اللذين ينتهيان في بلاد الجوف في اليمن ، و سطح شمالي تتصفي مياهه إلى وادي نجران ، إلا أن أكثر مياه الوادي تأتيه من جهة الغرب لا من جهة الجنوب . ومياه الأمطار التي تأتي إلى وادي نجران من جهة الغرب تتجمع من السيول والرواقد الكثيرة القادمة من بلاد قبيلة سحار وبعض قبيلة بني جماعة (وكلتاها ترجع في أصولها إلى قبيلة خولان بن عامر) ، وأما مجرى الوادي نفسه وأطرافه ومنتهاه فإنه ملك لأحد فروع قبيلة همدان بن زيد المعروفة باليامية .

ثانياً — وادي حبونة (ويسميه جغرافيو العرب المتقدمون حبونن) ويقع إلى الشمال من نجران ، وتفصله عنه هضاب شتى أكثرها مرتفع وفي أعاليها منبسطة اسمه الصحن . والواديان يسيران متوازيين تقريباً ، وبعد أحدهما عن الآخر في غالب تقاطعهما مسافة يوم للجمال المحملة ، ومصبهما عند رمال المهمل أي الربع الخالي يبعد هذه المسافة أيضاً . ووادي حبونة أقل أهمية من نجران وأقل عمراناً وقرى بالرغم من أن هنالك أودية مشهورة تصب فيه ، منها أودية بدر والخانق وهدادة والحرف . وهو يصفى المياه التي تنحدر إلى جهة الشرق من القسم الشمالي من بلاد بني جماعة اليمانيين كما أنه يصفى بلاد وادعة من همدان والقسم الجنوبي من بلاد قبيلة قحطان . ويمكن ذكر ستة أودية مهمة في بلاد بني جماعة ووادعة وقحطان يصح اعتبارها أساساً لوادي حبونة وهي (١) وادي الحاجر ويصب في هدادة (٢) وادي قنم ويمر ما بين عقبتى الشطبة وعلب اللتين هما نقطة الحدود بين بلاد ابن سعود والإمام يحيى الفاصلة بين حدود بني جماعة وسحار الشام وحدود وادعة (٣) وادي العرين ويمر في قرى كثيرة منها طهران والمجزعة (٤) وادي العيل وينتهي إلى حبونة بعد أن يمر في وادي القرن (٥) وادي طلحة (٦) وادي رشاد

ثالثاً — وادي تثليث ، وهو يصفى الأمطار التي تتجه إلى جهة الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان ، كما أنه منتهى عدة أودية مهمة تصفى قسماً من بلاد قبيلة شهران صاحبة الوادي الرابع الذي سنذكره فيما يلي ، وهذا الوادي أطول من الواديين

المتقدمين وأكثر اعوجاجاً منهما ، وهو في اتجاهه مختلف عنهما نوعاً لأنه منحرف إلى الشمال الشرقى . والأودية التي تصب فيه كثيرة نذكر أهمها وهي : (١) الجمع (٢) جناب (٣) سروم (٤) راحة سنحان (٥) راحة شريف (٦) وادى الحرجة (٧) وادى محلاة (٨) وادى يعوص (٩) وادى الوفيرة (١٠) طريب (١١) الهيج (١٢) وادى المسيرق وهو يتألف من ثلاثة أودية كبيرة في بلاد شهران : وادى الشيق ووادى السليل ووادى خيبر ، وتتجه إلى وادى ثفن ثم تصب في تثليث (١٣) وادى القاعة . وينتهي وادى تثليث عند الرمال المعروفة باسم الختمية بقرب وادى الدواسر . وقد فاض تثليث عام ١٩١٧ وكسر السد الرملى وطغى على وادى الدواسر فأغرق قرى كثيرة وسبب خسائر عظيمة في الأرواح والأموال . ويمكن القول بأن مجرى الوادى وأطرافه ملك لفروع قبيلة قحطان ما عدا المسيرق والقاعة فإنهما لشهران .

رابعاً — وادى بيشة وهو أطول الأودية الستة وأهمها ، ولذلك يقسمونه إلى ثلاثة أقسام يسمونها بيشة ابن سالم من قحطان وبيشة ابن مشيط وبيشة النخل . وهو يصفي مياه الأمطار التي تتجه إلى الشرق والشمال من ديار بطنى رفيدة وعبيدة من قبائل قحطان وديار قبيلة عشير كلها وديار شهران عدا ما يصب في تثليث من المسيرق والقاعة وديار بالأحمر وبالأحمر وبنى شهر كلها . أما الأودية الكبيرة التي تصب فيه فإننا نذكرها على وجه الاختصار لأن ذكرها كلها يستغرق من التفصيل ما لا يسمح المجال بذكره هنا : (١) وادى تندحة (٢) وادى أبها الذى يكون اسمه فى علوه حيث ينبع عند السقا مركز بنى مغيد من عسير « خيبي » (٣) وادى عتود (٤) وادى الحجر (٥) وادى هرجاب (٦) وادى ترج (٧) وادى تبالة (٨) بطنة الحبيب . ومن المهم أن نذكر أن وادى بيشة ينبع فى علوه من بلاد عبيدة ورفيدة من قحطان عند مكان فيه آثار قديمة لبلدة خربة كانت مشهورة فى الكتب العربية باسم « جرش » . وبعد أن يمر فى بلاد ابن مشيط يجتمع به وادى تندحة قادمًا

من ضفته اليمنى ووادي عتود وأبها من جهة الغرب ووادي الحمرة الذي هو إلى الغرب والشمال من وادي أبها إلى أن يلتقي عند بلاد ابن هشبل فيصبح اسم الوادي اعتباراً من هذا المكان وادي شهران ، ثم يظل هذا الاسم عليه إلى أن يصل إلى مزارع تسمى واعر ، وهي تعتبر أول وادي يبشة الذي هو الأصل فيما يطلق عليه «وادي يبشة» وهي تبعد عن الروشن مركز يبشة أكثر من يومين للجمال الحملة . ويمتد الوادي بعد قرى يبشة التي آخرها الخينة إلى أن يصل إلى منطقة الرمال فيغور فيها في الرمل المسمى رغوة عند مكان اسمه ظاعن .

خامساً — وادي رنية ، ومنبعه الأصلي في بلاد غامد الواقعة إلى الشمال من بلاد بني شهر من موضع اسمه ثراد ، وبعد أن يصفى ديار قبيلة غامد وبعض زهران وبالحرث وبني عمرو يبدأ العمران فيه عند نخيل اسمه الأملح ، بعد أن يسقى القرى الكثيرة الموجودة على أطرافه والتي آخرها من جهة مصبه بلدة العماير إلى أن يصل إلى رغوة وينتهي عند هجلة المستحتمية . ويصب في هذا الوادي أودية فرعية كثيرة أهمها : (١) غتران (٢) الهجرة (٣) قرّة .

سادساً — وادي تربة وأصل منبعه في علوه في ديرة زهران وبني مالك ، ولكن أكثر مياهه تأتي من ديرة البقوم في حوض وأطرافه من حرة سبيع الواقعة إلى الشرق والجنوب من الخربة ، وينتهي الوادي في عرق سبيع الرملية عند القنصلية والعرق يبعد مسيرة مرحلة للمطية عن الخربة ، ويفصل وادي تربة عن وادي رنية حزة سبيع المشهورة . ويصب في وادي تربة عدة أودية أهمها : (١) الهجرة (٢) المبايع (٣) سعدانات (٤) الجوفا (٥) الحرملية (٦) الشضو (٧) الجنيينة (٨) الظليم ومغيد والسدرى .

٣ — «نجران» في كتب العرب

ورد ذكر نجران في كثير من الكتب العربية ، غير أنه يتراءى لي أن الذين كتبوا عنها في الأعصر القديمة إنما كتبوا ماسمعهو كما فعل المتأخرون والفرق بين كتابة

السامع والمشاهد عظيم ، وأكثر المؤلفين من العرب يذكرون أن نجران مخلاف من مخاليف اليمن وأنه يقع بين صنعاء واليمامة (نجد) ويذكر بعضهم أن اسمه مشتق من اسم أحد حفدة يعرب بن يشجب ، ويغلب على الظن أنهم كانوا يشيرون إلى نجران كأنه علم لمدينة كبيرة لأنهم يذكرون أن نجران وجرش مدينتان هما دون صعدة إلى جهة مكة وأنهما متشابهتان (ذكرت عن جرش أنها خربة وقد بقيت منها أطلال دارسة في علو وادي ببشة) . وقد ذكر اسم إحدى قرى نجران المسماة بالأخدود في القرآن الكريم في سورة البروج ، وورد الاسم أيضاً في السيرة النبوية بمناسبة وفود أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في الإسلام قبيل وفاته . وورد ذكر أهل نجران بمناسبة أخرى أيضاً وهي حديث النبي عن مشاهدته لقس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب المشهور وقد كان قس أسقفاً لنجران قبل الهجرة . وقد كشف جوزف هاليفي المستشرق الفرنسي مساند كثيرة نقشت على جدران القصور القديمة ونشرت في مجموعة النقوش السامية ، وأصبحت هذه المساند الحميرية مصدراً مهماً لتاريخ نجران .

٤ - النصرانية واليهودية في « نجران »

يذكر مؤرخو العرب ما استفاد منه أن النصرانية سبقت اليهودية إلى نجران وأن محاولة أحد ملوك اليمن الحميريين الذين هادوا أن يرغم نصارى نجران على اعتناق اليهودية أدت إلى تدخل قياصرة الروم بواسطة الحبشة ، وإلى فتح اليمن من قبل الأحباش كما هو مشهور في الكتب العربية . وقد نلخص السير ولیم مویر في كتابه « حياة محمد » أقوال مؤرخي العرب في ذلك ، ونقل الدكتور هيوز في كتابه « قاموس الإسلام » ما هذه خلاصته :

كان ذونواس الحميري في أحد أسفاره إلى المدينة اعتنق الديانة اليهودية ، وحينما عاد إلى اليمن حاول نشرها فيه أيضاً . فلقى مقاومة عنيفة من أهل نجران الذين كانوا يدينون بالنصرانية ، فجهز عليهم جيشاً كبيراً وهدم كنيستهم وقتل كثيراً منهم ، وكان يحفر لهم حفراً يغرقهم فيها ، ومعنى الحفرة الأخدود وهو المقصود بالآية الكريمة الواردة

في سورة البروج : « قتل أصحاب الأخدود الخ . . » وكان من أثر ذلك أن استنجد نصارى نجران بالقسطنطينية التي كانت حامية للدين المسيحي ، فعهدت هذه إلى ملك الحبشة بنصرة نصارى نجران ، وكان ما كان من استيلاء الأحباش على اليمن (عام ٥٢٥ م) ونصر النصرانية فيه وشروعهم في مهاجمة الحجاز لهدم الكعبة المسكية وإقامة كعبة أخرى مكانها في صنعاء يسميها العرب (القليس) وربما كانت محرفة عن كلمة أخرى .

ومن المعلوم أن النبي ولد في العام الذي غزا الأحباش مكة فيه . ولم يدم ملك الأحباش في اليمن ، كما أن النصرانية ظلت في نجران إلى ظهور الإسلام ، وظل في اليمن كثيرون من اليهود ومن العرب الذين دانوا باليهودية إلى يومنا هذا . وحينما انتشر الإسلام أوفد أهل نجران أساقفتهم ورؤساءهم إلى النبي وصالحوه على أن يظلوا على نصرانيتهم ويؤدوا الجزية ، ولكن حينما قرر الخليفة عمر ألا يبقى في جزيرة العرب دين آخر مع الإسلام صدر الأمر بإخراج من بصر منهم على النصرانية ، وعض على من خرج مالا مقابل أملاكه .

٥ - الإسماعيلية في « نجران »

يتمذهب أهل نجران كما يتمذهب سائر أبناء عمومتهم وإخوانهم من قبيلة يام بالمذهب الإسماعيلي ، وهو مذهب إحدى الفرق الشيعية الباطنية في الإسلام ، وأتباعه يعتبرون أئمة سبعة من أهل البيت آخرهم محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويختلفون عن الاثني عشرية بأن هؤلاء يقولون بإمامة اثني عشر إماما آخرهم محمد الحسن العسكري ، ولا يعترفون لمحمد بن إسماعيل ؛ بل يتبعون موسى الكاظم . والإسماعيلية بأنفسهم منقسمون إلى عدة فرق أهمها :

١ - فرقة الخواجية التي يترأسها آغا خان .

٢ - فرقة الداودية التي يترأسها طاهر سيف الدين من بومباي .

٣ — فرقة السلمانية التي يترأسها الداعي المكرمي الذي له منصب في الهند في بدر باغ وهو غلام حسين أرهندي .
أما كيفية دخول الإسماعيلية بين أهل نجران وسائر يام فما لاستطيع الجزم به ولا تحديد وقت معين لحصوله ، إلا أن الذي يترأى لى أن طبيعة اليامية جعلتهم يميلون إلى مخالفة جيرانهم من القبائل في العقائد الدينية وفي العادات الاجتماعية ، ومع أن اليامية بطن مهم من بطون همدان بن زيد فإنهم يختلفون عن مجاورهم بأنهم عرفوا بمزيتين : الأولى اختلاف المذهب ، والثانية كونهم من أشد القبائل شكيمة وقت الحروب ومعتادين الغزو والغارات ، ولم تشتد دعوة الإسماعيلية في نجران وتصبح لرؤسائهم سيطرة مدنية وقوة عسكرية حكومية إلا منذ ثلاثة قرون ونصف قرن تقريباً حينما قدم إلى نجران الداعي الإسماعيلي المسمى محمد بن إسماعيل المكرمي فاراً من بلدة « طيبة » التي تبعد عن مدينة صنعاء مسافة بضع ساعات إلى جهة الجنوب^(١) .

٦ — زعامة المكارمة

كنت مخطئاً في ظني أن المكارمة من السادة العلويين إلى أن أتيتحت لى فرصة الاجتماع المتكرر مع نائب المنصوب عن الداعي والمسمى حسين بن أحمد ، فأعلمنى أن المكارمة قحطانيون ، وسرد لى سلسلة نسبه إلى يعرب (حسين بن أحمد بن حسن ابن حسين بن على بن حسين بن على بن حسين بن أحمد بن محمد ، وهذا أول من سكن بدر من المكارمة ، ابن الفهد بن صلاح بن داود التامر بن محمد بن عبد الله ابن عمر بن على بن صبيح بن حسان بن مكرم بن سبأ بن حمير الأصغر بن المنتهب ابن عمرو بن علاق ابن ذى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث بن حيدان بن قطر بن غريب بن زهير بن أيمن بن الهمسيع بن حمير الأكبر ابن يشجب بن يعرب بن قحطان) .

(١) ذكر لى المكرمي أن بلدة طيبة كانت تسمى في الزمان القديم دورم .

وسرد على المكرمي حادثة قدوم محمد بن إسماعيل إلى نجران ، ثم كتب إلى خلاصة وافية نقلها عن كتاب جامع لتاريخ أئمة الإسماعيليين ودعاتهم وأعمالهم في مدة الدعوة ، ولكنه رفض أن يطلعني على أصل التاريخ الذي عنده مع أنه قديم ويتناقله الدعاة خلفاً عن سلف . وفهمت أن سبب امتناعه عن اطلاعي عليه يعود إلى أن مافيه عائد لشئون باطنية محضة ، وقاعدة أهل الباطن في الإسلام المحافظة على أسرار معتقداتهم وعدم إطلاع الأجانب عنهم عليها .

كان المكارمة مقيمين في « طيبة » ولكن الدعوة لم تنقل إليهم إلا متأخرة ، فقد قرأت فيما كتبه إلى المكرمي أسماء أربعة دعاة من الهنود قاموا بأمر الدعوة في الهند وطيبة من عام ٩٧٤ إلى ١٠٨٨ هجرية وهم : داود بن عجب الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداوودية عن العلمانية وسليمان بن حسن هندي وجعفر بن سليمان وعلى بن سليمان ، وحين وفاة هذا أوصى بالأمر لشخص اسمه إبراهيم بن محمد بن الفهد (راجع سلسلة النسب) ابن صلاح المكرمي فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة ٤٤ سنة وحين وفاته عهد بها إلى حفيده محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، فحصل بينه وبين الزيود حرب غلب فيها فهرب إلى القنفذة ومنها دعاه إسماعيل بن نجران ليكون بينهم ، فحضر إلى بلاد نجران ، وسكن في بلدة بناها وأسمها الجمعة ، ولكنها الآن خراب .

ومع أن المكارمة غرباء عن نجران وليس لهم سلطة زمنية (لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن اليامية مؤلفة من ثلاثة فروع لكل فرع رئيس زمني قوى) فإنهم نجحوا في أعمالهم وأصبحوا أصحاب الشأن في الأمور الدينية والزمنية وامتدت فتوحاتهم إلى الأطراف المجاورة ، ووصل بعضهم إلى تريم في حضرموت ، وبعضهم إلى أواسط نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل مغمر .

أما الذين تعاقبوا من دعاة المكارمة في نجران فهم :

(١) محمد بن إسماعيل توفي سنة ١١٢٩ هـ

(٢) هبة بن إبراهيم توفي سنة ١١٦٠ هـ

- (٣) إسماعيل بن هبة توفى سنة ١١٧٤ هـ
- (٤) حسن بن هبة توفى سنة ١٢٤١ هـ
- (٥) عبد العلي بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم توفى سنة ١١٩٥ هـ
- (٦) عبد الله بن علي بن هبة توفى سنة ١٢٢٥ هـ
- (٧) يوسف بن علي بن هبة توفى سنة ١٢٣٤ هـ
- (٨) حسين بن حسين بن علي بن هبة توفى سنة ١٢٤١ هـ
- (٩) إسماعيل بن محمد بن حسن بن هبة توفى سنة ١٢٥٦ هـ
- (١٠) حسن بن محمد بن حسن بن هبة توفى سنة ١٢٦٢ هـ
- (١١) حسن بن إسماعيل، وهو من آل شام ومن غير المكارمة توفى سنة ١٢٨٩ هـ
- (١٢) أحمد بن إسماعيل بن محمد بن حسن بن هبة توفى سنة ١٣٠٦ هـ
- (١٣) عبد الله بن علي توفى سنة ١٣٢٣ هـ
- (١٤) علي بن هبة توفى سنة ١٣٣٠ هـ
- (١٥) علي محسن بن حسين آل شام توفى سنة ١٣٣٠ هـ

وهو الداعي إلى الآن ، وخليفته غلام حسين الهندي والمنسوب الآخر حسين ابن أحمد المكرمي . وجميع المكارمة الأحياء الموجودين في بدر ونجران وشهارة في اليمن أربعة أئمة ، ويجمعون في جد أعلى اسمه محمد بن الفهد المارّ ذكره في سلسلة النسب ، وحسين بن أحمد المكرمي الخليفة المقبل يقول إن فخذ اسمه آل ذي الجدين دليلاً على أنه مكرمي أباً وأماً .

٧ - سكان « نجران »

يقطن نجران فرع من فروع قبيلة همدان بن زيد القحطانية ، كما أنه يوجد فيه عدد قليل من الذميين (اليهود) بعضهم من أصل يهودي والبعض الآخر من العرب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية ، ويوجد فريق ثالث من السكان يحسب من الطبقات المنحطة التي لا يحترمها العرب ، ومكانة هذا الفريق أعلى من مكانة اليهود

وأحط من مقام القبائليين . أما اليهود فإننى قد علمت بعد البحث الدقيق بواسطة زعماء المكارمة واليامية أنهم لا يزيدون عن مائة عائلة منتشرة في قرى وادى نجران وحبونة وعملهم فى الصنائع التى يحسب العرب القبائليون أنها حِطّة فى قدرهم ؛ مثل الخرازة وسائر أشغال الجلود والحِداّدة والسمكرة وسائر الأعمال الصناعية . ولليهود كاهن يقيم فى الخلاف يسميه الأهالى « الدّباح » وهم يسبتون يوم السبت ويجمعون غالباً فى بيت الكاهن ويقرون بالعبرانية . واليهود متمتعون بحماية زعماء اليامية الثلاثة وحماية المكارمة أيضاً ، ويظهر أنهم مسرورون من معيشتهم ، وهم يؤدون الجزية سنة فسنة ، ويبلغ مقدارها ريالاً واحداً عن البالغ ذكراً أو أنثى . وذكر لى بعضهم أن أحد هؤلاء اليهود أغرى على السفر إلى فلسطين فأقام فيها مدة ، ثم عاد منها إلى قومه ، فسئل عن أسباب عودته ، فقال : « وجدت معاملة المسلمين والنصارى غير التى نعرفها عنهم فى بلادنا ، وغير ما نقرؤه فى كتبنا ، ووجدت اليهود غير اليهود الذين نعلمهم ، ففقت نفسى ، وعدت إلى قومى » .

٨ — قبائل اليامية

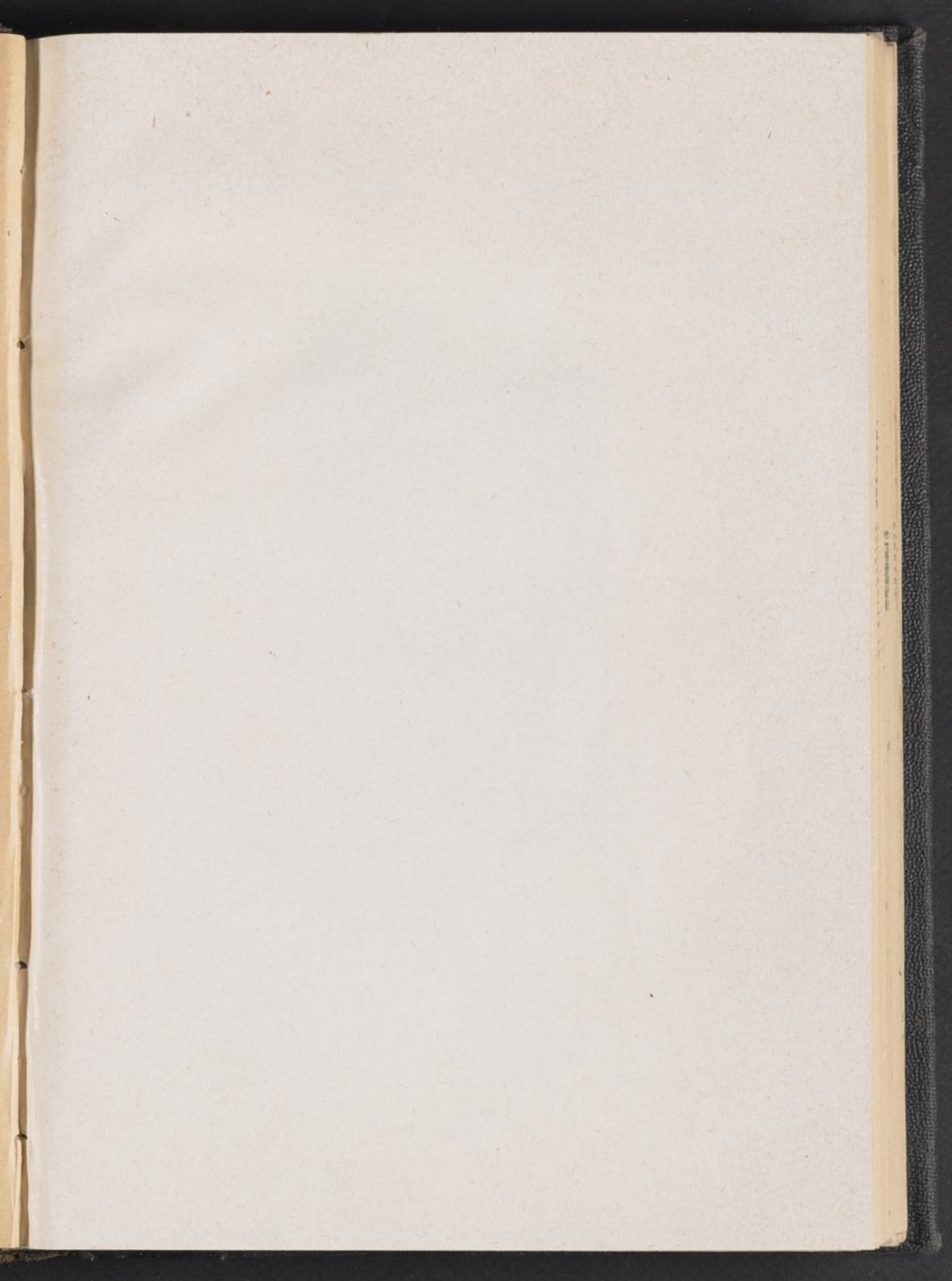
أما العرب القبائليون أو اليامية فإنهم ثلاثة بطون :

أولاً : بطن آل فاطمة — كبيرها جابر بن حسين أبو ساق :

(١) آل سالم	(٨) آل زمانان	(١٥) آل زابن بدو
(٢) آل شرية	(٩) آل القفيلي	» (١٦) آل معجبة
(٣) آل مسعد	(١٠) آل بشر	» (١٧) آل راکة
(٤) آل الحامض	(١١) القشانين	» (١٨) آل فطح
(٥) آل سليم	(١٢) الشركان فى هداة	» (١٩) آل رشيد
(٦) آل ذيبان	(١٣) المكاييل فى حبونة	» (٢٠) آل فهاد
(٧) الزبادين	(١٤) آل مخلص بدو	» (٢١) آل العرجاء



حسين بن أحمد المكرمى
المنسوب الذى يخلف « الداعى » « الإسماعيلى » فى حالة موته



(٢٢) آل سالم بدو، وحضرم في بدر وفي حبونة

» » » » » » آل فروان

» » » » » » آل سفران

(٢٥) آل لبيد بدو في بدر

(٢٦) آل عمرو بدو، وحضرم في بدر

(٢٧) آل معمر بدو

(٢٨) آل زائد حضر في حبونة

(٢٩) آل شرار حضر في نجران (يطلق عليهم آل أبو غبار) .

» » » » » » آل دكان حضر في نجران

» » » » » » آل معيط حضر في نجران

(٣٢) آل سعد حضر في حبونة

» » » » » » آل فائد

» » » » » » آل الخريث

» » » » » » آل الطويل

» » » » » » ابن قنة

(٣٧) ابن حامد حضر في نجران .

ثانياً : بطن آل أم واجد، كبيرها ابن نصيب آل المهري :

(١) وهم ثلاثة أقسام آل غانم وآل علي بن سعيد وآل حسن الحمد

وابن الحزوبر يسكنون نجران .

(٢) آل الحارث وفيهم آل بحري - آل الحارث في نجران - وآل بحري

في حبونة .

(٣) ابن الحزوبر (٤) آل عامر (٥) الدولان

- (٦) آل بنيان
(٧) العظازة
(٨) آل علي بن عامر
(٩) آل صليح بدو وحضرهم في حبونة
(١٠) الخضرا في حبونة
(١١) آل هميم في حبونة
(١٢) آل بحري
(١٣) آل عباس في نجران
(١٤) وادعة في نجران
(١٥) آل قريع بدو، وحضرهم في حبونة
(١٦) الهيسان » » »
(١٧) آل رزق » » »
(١٨) آل علي بن الأحسن في نجران وحبونة حضر

ثالثاً: بطن أدشم « أجشم » وكبيرها سلطان بن منيف :

- (١) آل مقاتل، ومنهم بنو منيف في نجران
(٢) آل حرث في نجران (٣) زبيد في نجران
(٤) آل أبوزيدة » » (٥) آل منصور » »
(٦) آل سليمان وفيهم آل بدر وآل مطيف والخمسان وآل كليب وآل مطارد
وآل خطاب وآل سنان وآل جريشة والدويس، في نجران
(٧) آل حسن، في نجران
(٨) ابن سليمان وهم وآل هتيلة بن علي آل مشرف وآل حابس وآل سوران
وآل حوران، في نجران
(٩) أبا الحارث في نجران (١٠) الصقور
(١١) آل جعفر في نجران، ويقال لهم آل جبير
(١٢) آل ربة في نجران (١٣) آل مصعب في نجران

(١٤) آل ربيع في نجران (١٥) الأشراف في نجران هجرة آل الهندي

(١٦) آل جعران في نجران في بدر

(١٧) آل الهندي ، وقد ورد ذكرهم بصفة متفرقة ، ولكنهم كما يأتي :

آل حسن وآل سليمان وبالخارث وآل منصور وآل مقاتل وآل حرث

وآل أبو زيدة وآل جبر الربعة والأشراف هجرة آل الهرفي وآل جبر .

ومن اليامية بدو يتبعون الأقسام السابقة ، وبعضهم ليس فيها :

أولا :

- (١) جماعة ذيب المهان (من آل فطيح)
- (٢) جماعة أبو نقايا « « «
- (٣) جماعة حسين بن سداح بن آل معجبة
- (٤) جماعة الخدرى من آل مطلق وآل مخلص
- (٥) جماعة منير الرشيد من آل زائد من الرشيد
- (٦) جماعة فلاح بن سمحة من آل عمرو
- (٧) جماعة إبراهيم الأسلومي من آل عامر بن نصيب
- (٨) عوض بن حايمية من آل فروان
- (٩) مفاشر آل سالم من آل سالم
- (١٠) صالح بن حمد آل لبيد من آل لبيد
- (١١) جابر بن دكام يتبع ابن نصيب

ثانيا : آل أم واجد وكبيرهم ابن نصيب وأكثرهم في حبوثة ولهم في نجران ثمانى

قرى سأذكرها فيما بعد .

ثالثا : أدشم أو أجشم وكبيرهم سلطان بن منيف ولهم في نجران ١١ قرية كبيرة

سنأتى على ذكرها حين إيراد أسماء القرى ومواقعها فيما يأتى .

٩ — قبائل اليمن المشهورة ونسبة اليامية إلى همدان بن زيد

علمت من الكثيرين من الثقات أن القبائل العربية التي تقطن جبال اليمن

الواقعة إلى الشمال من صنعاء حتى حدود بلاد ابن سعود ترجع أنسابها إلى أصلين كبيرين ويحدهما من شماليهما قبائل عربية سعودية تنحدر من أصل آخر سأذكره أيضاً . أما الأصلان فهما : أولاً همدان بن زيد ، والثاني : خولان بن عامر ، والأصل الذي يجاورهما من شماليهما هو قحطان بن عامر (وربما كان ابن عمرو) . أما قبيلة همدان بن زيد فإنها تنقسم إلى قسمين كبيرين (١) حاشد وهو أقربهما إلى صنعاء ، (٢) بكييل ، وتنقسم بكييل إلى عدة أقسام أذكرها فيما يلي :

أولاً — دهم ، وتتألف من فرقتين : ذوى محمد وذوى حسين ، وهما رأس بكييل .
ثانياً — سفيان أهل الحرف . ثالثاً — أرحب . رابعاً — وائلة وأهل الفرع .
خامساً — اليامية ، وهى أهل نجران وحبونة وآل مرة والعجمان فى نجد .
سادساً — وادعة التى تقيم فى بلاد ظهران .

وأما قبيلة خولان بن عامر فإنها تقيم فى السروات إلى جهات الغرب من أقسام وفروع بكييل . وخولان ثلاثة مراكز رئيسية فى الإدارة ، الأول : مركز رازح ، والثانى — مركز ساقين ، والثالث : مركز صعدة ،

وأما أهم أقسام خولان فإنها كما يأتى :

أولاً — قبيلة سحار ، وهى فى صعدة وأطرافها وفى بلاد الصعيد المجاور لصعدة وفيها قرية واحدة منفصلة عن بقية سحار بواسطة بنى جماعة وهى أقرب القرى اليمانية إلى حدود الملك ابن سعود واسمها (بيادة) قرية ابن صبحان . ثانياً — قبيلة بنى جماعة وهى فى بلدة باقم وأطرافها . ثالثاً — قبائل رازح والنظير . رابعاً — قبائل بنى مشيح وبنى منبه . خامساً — قبائل فيفا وبنى مالك وبنى عبد الله التابعون لابن سعود .
ويفهم مما ذكرنا أننا أن لنا لليامية أقارب فى نجد وفى اليمن على السواء .

الفصل الثاني

جغرافية نجران

صفة الوادى - القرى - قرى وادى حبونة - مراكز المكارمة - أسواق نجران
الطرق الموصلة إلى نجران - الآثار القديمة - الحاصلات - المسافات

١ - صفة الوادى

يقع نجران فى منبسط من الأرض السهلة المرتفعة التى يخترقها فى وسطها مجرى الوادى المعروف بوادى نجران من أعلاه إلى أسفله حيث يغور فى رمال الربع الخالى . ويحيط بنجران من الجنوب والشمال سلسلتان من الجبال والهضاب تفصل السلسلة الجنوبية بينه وبين بلاد الفرع ووائلة ، وهى متفرعة من جبال السراة المرتفعة متجهة من الغرب إلى الشرق ، ويقل ارتفاعها كلما اتجهت إلى الشرق إلى أن تغور فى رمال الربع الخالى . وأهم جبال هذه السلسلة جبل همدان وهو مرتفع عن سائر أقسام السلسلة التى تسمى باسم جبال نجران . وأكثر مواقع هذه السلسلة صعبة المرتقى بحيث يكون الاجتياز من نجران بواسطتها مستصعباً جداً إلا فى مواقع معينة فيها فجوات تعرف بالعقبات أهمها عقبة (نهوقة) التى تبعد عن بلدة الحضن مسافة بضع ساعات إلى جهة الجنوب . وأما السلسلة الشمالية فهى أقل ارتفاعاً من جبال نجران وفى سطوحها مرتفعات منبسطة تصلح لرعى المواشى ، ولذلك سماها أهلها (الصحن) ومع أن طرقاً كثيرة تتخلل هذه السلسلة فإن المسافر ما بين حبونة ونجران يخترقها فى مواقع معينة سنأتى على ذكرها حين البحث فى الطرق الموصلة إلى نجران . وهذه السلسلة تفصل كما ذكرنا بين نجران وحبونة وتغور فى الرمال قبل أن ينتهى الوادى فى منقعهما فى الرمال الكثيفة .

أما من جهة الغرب فإن نجران متصل ببعض بلاد وائلة وهي قرايا نقعة ووعار ووادي نشور بواسطة عقبة ومضيق تنحدر منهما السيول المتجمعة من بلاد سحار في الصعيد بقرب صعدة ، وتؤلف هذه السيول المجرى الأعلى لوادي نجران . ويكون لوادي نجران أسماء أخرى قبل قطعه المضيق المعروف باسم مضيق مروان والعقبة المعروفة بعقبة رفاة ، ولكن اسم نجران لا يطلق عليه إلا من بعد اجتيازه للعقبة والمضيق . ويتصل نجران من الشمال الغربي بأعلى وادي حبونة المسمى بالقرن والخانق . وأول القرى العامرة في علو وادي نجران بعد تشكله من مضيق مروان وعقبة رفاة قرية تعرف بالموجة أو قرية ابن الزين ، وهي تبعد عن صعدة مسيرة يومين لجمال الحمل إلى جهة المشرق .

وقد شيدت القرايا على أطراف مجرى الوادي من بعد الموجة إلى أن يستعرض الوادي وتنسط الأرض الموجودة على ضفتيه ، وتبعد الشقة بين سلسلاتي الجبال الشمالية والجنوبية . وبعد أن يجتاز الوادي أربع قرايا تصبح وضعية القرى من بعد ذلك مختلفة ، بحيث يمكن حساب أن القرى واقعة على الضفة اليمنى (الجنوبية) للوادي وعلى الضفة اليسرى (الشمالية) . والقرايا التي على الضفة اليمنى أقل من القرايا التي على الضفة اليسرى ، فالأولى تبلغ عشر قرايا ، ولكن الثانية تزيد عن العشرين . ويبلغ طول الوادي من علوه عند قرية الموجة إلى منتهاه وراء قرايا المذنب المعروفة ببلاد ابن منجم أكثر من يوم للسائر المستعجل ، ويمتد بعد ذلك مسافة يوم آخر في مواضع خالية من المياه إلا في موضعين أو ثلاثة فيها آبار يستقى منها الرعاة إلى أن ينتهي مجرى الوادي عند عرق رملي اسمه عرق المهرة ، بقربه المنقع ، أي المسكان الذي تتجمع فيه فضلات سيول الوادي بين الرمال السكيفية .

أما ارتفاع نجران عن سطح البحر فإنني لم أستطع تحقيقه ، غير أنني قياساً على ما علمته من أن بلاد نجران هي بلاد البعير والنخيل وعلى ما اختبرته بنفسى من أن بلاد عسير لا يعيش فيها النخيل لشدة البرد أيام الشتاء ، بينما هو يعيش بنجاح

في بلاد خيبر التي ترتفع عن سطح البحر ٨٠٠٠ قدم ، فإننى أحسب أن ارتفاع
علو نجران مثل ارتفاع خيبر .

٢ - القرى العامرة

يبلغ عدد القرايا الكبيرة والصغيرة في وادى نجران نحواً من خمس وثلاثين قرية
سأذكرها فيما يأتى مبتدئاً بها حسب ترتيبها من أعلى الوادى متجهاً إلى جهة مصبه .
وقبل سرد أسماء القرى هذه أحب أن أبين أن عدد البيوت التي ذكرتها إلى جانب
اسم كل قرية يقصده البيوت الكبيرة التي تسمى حصوناً ، وهي نوع من البناء على
أطرافه سور مرتفع لا يمكن الدخول منه إلى وسطه ، أو إلى البناء المرتفع إلا من باب
صغير محكم ، ويقدم البرج عليه فلا يستطيع الدخول إلا من هو مأذون له . وأما البيوت
الصغيرة والحقيرة فلا تدخل في حسابنا هذا . وألاحظ أيضاً أن أهل نجران يغلب
عليهم تسمية القرايا باسم العائلات التي تملكها وتسميها « وطن » أو « حلة » .

أولاً : القرايا التي في مجرى الوادى قبل أن يستعرض :

(١) قرية الموجة ، وهي حلتان لابن الزين وابن الحزوبر ويبلغ عدد حصونها
١٠ - ١٢ حصناً .

(٢) زور وادعة ٤٠ - ٥٠ حصناً .

(٣) الخلاف الأعلى ، وهو عدة حلال لآل فرحان وآل قضيع وآل الحزوبر ،
وتبلغ ٤٠ - ٥٠ حصناً .

(٤) زور آل الحارث ، وهي عدة حلال لآل عسكر وآل خديش وابن دومان
وتبلغ ٥٠ - ٦٠ حصناً .

ثانياً : القرايا التي يمكن عدّها على الضفة اليمنى لمجرى الوادى « الجنوبية » :

(١) الصفا ٨ بيوت .

(٢) سلوى ١٥ - ٢٠ بيتاً

(٣) قرية آل عقيل ؛ وهي ثلاث حلال : سهلة ، وأم در بين ، وآل عقيل ،

وعدد بيوتها ٢٠ - ٣٠ بيتاً

(٤) الحصن ، وهي قرية كبيرة ، وتتألف من عدة حلال أهمها آل حيدر

وآل عباس ، ويقال إن أكثر أهلها من وائلة ، وعدد بيوتها ١٠٠ بيت

(٥) الجرية ، بلاد آل حسن ١٠٠ بيت

(٦) القابل ١٠٠ بيت « آثار الكنيسة في القابل » .

(٧) رجلة ، بلاد آل منصور . بين قريتي القابل ورجلة آل منصور بعيداً

عنهما وعن مجرى الوادى إلى جهة الجنوب فى طرف النخيل على الطريق

الذاهبة إلى عقبة نهوكة ، بقربه آثار خرائب كثيرة يسميها أهل نجران

باسم الحصن ، أو حصن الأخدود ، وفيه آثار مهدومة وآثار كنيسة ،

وكثيراً ما يجدون بين أطلالها عاديات قديمة وعلى حجارته بعض الكتابة

القديمة أيضاً . ويدعى أهل نجران أن هذا المكان هو مكان الكنيسة

المشهوره التى كانت تابعة لأسقفية نجران ، ومن بعد هذا المكان يقل

العمران وتكثر المزارع والمياه فقط مثل الحصين والروخة والدرىب .

ثالثاً : قرايا الضفة اليسرى « الشمالية » :

(١) شعب آل بران ٢٠ بيتاً

(٢) العان واقعة بقرب جبل ، وهي بلد المكرمى وفيها قصره وهي ١٠ بيوت

(٣) المراطة ٣٠ بيتاً

(٤) الشبهان ٢٠ بيتاً

(٥) المشراح ٦ بيوت

(٦) المرفع ١٠ بيوت

(٧) خشيوه وهي بلدة أنشأها حسين المكرمى منذ ٢٥ سنة ٣ بيوت

(٨) باطن بنى سليمان ١٠٠ بيت

- (٩) الحجابة ، وهي بلاد الأشراف وفيها أربع حلال ٣٠ — ٤٠ بيتاً
(١٠) البطحاء ٤ بيوت
(١١) دحضة ٤٠ بيتاً
(١٢) بوغبار ٢٠ بيتاً
(١٣) طعزة ٤ بيوت
(١٤) غنيمة ٥ بيوت
(١٥) عكام ٤٠ بيتاً
(١٦) عوكلة ٢٠ بيتاً
(١٧) الحامية ٤ بيوت
(١٨) صاغر بلاد ابوساق ١٠٠ بيت
(١٩) بير الأثلة ٥ بيوت
(٢٠) المخلاف الأسفل ٤٠ بيتاً
(٢١) الحزم أو المذنب بلد ابن منجم ١٥ بيتاً

وببلاد المذنب آخر العمران من جهة الشرق في نجران ، وبعدها تأتي آبار وعيون دامرة وآثار خربة منها العربة والخضراء إلى أن ينتهي مجرى الوادي ويفور في الرمال .
والقرايا التي تتبع ابن نصيب هي : زور وادعة وسلوى والصفاء والحصن وزور آل الحارث وشعيب آل بران والشهبان ، والقرايا التي تتبع ابن منيف هي : سلمان والحجابة والجربة وبلاد آل بالحارث والقابل ورجلة ، والقرايا الباقية تابعة لجابر بن حسين أبوساق .

٣ - قرى وادي حبوثة

- | | | | |
|--------------|-----------|--------------|----------|
| (١) القرن | بيوتها ٣٠ | (٢) آل قنة | بيوتها ٤ |
| (٣) آل دواخ | | (٤) آل سعد | » ٢٠ |
| (٥) الشهبالة | | (٦) ابن جمعة | » ١٠ |

(٧) ابن قديلة بيوتها ٣	(٨) آل فائد
(٩) أم الحوض » ٨	(١٠) الجفة بيوتها ٣٠
(١١) مجمع آل بحري » ١٠٠	(١٢) النقاء » ٦
(١٣) بنو هميم » ٢٠	(١٤) شط الخضرة » ٤٠
(١٥) قابل منيف » ٢٠	(١٦) سلوى : عين ماء في قصره
(١٧) الحصينية .	

٤ — مراكز المكارمة

لمكارمة عدة مراكز في نجران وبلاد يام ، وقد كان نزول الداعي المسكرمي الأول حوالي عام ١٠٩ هـ حين قدومه إلى نجران في مكان اسمه الجمعة ، وهو الآن خراب . والبلدة الدينية للمكارمة والإسماعيلية في نجران هي بلدة العان ، وكذلك بلدة بدرفاينها مركز ديني مهم ، ولهم علاوة على ذلك ثلاث قرايا هي خشوية ، وقد كانت خربة فخر أبارها القديمة المنسوب الحالى حسين بن أحمد عام ١٣٣٧ هـ ، وقريتا هداة وسهلة للمكارمة أيضاً .

٥ — أسواق « نجران »

لكافة القبائل العربية عادات قديمة في إقامة أسواق أسبوعية في مواقع شتى من البلاد المتجاورة ، وكثيراً ما يطلق على المكان اسم اليوم الذي يعقد فيه السوق ، ولذلك فإنه من المعتاد جداً أن نجد بلداناً كثيرة كل واحد منها اسمه « سوق الجمعة » أو الخميس ، أو أى يوم آخر من أيام الأسبوع . والسوق مجتمع أسبوعي لأجل تبادل السلع والحاصلات الصناعية والتجارية ، ومع أنه قد توجد مخازن للبيع والشراء الدائم في مواقع مختلفة من القرايا الكبيرة ، إلا أن الأهمية هي ليوم السوق حيث تقضى الأمور والدعاوى وتحل النزاعات وتراجع هيئات الحكومة وتجبى الرسوم الحكومية وتبلغ الإعلانات العامة ، وعلى الجملة فإن السوق يوم عام للنظر في جميع حاجات

أصحاب البلاد المجاورة المادية والمعنوية من مشتري السلع وتبادلها إلى مشتري الحيوانات إلى حل القضايا ومراجعة الحكومة ، إلى عقد الخطب للزواج وغير ذلك .

وعادات أهل السوق أن يكونوا آمنين مازالوا فيه ، ويكون الدخول إليه في وجه زعيم من الزعماء الذين قد سمى الموضوع باسمهم ، مثل سوق خميس ومشيط فإنه يعقد في بلدة اسمها الدرب من القرى الكثيرة الواقعة في علو وادي بيشة ، ولكنها تسمى باسم حامى المكان وزعيمه ابن مشيط ، ونظراً لأنه يعقد يوم الخميس فقد سمى المكان سوق الخميس . أما نجران ففيها عدة أسواق نذكرها كما يأتي :

(١) سوق الأحد في دحضة بحماية ابن منيف .

(٢) سوق الاثنين في بني سلمان « » « .

(٣) سوق الثلاثاء في بدر بحماية أبو ساق .

(٤) سوق الأربعاء في قرب العان بحماية ابن نصيب .

(٥) سوق الخميس في القابل بحماية ابن منيف .

(٦) سوق الجمعة في صاغر بحماية أبو ساق أولاً .

٦ - الطرق الموصلة إلى « نجران »

الطرق الموصلة إلى نجران من جهات الشمال والغرب والجنوب كثيرة . وأما من جهة الشرق فإن الرمال القفار لا تجعل سبيلاً لطرق معلومة مطروقة . وهذه أهم الطرق المشار إليها :

أولاً : طريق السيارات من خميس مشيط إلى نجران بطريق وادي تثليث وحبونة ثم نجران معينة بالكيلومترات .

كيلومتر

٤٩ من خميس مشيط إلى وادي طريب .

٧٠ من طريب إلى السبيخة (بلد ابن شفلوط) .

٥٦ من السبيخة إلى زعوان (في وادي تثليث)

كيلومتر

٤١ من تثليث إلى المواه

٢٠٩ من المواه إلى الحصينية في أسفل وادي حبونة .

٤٧ من الحصينية إلى نجران عند الروضة في أسفل وادي نجران .

[ملاحظة : مسافة السبعة والأربعين الكيلومترات الأخيرة تدل على البعد

بين مجرى وادي حبونة ووادي نجران]

ثانياً : طريق المشاة وجمال الحمل من خميس مشيط إلى نجران ، وهو طريق

بعيد نوعاً ما ، وتقدير السير فيه بحساب المشاة أو سير الجمال المحملة ونهار المشي

المذكور هو مرحلة متوسطة أي من ٣٥ - ٤٥ كيلومتراً بحساب السير المتوسط :

المسافة باليوم

١ من خميس مشيط في اتباع مجرى وادي بيشة إلى جهة علوه إلى جهة

الجنوب الشرقي ماراً ببلاد رفيدة « قرية الجوف » ثم قرية غص إلى

بلاد ابن سالم في قرية يعقد فيها السوق يوم الخميس وتسمى خميس عبيدة

والمبيت هنا .

١ المسير صباحاً من خميس عبيدة ماراً في قرايا وادي الحسينية ثم قرايا وادي

الفرحة ثم قرية أبو قبرة في وادي شربة إلى أن يحين المساء فينزل في بلدة

أبولعثة « ابن دليم » في أسفل وادي يعوض .

١ المسير صباحاً من بلد أبولعثة ماراً بمجمع الفيض إلى بلاد مجمع سنحان .

١ من سنحان إلى بلدة بدر ، ولا يوجد بينهما قرايا .

١ من بدر إلى قرايا وادي الحمضة ، ومنها إلى الخانق الذي هو أعلى بلد

في وادي حبونة .

١ من الخانق إلى بلاد آل سعد في وادي حبونة متجهاً من الغرب إلى الشرق

إلى قرية آل فائد ، ثم إلى الجفة ، ثم مجمع آل بحري ، ثم بلاد بني هميم

والمبيت في الشطين التي هي قريتان قابل منيف وشط الخضرة وهي حد

العمران في أسفل وادي حبونة من جهة الشرق .

المسافة باليوم

- ١ المشى صباحاً من شط الخضرة والمقيل في سلوى وهي بئر في أسفل وادي جبونة والمسي في جداء وهو ماء في قفرة في أسفل وادي جبونة .
- ١ المسير من جداء والمسي في رغام وهو بئر، ومن رغام إلى بلاد ابن منجم في أسفل نجران ساعات قصيرة .

ثالثاً : الطريق من خميس مشيط. إلى نجران ، وهو أخصر من سابقه ، والمسافة مدونة بالأيام على حسب السير المعتدل .

المسافة باليوم

- ١ من الخميس إلى الفرعين
- ١ من الفرعين إلى قرية آل بسام في وادي الحسينية .
- ١ من آل بسام إلى الرفضة في بلاد سنحان
- ١ من سنحان إلى بدر « عند الظهر » ومنها إلى المجزعة .
- ١ من المجزعة إلى الخانق « عند الظهر » ومنها إلى الجفة
- ١ من جفة يترك وادي جبونة على يساره ويجتاز عقبة حلاحلة التي تفصل وادي جبونة عن نجران والمسي في عش الضحى .
- ١ من عش الضحى إلى الرغام عند الظهر ، ومن الرغام يمسي في الخلاف الأسفل في نجران .

رابعاً : الطريق من أبها هي نفس الطريق من خميس مشيط ، ما عدا المرحلة الأولى فإن السائر من أبها إما أن يحضر إلى الخميس وإما إلى حجلة الواقعة في منتصف المسافة بين أبها والخميس ، ومنها إلى بلاد عبيدة ، ومن بلاد عبيدة تتحدان .

خامساً : الطريق من صعدة إلى الموجة في علو نجران تستغرق يومين ، وهي تمتد من الموجة غرباً إلى أن تجتاز عقبة رفاة ثم مضيق مروان ، ومنها إلى رهوان إلى القرب من وعار ونقعة ومن رهوان التي هي أول قرايا سحار يصل إلى أول بلاد الصعيد المحيط بصعدة .

سادساً : الطريق من نجران إلى بلاد الفرع ووائلة يكون من بلدة الحضن ومنها إلى عتمة نهوقة ، والمسافة بضع ساعات أيضاً ، فالمسافة بين بلاد الفرع ووائلة ونجران لا تزيد عن يوم واحد .

٧ - الآثار القديمة

أخبرني المكرمي أنه حينما أسس قريته الجديدة خشيووة منذ ١٦ سنه اختار لها موقعاً قديماً خربا علم أن فيه بقايا آبار دامرة فأصلحها فوجدها غزيرة . وأن هنالك مواضع كثيرة في نجران فيها آثار خربات قديمة وآبار دامرة . وذكري أن أهل نجران يذكرون أن المعمور الآن من بلادهم يبلغ نصف ما كان في الزمن القديم أو أقل من ذلك بقليل . وهنالك مواقع شتى وجدوا فيها آثار فخار وآثار عملة ذهبية وتمائيل صغيرة معدنية كانوا يأخذونها ويبيعونها في صعدة ، وتوجد أما كن فيها حجارة عليها كتابة قديمة لا يعلمون ماهي . أما المواقع المهمة الأثرية فإنها في بلدة الحضن وفي المكان الذي يسمونه بقصر الأخدود بين القابل ورجلة كما ذكر آنفاً وبقر الحلاف الأعلى والأسفل . ولكنه لم يقدر أن يزيد على ذلك من المعلومات شيئاً . وهو يؤكد أن خربات الأخدود تحوى آثاراً قديمة عديمة النظير وإنما تحتاج إلى بحث وتنقيب .

٨ - الحاصلات

أهم الحيوانات الداجنة في نجران الغنم والجمال ، وبهذا الاعتبار تختلف عن بلاد عسير واليمن الجبلية فإن الجمال فيها معدومة . وبهذا الاعتبار أيضاً يمكن عد نجران مماثلة في الحيوانات لنجد . وأما النباتات فإن الاعتماد على البر والشعير والذرة والنخيل ، وتروى الحاصلات بالمياه التي تستخرج من الآبار بالسواني الابتدائية المستعملة في سائر بلاد العرب .

ذكرت أنه ليس للداعي المكرمي سلطة زمنية على أتباعه ، ولذلك فإنه يعيش من الواردات التي يتبرعون له بها ، وهي على كل حال ليست كل ما يجبي من أهل نجران

(لأن قسماً كبيراً يأخذه المشايخ والأمرء) وأما الزكاة السنوية التي يحصل عليها
المكرمي فهي ١٠٠٠ رأس من الغنم و ٩٠٠٠ صاع من الذرة ومثلها من الحنطة
(الصاع يعادل وزنه ٢٣٠ ريال فرنسا) و ٢١٦٠٠ من من التمر في كل سنتين مرة .

٩ - المسافات

من قرية الموجة إلى زور وادعة	نصف ساعة
من زور وادعة إلى الخلاف الأعلى	تقريباً كذلك
من الخلاف الأعلى إلى زور آل الحارث	» »
من زور آل الحارث إلى الصفا	» »
من الصفا إلى سلوى	تقريباً ساعة
من سلوى إلى قرية آل عقيل	نصف ساعة
من قرية آل عقيل إلى الحضن	نصف ساعة
من الحضن إلى الجربة	ساعة
من الجربة إلى القابل	نصف ساعة
من القابل إلى رجلة بلاد منصور	ساعتان
من الموجة من علونجران بالحملة (إلى الرهن)	عشر ساعات
ثم من رهوان إلى صعدة	١٦ ساعة



[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

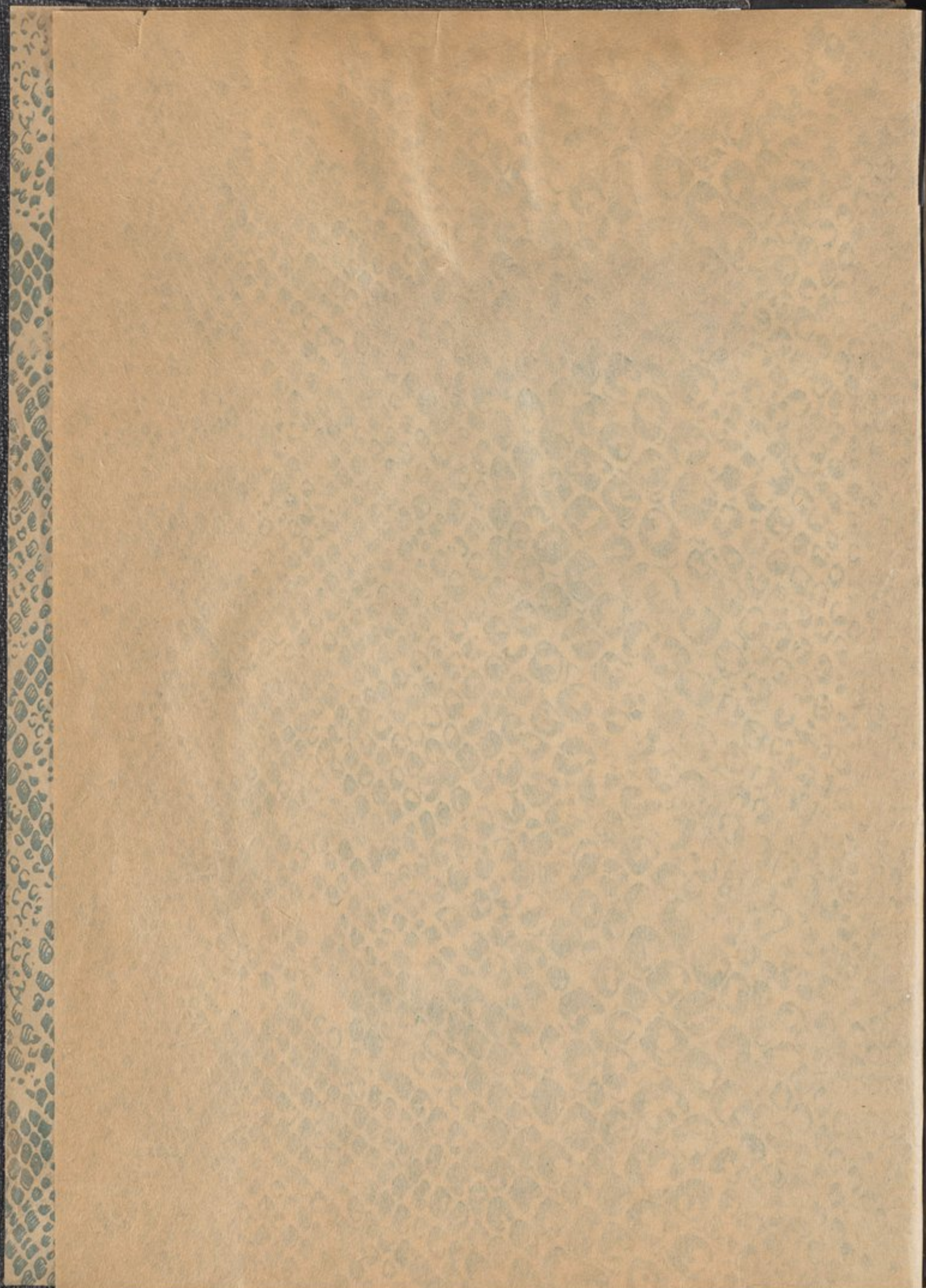
[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]

[Faint, illegible handwriting]


[Faint, illegible handwriting]



AUC - LIBRARY



DATE DUE

 <p>AUC 29 APR 1997</p>	

DS
247
A8
P8
1951

The American University in Cairo
Library

March 11, 1997



0 0 3 0 0 0 5 0 9 5 2

